

موطن النور

دار ئاراس للطباعة والنشر



السلسلة الثقافية

*

صاحب الإمتياز: شوكت شيخ يزدين

رئيس التحرير: بدران أحمد حبيب

العنوان: دار ئاراس للطباعة والنشر - شارع گولان - اربيل- كُردستان العراق

موطن النور

فلك الدين كاكهـي

اسم الكتاب: موطن النور
تأليف: فلك الدين كاكهبي
من منشورات ئاراس رقم: ٩٤٣
تتضيد: رضا واحد + سنكر حسين
تصحیح: حواس محمود
الإخراج الفني: آراس أكرم
الغلاف: مريم متقيان
الطبعة الثانية - ٢٠١٠
رقم الإيداع في المديرية العامة للمكتبات العامة في إقليم كردستان: ٢٠١٠/٩١
طبع على نفقة اصدقاء المؤلف

مقدمة الطبعة الثانية المنقحة

فلك الدين كاكهبي - ٢٠١٠

صدرت الطبعة الثانية من كتاب (موطن النور) بات واجباً، فقد وقعت أخطاء مطبعية، على قلتها، في الطبعة الأولى، كما خلت بعض اللوحات من العناوين التي أُدمجَ بعضها مع السطر الأول لهذه اللوحات، أو سقطت سهواً. فالطبعة الثانية مُعدّلة ومنقحة كي ينتفع منها القراء أُنْتفاعاً أفضل. وكل ما صحح أو عدّل منه لا يضيف شيئاً إلى اصل الكتاب الذي يحتفظ بمحتواه الأساسي وهيكله العام. فهذه الطبعة هي المعتمدة بعد الآن.

أما الأضافة الجديدة فهي (ملحق) في نهاية هذه الطبعة. هذا الملحق يضم بعض كتابات الأساتذة الأفاضل الذين كتبوا عن الكتاب، منذ صدور الطبعة الأولى، في الصحافة او المواقع الألكترونية، ننشرها كما هي، عسى أن يفيد ذلك القراء الأفاضل، لاسيما الباحثين والنقاد الذين قد تهمهم معرفة نقد وأنطباعات الآخرين عن الكتاب، مع تقديري الكامل لكل من تابعه، بغض النظر عن آرائه واجتهاداته فيه.

وأظن أنه لدى صدور الكتب الأربعة في هذا الحقل، كما أشرت الى ذلك في مقدمة الطبعة الأولى، قد تتشكل لدى النقاد و المتابعين المهتمين رؤى وأنطباعات أوضح عن محاور هذه الكتب التي يربطها ببعضها خيط سرّي غامض، لو صح القول، وهو ما لن يخفي على الناقد النبیه القدير. سنتلقي يوماً أمام نور الوهج المنبعث من هناك ... من ذلك المصدر الذي يبتسم لنا بحنان ومودة، فهو يحبنا دون أن ينتظر منا حباً أو أجزاء ... فان فعلناه فلأنفسنا!

أولاً: مقدمة

٨

سنعود اليه، حيث أتينا،
وهو موطن النور.
يقول القرآن الكريم: «الله نور السموات والأرض».
ونردد دائماً: «انا لله وانا إليه راجعون».
فقد خلقنا مع النور، وبه، ونعيش في ضوئه وحرارته، ونرحل أمام حضوره
الدائم.

فالنور حضور دائم...
ذلك هو فيزيائياً كونياً. وهو عنصر مهم للغاية من عناصر الوجود،
فالوجود نور طالما هو موطن لنا عبر سفرنا في هذا الكون المستتير.
والنور يغمرنا من الخارج ويتخللنا من الداخل.
وأما الخارج فهو مرئي لنا، وهو هذا الوجود الرهيب.
وأما الداخل فيعبر عنه بنور البصيرة، وهو حين يشع داخل وعي الإنسان
حتى أعمق اللاوعي فيه يعبر عن الحالة بالاستنارة الداخلية حيث تغمره نشوة
السعادة التي قلماً يتذوقها في حياته العادية مهما توفرت له أسباب الرخاء
والعيش واللعب والأكل وما الى ذلك.
فالسعادة التي تشع بها الاستنارة الداخلية أعلى من أي وصف أو تعبير أو
أحاطة ذهنية.

وبعد ...

صفحات هذا الكتاب، وهو الثاني في هذا الباب، تعكس بعض حالات الاقتراب من الاستنارة الداخلية.

فهي ليست أستنارة كاملة، إذ من الصعب للغاية ان يسمو المرء الى كمال السعادة. فالكمال الروحي تعبير، ربما يصح اطلاقه ازاء أستنارة داخلية (تسمي باطنية أحياناً)، وهي أشبه ماتكون بيقظة متوهجة مفاجئة للوعي الذي غالباً ما يبقى مخدراً في سبات راكد.

هذه اليقظة الداخلية أشبه ببزوغ الشمس أو سطوع نور متوهج مفاجيء وسط الظلام المعتم.

لم أعش حالات الاستنارة الداخلية، فهي عصية، قد تاتي بعد التزكية والتحرر من القيود والعلاقات والعادات والأفكار... الخ!

وأما صفحات هذا الكتاب فهي (لوحات)، كما كان لبعض الكتاب ان يطلقوا عليها ... وكل صفحة أو لوحة مستقلة منفردة (باستثناء تسلسل بعض اللوحات). ويمكن للقاريء قراءة كل لوحة على حدة، مع انها جميعاً مترابطة بخيط واحد وهو الاسترسال الحر السائب دون قيود.

بعض اللوحات قد تكون ركيكة تافهة، تتناول أموراً عادية لاتثير تساؤلاً ولا تغني أو تشبع.

بعض اللوحات قد تكون خلاصات لتقارير صحفية تتناول شؤون ذلك الزمن الذي نُشرت فيه، فكل لوحة مؤرخة بيوم نشرها في جريدة (التأخي) خلال عام ١٩٧٨، وكانت موضوعات لزواية صحفية يومية آنذاك.

بعض اللوحات، أو القطع النثرية، مجرد سكيشات رسوم أولية، أو مشاريع للكتابة...

بعضها شطحات ليس إلا، وهي السمة البارزة في كتاباتي في «التأخي» منذ أيلول ١٩٦٧ حتى آذار ١٩٧٤ (أنظر مقدمة الكتاب الأول: حلاجات، حول هذه الجريدة).

هذه الشطحات سَبَقْتُني إليها حالات التقرب من الوجد الصوفي، الذي لم أبلغه يوماً...

وهي (أي الشطحات) محاولة لتمزيق أغلال الكلمة واللغة والتقاليد والواقع وكل شيء، للخروج من الشرنقة التي تحيط بكل منا، مثل دودة القز، وهي تمنعنا من الخروج إلى الهواء الطلق والنور والضيء. وأما النور الذي يصبو الانسان اليه فهو ماسميته بالاستتارة الداخلية التي تهدي الى (موطن النور).

فالشطحات تعبير عن رغبة داخلية عارمة في التحرر من كل شيء والخروج عارياً أمام الكون والشمس... ولايكتمل ذلك سوى بملامسة العالم الحر المجنون، لذا تتكرر هذه الفكرة في اللوحات، وهي شذرات من التهاب الجنون وشروده.

٤

ماكتبته هنا ليس شعراً، وان كان البعض يسمونه (أو بعضه) شعراً. وهو ليس قصة أو مقالاً أو بحثاً. بل هو شيء من كل هذا... ولاشيء ايضاً. فلم يهمني (ولايهمني) الأسلوب الذي أعبر به، هل هو واقعي، رومانسي، حدائي، مابعد حدائي... الخ! كنت أعبر فحسب، وكنت أترك الفكرة تشكل بنفسها شكل التعبير عنها، مهما كانت ركيكة أو ممتلئة. أترك التقييم وما الى ذلك للنقاد الذين قد يهملون كل هذا.

فبعض اللوحات قد تكون خواطر عابرة، ومجرد اشارات للتخلص من التوتر الداخلي، او مجرد التعبير ليس إلا.

واعتبر ان التعبير حالة وجودية تمارسها الكائنات والمخلوقات جميعها. فهطول المطر تعبير عن حركة لفيزياء كوكب الأرض.

وتورق الاشجار تعبير، وتفتح الازهار تعبير، والألحان المختلفة لتغريد الطيور

وهممات الطبيعية واصوات الحيوانات... تعبير في تعبير في تعبير.
مثلما ان كلام البشر وحركاتهم ومواقفهم الكوميديّة والمأساوية، والعباهم
الرياضية والفنية وتفاصيل حياتهم اليومية هي الاخرى أشكال للتعبير.
وهذا التعبير حق.

وقد دخل المجتمع الشرقي في سبات منذ قرون طويلة وصنع تقاليد وقوانين
وأوهاماً وتحذيرات سخيقة تمنع حق التعبير.

فالنزوع الى اطلاق حرية التعبير فكرة ملحة تتكرر في كثير من لوحات هذا
الكتاب والكتب الثلاثة الأخرى (التي تضم بعض ماكتبته في الجريدة آنذاك).

٥

أما الكتاب الأول فبعنوان: (حلاجات/ يقظة متوهجة في حضور الحلاج).
واما الكتاب الثاني فهو هذا.

الكتاب الثالث، عما كتبته عام ١٩٧٢، فهو بعنوان: (الأحتفال بالوجود) أو:
أحتفالاً بالوجود.

واما الرابع، عن كتابات عام ١٩٧٣ في بغداد، فبعنوان: (لمن تتفتح الأزهار؟).
كما قلت: انها كتاباتي الصحفية السريعة للفترة من ١٩٦٧ - ١٩٧٤، ونشرت
في حينها، قرأها بعض الناس في بغداد والجنوب ومدن كوردستان، وكان يقال
لي أن بعض اللوحات كانت تثير نقاشاً، خاصة لكونها غامضة نوعاً ما، غامضة
في اسلوبها، وغامضة في توجهاتها وأفكارها، لأنني غالباً ما لجأت إلى
استعمال لغة الرموز والاشارات والأيماءات، وايراد اسماء تاريخية وثقافية من
التاريخ القديم والحديث حتى تكتمل عندي اللوحة فتعيني عن التعبير عن بعض
ما يعن لي.

فبعض تعابيرها هي كردية إنما بلغة عربية، لذا جاءت غير مفهومة من بعض
القرءاء... وهذا هو الذي جعل بعض القراء العرب في بغداد وغيرها يتصورون،
خاصة في البدايات، بأن هذه اللوحات مترجمة من لغة اجنبية. ولا ادري لماذا

تصور البعض بان الالمانية هي اللغة الأجنبية، المترجم عنها... ربما لأستعارتي رموزاً ومفاهيم قريبة من الفيلسوف الالمانى فردريك نيتشه، او لتكراري لفلسفة النور لدى النبي الحكيم زردشت، نبيّ الأقوام الأريّة مثل: (الكورد والفرس والافغان وقسم كبير من الهنود والطاجيك وشعوب القفقاس...الخ!).

واما التكرار بدون ملل، مما يثير الملل في القاريء، فهو طابع آخر يطغي على هذه اللوحات... لذا تجدون تكراراً لنفس المعاني والتعابير والايحاءات. لا أدري... كيف أستطعت اقناع بعض القراء طوال اكثر من سبع سنوات لمتابعة كتاباتي المتكررة.

اما عندي، فأرى ان التكرار سمة طاغية للحياة والوجود... من توالي الليل والنهار، والولادة والموت لدى كل الأحياء، وتوالي فصول السنة، ثم ... توالي عملية الشهيق والزفير وتجدد الدم وتنقيته ودورانه دون انقطاع ونبضات قلوب الأحياء ... وغير ذلك ... ملايين من العمليات في الطبيعة.

عبرت عن هذه الفكرة، فيما بعد، باللغة الكوردية، حيث أواصل منذ عقد كتابة ماهو اشبه بلوحات مماثلة عن نزعة قريبة عما بدأت به بالعربية، وان كانت دواعي اللغة والتعبير والمجتمع جعلتني أبتعد نسبياً عن أسلوب الشطحات والتعبير الحر الطليق في شبابي.

فما يقرأه القاريء العزيز في هذا الكتاب قد لايعنيه في شيء، وقد يمله بسرعة، او قد يعود إلى بعض اللوحات عدة مرات.

ولم أكن راغباً في اصدارها في كتب.

وقد اهملتها منذ نشرها في الجريدة⁽¹⁾، وكنت أظن ان ذلك يكفي... وماكتبته قد لايستحق عناء جمعه ونشره مرة اخرى، وفي كتب أربعة.

إلا ان بعض الزملاء وقراء الجيل القديم الذين كنت أعاصرهم كانوا يذكرونني بتلك الكتابات، وأقترحوا جمعها وطبعها.

ولم انشر هنا جميع ماكتبته، إذ أهملت بعضها لانقضاء أهميتها زمنياً، أو لكونها تقارير طارئة لاتعني شيئاً للقراء هذه الايام.

وقد لاحظت، بعد جمعي لهذا القدر منها، انها قد تعني شكلاً من السيرة الذاتية الفكرية، فهي يوميات ومشاهدات وصور قلمية عن أحداث محلية وعالمية وقعت آنذاك، وتسجيلاً لبعض محاور الأهتمامات الذهنية لجيل ذلك الزمان، وإشارات إلى بعض النقاشات.

فهي، بشكل عام، قد تضع قراء اليوم امام جزء من معاناة وهموم وإهتمامات ذلك الجيل. خاصة اذا قرأوا الكتب الأربعة معاً، الواحد تلو الأخر.

مامعناه ان الكتابات، طالما نشرت أعوام ١٩٦٧ - ١٩٧٤، لم تعد ملكي الشخصي، فهي موجودة في أرشيفات المكتبات، وربما في الأرشيفات الشخصية لبعض القراء الاعزاء الذين كانوا يجمعونها. فأخبرني زميل من بغداد قبل اعوام انه مايزال يحتفظ بمعظمها.

وكتب عنها كتاب عديدون آنذاك، أبرزهم، كما قلت في مقدمة الكتاب الاول، هو العالم العراقي الراحل د. مصطفى الشبيبي، أستاذ الفلسفة في كلية الشريعة^(٢).

وورد ذكر بعض الكتابات في بحوث وكتب عديدة^(٣) ومحاضرات.

لذلك كله رأيت انها لم تعد ملكي، فمن الأفضل وضعها أمام الباحثين والقراء، بانتزاعها من أرشيف الجريدة، واعادة طبعها مع هوامش وإيضاحات وتعليقات ربما تغني الموضوع، وإجراء تنقيح وتصحيح وتشذيب دون تغيير جوهر الكتابات ومغزاها. فقد أبقيتها كما هي منشورة في حينها، وصحت تعابير أو كلمات قليلة جداً، جاءت بعضها خاطئة مطبعياً منذ ذلك الحين.

وأرجو ان يُضيء هذا التمهيد الموجز جانباً آخر من هذه اللوحات والغرض من اعادة طبعها.

ثانياً: النور موضوعاً

٨

القاريء المتفحص سوف يرى أنني لم أذكر (موطن النور) عبثاً، ولم آت به على سبيل الإثارة، من جانب غرابة التعبير، كما يفعل البعض. بل جاء العنوان تلقائياً، تجسيداً لعاني معظم هذه اللوحات في الكتب الأربعة المذكورة.

فمن أين يأتي النور؟ وما هو موطنه؟

إذا كنا نعني به نور وضياء وأشعة الشمس الوحيدة في مجموعتنا الشمسية، فيذكر العلم وأكتشافات الفيزيا والفلك ان الكون الذي نعرفه (ولانعرفه بعد تماماً)، يضم ملايين المجرات بملايين المجموعات الشمسية، وربما تكون هناك ملايين الاكوان الاخرى مثل الكون الذي نعيش فيه (دون ان ندري أين نحن منه ... تماماً)، فالشمس في مجموعتنا، مثلاً، علم عنها كونها فرناً أو تنوراً هائلاً من غاز الهيدروجين وهو يحترق منذ ملايين السنين الضوئية، ولاندري متى ينتهي هذا الغاز وتنطفيء الشمس تدريجياً حتى تكف عن بث الحرارة والضياء والنور.

ويتخيل بعض الحكماء (وهو مايسرني تخيله) ان هناك كوكباً عظيماً هائلاً فائقاً عن التصور، هو بمثابة الشمس الام العظيمة لهذا الوجود تشع باستمرار.

أما الحكماء الذين أعينهم فهم العاملون للوصول الى حقيقة الاشياء والوجود عن طريق الحس والتأمل والأستنارة الذاتية (أي عن طريق القلب، كما يسمونه)، وليس عن طريق الأستقرار والاستدلال والأختبار والأحصاء وغيره من اساليب البحث العلمي (وهو طريق العقل، كما يسمونه).

أظن ان الطريقتين يقتربان ويتلاقيان في نهاية المطاف.. فطريق العلم والعقل

مكمل لطريق الحكمة والتأمل والحدس، وهذا أيضاً يردف ذلك بما يثري الحقيقة.
لست أدري كيف ومتى ولماذا وجدت نفسي مجذباً أنجذاب المجانين والعشاق
نحو الأستغراق في طريق الحكمة والتأمل... كنت أحال نفسي وحيداً غريباً
شاذاً في هذا الطريق فإذا بي أرى ملايين الناس ومئات الحكماء المبدعين ساروا
عبر التاريخ، ويسيرون، في نفس الطريق.

ربما هذا هو أحد مفاتيح فهمي، سواء من قبل نفسي أو الآخرين.
وأما النور الذي أعنيه فهو ذاته النور الذي بحث عنه الأولون واللاحقون...
مثلما ورد في كتب ورسالات الأنبياء والحكماء والعارفين المتصوفة والشعراء.
فالكتاب المقدس^(٤) للصابئة المندائيين (كنزا رباً) أي: الكنز العظيم، يصف
الله بـ(ملك اكوان النور) و(ملك النور السامي).

ففي التسبيح الاول من الكتاب الأول يتحدث (كنزا رباً) عن عودة شتيل بن
آدم إلى بلد النور. وتبدأ التسابيح هكذا:
(بأسم الحي العظيم)، هو الله.. ملك أكوان النور، العزيز الغني الغفور، المياهُ
التي تسيل، والجبال التي لاتميل.

... حتى يقول هذا التسبيح:

قُلْ له (لآدم):

عشت ألف عام

وأن لك أن تترك بلد الشرِّ والاثام

وتعود إلى بلد النور والسلام...

لاتعجز فتضام

ولاتهزم فتسام.

- يقول في نفس التسبيح عن الله تعالى:

(يارب الاكوان جميعاً... مُسَبِّحُ أنت، مُبارك، مُمَجِّد، معظم، موَقَّر، قَيِّوم،

العظيم السامي، ملك النور السامي،... (الى أن يقول):

الحي العظيم، لا حدَّ لبهائه، ولا مدى لضيائه، المنتشرة قوته، هو العظيم الذي لا يُرى ولا يحدُّ).

- ويتحدث التسبيح الثالث عن رسول النور (... انا رسول النور).

- يقول في التسبيح الاول/ الكتاب الثالث:

وبأمره سبحانه كان أثيرُ الضياء العظيم.

ومن آير زيوا، أثير الضياء العظيم، كانت الحرارة الحية، ومن الحرارة الحية كان النور.

بقدره ملك النور السامي صارت الحياة،

- وهكذا يتكرر ذكر النور والضياء في هذا الكتاب المقدس، إلى ان يقول في

التسبيح الثاني/ الكتاب الثالث:

(... وحين يتمُّ آدم مهمته

يُمكنُ من العودة إلى موطنه،

موطن النور...).

وأما التسبيح الثالث من الكتاب السادس فهو عن (صعود يحيى الى عالم

النور).

ملاحظة: مصطلح (آير زيوا) في هذا الكتاب، كما هو مشروح فيه، يعني:

كائن نوراني، أثير، ريح، هواء.

وكلمة (آير) في اللغة الكوردية القديمة تعني: النار والنور. وتذكر بعدة

أشكال:

آير، أور، أهر، أتر، أكر، و(آتش) بالفارسية القديمة. اما في لغة الأفيستا

(الأوستا/ الأبهستا) فتسمى: آتر، أذر، آير.

٢

يذكر العهد القديم والعهد الجديد، للكتاب المقدس، النور عشرات المرات، ففي

سفر التكوين، الاصحاح الأول يقول العهد القديم:

(في البدء خلق الله السموات والأرض. وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرفُّ على وجه الله. وقال الله ليكن نورُ فكان النور، ورأى الله النورَ أنه حسن، وفصل الله بين النور والظلمة، ودعا الله النور نهاراً والظلمة دعاها ليلاً، وكان مساءً وكان صباحُ يوماً واحداً.)
ويقول في الآية (١٤) من سفر التكوين:

(وقال الله لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل. وتكون آياتٍ وأوقاتٍ وأيامٍ وسنين، وتكون أنواراً في جلد السماء تُنير على الأرض، وكان كذلك، فعمل الله النورين العظيمين، النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل...).

وفي الآية (٥) من الأصحاح (٢٢) من رؤيا يوحنا اللاهوتي، في العهد الجديد للإنجيل نقراً انه يتنبأ بيوم الدينونة حيث لا ظلام بل نور الله وحده:
(ولا يكون ليلٌ هناك ولا يحتاجون إلى سارجٍ أو نورٍ شمسٍ لأن الرب الإله يُنير عليهم وهم سيملكون إلى أبد الأبدين).

أشرنا في بداية هذا التمهيد إلى السورة ٣٥ (الله نور السموات والأرض) إلى آخر الآية، من أية (النور) في القرآن الكريم، فهي من أجمل المعاني والتعابير عن النور الإلهي ومصدره (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) الآية (٤٠).

هذا النور هو الذي يذكر ابن كثير^(٥) ٧٠١ - ٧٧٤ هـ أن "موسى وضع يده على وجهه من شدة ذلك النور، مهابة له وخوفاً على بصره" نقلاً عن سفر الخروج، الفصل الثالث، العدد ٦: "فستر موسى وجهه إذ خاف أن ينظر إلى الله". أورد ابن كثير قصة موسى في (قصص الأنبياء) فكتب يقول:

ان موسى (ع) أشتاق إلى أهله، فقصد زيارتهم ببلاد مصر في صورة مُخْتَفٍ، فلما سار بأهله ومعه ولدان منهم وغنم قد أستفادها مدة مقامه... وأتفق ذلك في ليلة مظلمة باردة، وتاهوا في طريقهم فلم يهتدوا إلى السلوك في الدرب المألوف، وجعل يوري زناده فلا يرى شيئاً، وأشدت الظلام والبرد.

فبينما هو كذلك إذ أبصر عن بُعد ناراً تأجج في جانب الطور - وهو الجبل الغربي منه عن يمينه... (وقال المفسرون): لما قصد موسى الى تلك النار التي رآها فأنتهى إليها، وجدها تأجج في شجرة خضراء من العوسج، وكل ما لتلك النار من اضطرام، وكل ما لخضرة تلك الشجرة في ازدياد. فوقف متعجباً، وكانت تلك الشجرة في لحف جبل غربي منه عن يمينه... وكان موسى في وادٍ أسمه "طوى": فكان موسى مُسْتَقْبِلُ القبلة، وتلك الشجرة عن يمينه من ناحية الغرب. فناداه ربُّه بالوادي المقدس طوى، فأمر أولاً بخلع نعليه تعظيماً وتكريماً وتوقيراً لتلك البقعة المباركة، ولأسيما في تلك الليلة المباركة.

عندها، يقول أهل الكتاب، انه (أي: موسى) وضع يده على وجهه من شدة ذلك النور... الخ!

٤

النور هو الأصل. والأصل يتجدد.

يقول الشاعر الهندي الأممي رابند رانات طاغور^(٦):

إن عالم الله، لايني يتجدد بالموت،

أما عالم الطاغية فإنه مسحوق بوجوده

ويقول:

الشجرة هي بنت اليوم،

أما الزهرة فقديمة،

إنها تحمل رسالة البذرة،

التي لاتعيها الذاكرة.

ويضيف طاغور:

يعثر النور على كنز ألوانه^(٧)

عبر مُعارضة السحب، لبعضها بعضاً.

وعن تجدد النور من النور، أو الوجود من الوجود، او توالد الذرة والوردة على

السواء، يقول طاغور:

تحملُ إليّ، كلُّ وردةٍ جديدة،

تحيةً وردة الربيع الأزلي الخالد^(٨) (أنتهى الأقتباس من طاغور).

فعبثاً نذهب بعيداً، ونتيه بحثاً عما هو موجود هنا: (أقرب إليه من حبل الوريد).

فالحلظة هي الزمان والمكان. أنظر ... (ها هنا الآن) ... فأنت دوماً في مكان ما في أية لحظة، وكل وردة كذلك، وكل ذرة من نور. فالنور يتسامى بملايين المرات، ويكبر، وهو الذي يبقى وان فنيت الأكوان الملونة. فكل شيء يشغف بالنور.

(في مكان آخر): يقول طاغور:

في الحديقة، يشغف الظلُّ الخجولُ بالنور، في صمت،

وتحسر الأوراق عن السرِّ،

وتبتسم الأزهار^(٩).

ويقول:

البراعات التي تتوامضُ، في ثنايا الأوراق،

تبهرُ النجوم دهشةً.

بيننا تردد الوردةُ للشمس،

- لن انساك أبداً.

تتهاوى أفواهاها، على التراب^(١٠).

٥

هذا النور هو ذاته الذي خلع لباس ظاهرة الطقوس عن جلال الدين الرومي حين ارعشته ومضة العشق التي أذكأها أستاذة ومرشده شمس التبريزي، ذات لحظة في (قونية)، فالقي مولانا الرومي على كاتبه حسام الدين جلبي، هذه الأبيات^(١١):

- فلو أنَّ أحدًا قال للجنين وهو في الرحم، هناك عالم في الخارج شديد النظام،
- هناك أرضٌ - نظرة ذات عرض وطول، فيها مئات النعم وكثير الأكلين،
- وفيها الجبال والبحار والصحاري والبساتين والحدائق والمزارع،
- وهناك سماء عالية جداً شديدة الضياء، فيها شمس وقمر ومئات من نجوم السها،
- ومن "رياح" الجنوب والشمال والدبور، فيها حدائق ذات أعراس وبهجة،
- ولا توصف عجائبها ... فأية ظلمة هذه التي تكونُ فيها ممتحناً،
- تاكل الدم في إطار ضيق من الحبس والأنجاس والعناء،
- لكان هو (أي الجنين) بحكم حاله مُكرراً، ولأعرضَ عن هذه الرسالة وكفر بها،
- قائلاً: ان هذا محال وخداع وغرور، وذلك لأنَّ وهَم الأعمى لا يستطيع التصور.
- وهكذا الخلق على وجه العموم في هذا العالم، عندما يحدثهم الأبدال^(١٢) عن ذلك العالم (قائلين):
- هذه الدنيا جُبُّ شديد الظلمة والضيق، وخارجها عالم "شفاف" لا لون له ولا رائحة،
- فإنَّ آذانهم لا تنصت على الاطلاق إلى شيء من هذا؛ لأنَّ طمعهم "في الدنيا" حجاب غليظ وكثيف،
- فالطمع هو الذي يسد الاذان عن الاستماع كما ان الغرض يعمي العين على الاطلاع.
- مثلما يكون طمع ذلك الجنين في الرحم، فهو غذاءه في الأوطان الدنيّة،
- ومن ثمَّ يحجب عن الحديث عن العالم، ويحجب من كل هذه النعم، ولايستطيع أن يأكل إلا الدم.

فمولانا الرومي، في أبياته السابقة، قال ان (الجنين) لا يدرك أن خارج الرحم كل تلك الكائنات والأكوان؛ لأن الجنين ملتصق بباطار ضيق داخل ظلمة شديدة، فهو كالأعمى الذي لا يتصور الأشكال والألوان، فينكر كل شيء، هكذا نحن الكبار (يقول الرومي) لانرى غير ماهو محسوس حولنا، ولا ندرك ان خارج "ظلمة" هذه الدنيا عالماً "شفافاً" لا لون له ولا رائحة.

فمولانا جلال الدين ينبهنا إلى غنى وتنوع وجودنا وجماله وعظمته ويدعونا إلى أن نحتفل معه بما وصل اليه في سفره الصوفي، فهو يسبح في معراج المعنى فيتحدث بلغة رمزية سريعة التحول من مستوى إلى آخر في مدارات الوجد، فجميع صفحات "المتنوي" الجميل الذي وضعه عبارة عن قصص رمزية متداخلة متتابعة تومض فيها الحكمة ولمحات الاشرار والأحوال، حتى يصل الى قصة "الدقوقي"^(١٣)، تلك الشخصية الصوفية البارعة، التي ربما ابتدعها الرومي بنفسه:

- كان الدقوقي ذاك بهي الطلعة، كان سيدياً عاشقاً صاحب كرامة.
- كان يمضي على الأرض كالقمر في كبد السماء، صار للسايرين منه روح نيرة،
- وقليلاً ما أتخذ من مقام مسكناً، وقليلاً ما مكث يومين في قرية واحدة، حين يعود الرومي الى قصة الدقوقي في مكان آخر يتحدث عنه كيف كان يمشي حافياً وهو ثمل بالمحبيب، سائراً في الروح...):
- "وكم سئل الدقوقي": أتمشي حافياً على الشوك والحصي؟ فكان يجيب: إنني حائر غافل عن نفسي مذهول.
- فلا تنظر إلى هذه الأقدام على الأرض، ذلك ان العاشق يمشي على قلبه يقيناً،
- وماذا يدري القلب وهو ثمل بالمحبيب عن الطريق إلى المنزل قريباً كان أو بعيداً؟
- ان ذلك "القريب" و "البعيد" أو صاف للجسد، وسير الأرواح سيرٌ آخر.

- لقد سافرت أنت من النطفة إلى العقل، لا بالخطوة، فلا منزل ولا نقل،
- وسيرُ الروح يكون بلا كيفية في زمان أو مكان، فيا أجسادنا تعلمي السيرُ في الروح،
- ولقد ترك "الدقوقي" السير بالجسد الآن، إنه يمضي "كالروح" بلا كيفية مختلفاً في كيفية "الجسم".
- قال: كنت أسير ذات يوم كالمشتاق، حتى ارى في البشر أنوار الحبيب،
- حتى أرى بحراً "قد تجلّي في قطرة، وحتى أرى "شمساً" قد أختفت في ذرة.
- ولما وصلت بخطوي إلى ساحل ما، كانت الشمس أذنت بالمغيب وحلّ وقت الغروب.

ذلك هو (النور) الذي يبحث عنه جلال الدين الرومي، ان يرى "قي البشر" "انوار الحبيب"، فالنظام الكوني متناسق، يختفي بعضه في بعضه الآخر، والذي يسير بالروح، وليس بالجسد، يقطع الطريق ثملاً عاشقاً لايبالي، ففي هذا الكون البديع تتجلّى أنوار الحبيب، أنوار الله، في مخلوقاته، فإذا البحر قطرة ماء، وإذا الشمس ذرة رمل... كلاهما، الشمس والذرة تخضعان لنفس التكوين وتشتاقتان الى نفس النور، فتتجلّى أعظم الأشياء في أصغر الموجودات، والقطرات الناعمة الناعسة الصامته المنزلة على الاوراق النضرة هي التي تتجمع وتتكاثر وتتراكم ليولد منها البحر العظيم. لذلك يهتف الرومي بالاجساد، بالكائنات البشرية، ان "أيتها الاجساد تعلمي السير في الروح، في النور.

الأدب العرفاني:

هذا الذي نقلته عن جلال الدين الرومي وطاغور نموذج جميل عن "الأدب العرفاني" هذا النوع المتفرد في أدب معظم شعوب الشرق، وهو يعكس أشراقه النور الداخلي المتوهج في وجدان الانسان العارف الواصل المتسامي، فهو في حالة شمس التبريزي كان يتفجر منطلقاً في جمل وتعابير حادة سريعة مما كان يثير في الطرف الآخر مختلف دواعي التأمل والحيرة ويحرك كوامن اللاوعي

فيه، كما حصل للرومي في اول لقاء معه في قونية (سنة ٦٤٢ هـ).
فالنور الداخلي الذي يطلقه الوجد الروحي، في هذه الحالات، هو المشترك بين جميع العارفين. والعرفان اعمق وأبعد من حالة التصوف المعروف لدى العامة.
يرتقي العديد من الشعراء الكلاسيكيين الكورد، في التعبير الجميل عن حالات الوجد والاستنارة الروحية الداخلية إلى مستوى أبن عربي والبسطامي والحلاج والطار وجلال الدين الرومي وآخرين.

من الشعراء الكورد العارفين: بابا طاهر الهمداني (٩٣٥ - ١٠١٠م) (الذي قلّمنا تناوله الباحثون من هذه الزاوية) وملا الجزيري وفقّي طيران وأحمدي خاني ومحوي ومولوي تاوه كوزي وآخرون. والمتصوف العارف الكبير مولانا خالد النقشبندي كان أيضاً شاعراً مبدعاً باللغتين الفارسية والعربية فضلاً عن اللغة الكوردية (اللهجة الهورامية).

هؤلاء مثل غيرهم في الشرق يجدون السرّ في مرآة العشق وجماله. فالشاعر احمدي خاني (١٦٥٠ - ١٧٠٦م) في ملحمة (مم وزين) يقول:
- العشق مرآة تظهر الله، وهو كالشمس ذو ضياء (يقول الحلاج: قلب المؤمن والمرآة اذا نظر فيها تجلّى ربه).

ويقول خاني:

- كل من اراد العشق، كان بالعشق مريداً أو مراداً. (تفسير هذا البيت المتشابك هو ان العشق يجذب المرء إليه بما فيه من طاقة جبارة، ولا خيار للإنسان في محنة العشق إلا أن يصبح أحد اثنين، إما مريداً وهو الذي تجرد عن ارادته ومحا إرادته في إرادة المحبوب. واما ان يصبح مراداً وهو في عرف الصوفية من وصل الى النهاية وعبر الأحوال والمقامات)...^(١٧)

ويقول:

- العشق مرآة عاكسة لا مثال لها وهو كنز السر الخالد.
- لا يوجد من لم يؤثر فيه العشق، ولكن يمكن ان يكون هناك من لم يعرف الذوق^(١٨).

ملحمة (مم وزين) تتكثف في لحظة تسامي العشق لدى (مم) الملتقي في زنازة بجزيرة حبه الجارف للفتاة (زين): حيث تتحول الزنازة إلى خلوة العاشق المستغرق في حب معشوقته، وهو يعيش في معتكف ينال فيه التركيز ويحلق عالياً وتحرر روحه من علائق الدنيا حتى انه ينسى حبيبته؛ لأنه ينشغل بعشق أعظم و أسمى هو اللقاء بالله... عندها: "أصبحت الأنوار مشهودة في قلبه، وانكشفت امامه الأسرار..."^(١٩) فيتحول (مم) الفتى إلى مراد وشيخ كامل بينما (زين) إلى مرید، محاولة اللحاق به حتى تتحرر روحاهما فنتلقيان في العالم الروحي، فيذوب العاشق في المعشوق، ويفنيان معاً. ويبقيان أبداً؛ لأن "من لم يتذوق الفناء لم يعرف البقاء".

وفي هذا يقول ملا الجزيري (١٤٠٧ - ١٤٨١):

كنت ذرة هائمة في عشقك.

وكنت أنتِ الشمس التي جعلتني في اشعتك ظاهراً للعيان^(٢٠).

يدور شعر الجزيري (او الجزري)، في مجمله، حول محور العشق بهذا التعبير الرائع، ويراه كثيرون شيخ الشعراء العارفين الكورد، وهو الذي رفع من شأن العشق فسمّاه (العنصر الخامس) بعد العناصر الأربعة: التراب والماء والهواء والنار، باعتبار (العشق قوة تجمع هذه العناصر معاً وتجعلها تتماسك).

٧

الأدب العرفاني تحول على يد شهاب الدين يحيى السهروردي (١١٧٠-١٢٠٨) إلى حكمة الاشراق. وقد ولد الشيخ المقتول، كما لقب فيما بعد، في قرية سهرورد ذات الأغلبية الكوردية آنذاك^(٢١)، القريبة من مدينة زنجان في آذربايجان الحالية - ايران. وعرف أيضاً بالحكيم فهو كان فيلسوفاً وعارفاً وابدع فلسفة الأشراق المعرفة حتى الآن، وخلصتها ان الله هو نور الأنوار، وتحدث في رسائله وكتبه خاصة: حكمة الأشراق وهيكل النور وغيرها عن ماهية النور ومستوياته وقال "ان العقل ينبثق من نور يضيء جميع العقول"، وأستفاد من تركيبه لعدة علوم ومذاهب: مثل التصوف الإسلامي والثقافة

الزردشتية وفلسفة أفلاطون المتجددة وفيثاغورس.
وكان ضليعاً باللغتين الفارسية والعربية.^(٢٢) واعطى لفلسفة الأشراق بعداً
عامياً مما جعلها تنتشر في ايران وبقية بلدان الشرق الأوسط آنذاك كذلك في
الهند وامتدت الى الغرب.

٨

وتتوالى تجارب الحكماء والفلاسفة في البحث عن النور الداخلي في الإنسان
ودفعه إلى اليقظة الذاتية أو الوعي الذاتي كما يسميه الفيلسوف الهندي باغوان
شبري راجنيش المعروف بـ(أوشو)، ولد عام ١٩٣١ وتوفي عام ١٩٩٠.
فغاية الكمال والمتعة لدى الأخير هو وصول الإنسان الى تفجير ينابيع داخله
للوصول إلى التنوير والأستنارة، وهو تعبير آخر عما كان السهورودي يسميه
الأشراق. فالتعابير والطرق متعددة بينما المحطة النهائية واحدة.
أخيراً...

فالقطع او اللوحات الخاطفة التي تنشر منفردة في صفحات هذا الكتاب، هي
حلقات من موضوع واحد مشترك... فأنا هنا أبحث عن اللون الذي لا لون له.
وأجدني أجتزت عالم الألوان الباهتة والأشجار الذابلة، فأبحث عن عالم حي
آخر، أكتشفت أنه كان معي طوال الوقت دون ان استيقظ على حقيقة وجوده،
وإذا أمامي حديقة مزدهرة من ألوان حارة نظرة متوهجة دون سياج أو حدود،
تنبسط تحت السماء.

فالبحث، إذن، هو عن النور، عن موطن النور الذي هو انت ايها الإنسان
الواعي؛ هذا النور الذي هو بلون أزرق شفاف دافئ، لا يحرق ولا يشعل بل
يضيء فحسب، ويحترق كل الاجسام والأشياء والكائنات؛ هذا النور لا يشع من
نار حطب مشتعل أو وقود غازية وزيتية، فهو ينبعث من الطاقة اللامرئية للوجود
نفسه، الذي يحتفل بذاته كل لحظة. وغاية التأمل هي ان نستفيق على موسيقى
الأحتفال الذاتي للوجود. فهو لا ينتظرنا، ان أتجهنا إليه، أتجه إلينا، وان سهونا،

سَهَا عَنَّا، فَهوَ فِي غَنَى عَنَا .

أَمَّا عَن طَرِيقَةِ الْمَطَالَعَةِ وَمَتَابَعَةِ هَذِهِ الصَّفَحَاتِ فَأَمْرٌ مَتْرُوكٌ لِلْقَارِئِ الْكَرِيمِ،
يُمْكِنُ لَهُ أَنْ يَقْرَأَ صَفْحَةً وَيَتْرِكُ صَفْحَاتٍ، أَوْ يَخْتَارُ مَا يَشَاءُ، أَوْ أَنْ يَتَنَاوَلَ الْكِتَابَ
بِرْمَتِهِ أَوْ يَتْرِكُهُ جَانِباً كُلَّمَا شَاءَ ذَلِكَ.

كُتِبَ فِي ٢٥/٤/٢٠٠٩، صَلَاحُ الدِّينِ أَرْبِيبِل

توضيح:

الملاحظات والهوامش والايضاحات في هامش النصوص، جديدة، كتبها سنة
٢٠٠٩ لدى مراجعة النصوص واعدادها للطبع

مصادر ومراجع هذه المقدمة

- (١) جريدة (التآخي) اليومية باللغة العربية صدرت في بغداد منذ أواخر نيسان ١٩٦٧، وتعطلت (أو عطلت) منذ آذار ١٩٧٤ فعادت الصدور بعد نيسان ٢٠٠٣ حتى صدور هذا الكتاب. وقد عملت في الجريدة مراسلاً ومحرفاً لصفحات داخلية الى ان اصبحت رئيساً للتحرير ذات يوم. جميع اللوحات التي يضمها هذا الكتاب كانت قد نشرت يومياً بصورة متتابعة طوال الفترة حتى ١٩٧٤، وورد ذكر تأريخ النشر مع كل لوحة او قطعة. لذلك من المهم أنتباه القاريء إلى تأريخ النشر كلما قرأ فقرة غامضة أو حدثاً، فهو يتعلق بذلك الزمان.
- (٢) الدكتور كامل مصطفى الشيببي استاذ الفلسفة الاسلامية في جامعة بغداد، أنظر: كتابه: الحلاج موضوعاً الطبعة الاولى، مطبعة المعارف - بغداد، تشرين الاول ١٩٧٦. ولد في الكاظمية ٦ نيسان ١٩٢٧م وقيل انه توفي بعد ٢٠٠٣ بقليل.
- (٣) صبور عبدالكريم حمه كريم، رسالة ماجستير من كلية التربية - ابن رشد (باللغة الكوردية)، ٢٠٠٨، والرسالة بعنوان شخصية الحلاج ورؤاه عند الشاعر العرفاني الكوردي محوي من جهة والشاعر العرفاني الفارسي حافظ الشيرازي من جهة أخرى، وبغية توسيع المقارنة اورد الباحث قصائد (١٤) شاعراً من الكورد والفرس.
- (٤) كنز ربا (الكنز العظيم)، الكتاب المقدس للصائبة المندائيين ترجمة اعدته للطبع والنشر لجنة مختصة في بغداد/ الطبعة الثانية ٢٠٠١م.
- (٥) ابن كثير، قصص الأنبياء ص ٣١٨ - ص ٣٢٠، الطبعة الصادرة عن دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان ١٩٨٨م.
- (٦) رابند رانات طاغور، اليراعات، نقلها الى العربية الدكتور بديع حقي، دار الشيخ للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ١٩٨٨م.
- (٧) المصدر السابق.
- (٨) نفس المصدر.
- (٩) نفس المصدر.
- (١٠) نفس المصدر.
- (١١) مثنوي مولانا جلال الدين الرومي (الكتاب الثالث) ص ٣١ - ص ٣٢، ترجمه الى

العربية وشرحه وقدم له د. أبراهيم الدسوقي شتا، المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأيدية، القاهرة ١٩٩٧.

(١٢) الأبدال: - حسب قاموس المصطلحات العرفانية والتصوفية - الحكام الباطنيون على الاقاليم السبعة التي ينقسم العالم اليها حسب منظور الجغرافيا الاسلامية. وهؤلاء السبعة يسمون كذلك بالأبرار أو الأولياء السبعة. والرقم ٧ في كثير من الاساطير والروايات المذهبية الشرقية ذو قيمة معنوية مقدسة. انظر ص ٥٠١ من المصدر السابق. هذا ويبدأ تصنيف العالم الجغرافي الروحي إلى سبعة اقاليم من عهد زردشت الحكيم، والذي وضع او ذكر لكل اقليم حاكماً باطنياً أو حارساً معنوياً، فمعظم كوردستان الكبيرة جغرافياً تقع، حسب تصنيف الثقافة الزردشتية في الاقليم الرابع الذي يعتبره زردشت اقليماً يغمره النور والخصب والبركة ويحرسه بنفسه بالتجوال فيه على عربية مذهب (في عالم المعني) كما يرد ذلك في نصوص الأفتستا.

(١٣) نفس المصدر (من الكتاب الثالث للمثنوي) ص ١٧٦.

(١٤) نفس المصدر ص ١٨٠-١٨١.

(١٥) د. ابراهيم الدسوقي شتا، مقدمة الكتاب الأول للمثنوي (المترجم الى العربية) ص ٥.

(١٦) أحمد خاني، مم و زين، اثر أدبي كوردي، ترجمه الى العربية وشرحه جان دوست، دار الزمان، دمشق ٢٠٠٨م. انظر ص ٤٧٧.

(١٧) المصدر السابق

(١٨) المصدر السابق

(١٩) المصدر السابق ص ٣٨٢

(٢٠) المصدر السابق ص ٤١٤

(٢١) بابا مردوخ روحاني "شيو"، تاريخ مشاهير كرد (باللغة الفارسية) ص ٥٤، نشر سروش، طهران، ١٣٦٤ هجري شمسي.

(٢٢) د. مهدي أمين رضوي، سهروردي ومكتب اشراق (بالفارسية)، أي: السهروردي ومكتب الاشراق، وضعه المؤلف بالانكليزية في لندن لأعداد رسالة الدكتوراه في فلسفة الاشراق عام ١٩٩٧، ترجمه الى الفارسية د. مجد الدين كيواني، نشر مركز، تهران ١٣٧٧ هجري شمسي.

شوق الى الازل

١

الطين مسكني. والى الطين والعشب انتمي.. استشعر الارتعاش اللذيذ اذ
اعود -ملايين السنين- الى الحياة، طريقة ندية بدائية. عند تخوم اول بحر في
بدء الخليقة حيث كل شيء يتحرك بلا وعي، ولم تدب الاحياء المعقدة بعد..

٢

من ردهتي.. افكر في حياة أصيلة.. ومنها ارى نهراً ساطعاً، واضحاً،
شفافاً.. جميلاً.. ذا سكون يغمر أشياء كثيرة سوى فكري المارد، العائد الى
الأزل بجنون.. من ردهتي ارى السماء، نفس سماء الأزل، زرقاء كالبحر الأول،
صافية كعين السرطان، تمنحني ارتعاش الحنين والشوق.. الحنين الى فجر
الخليقة، حيث الحياة خلايا بسيطة، ضائعة.. لا تفقة. لا تستفسر. لاتساءل..
لاتتألم. ولاتعرف الحرب. والشوق الى نهاية الحياة، حيث الصمت الطبيعي،
صمت اللاوعي، يلف كل شيء من جديد.. كأن لم تكن حياة، ولم أكن، ولم أحن
ولم اشتق^(١)..

(١) شوق الى الموطن الاول الاصلي، موطن النور.

كتابة بالبياض على البياض

١

لست شاعراً.

ومع ذلك اتساءل: ما الفرق بين ملحمة شعرية وبين هذا الجنون:

- خلقتني عشقي بوجودي، الذي ينبثق من حبي المنعكس على الوجود ذاته..
ففي عشقي، يعشق الوجود ذاته^(١).

خلقتني عشقي للون والصوت والحركة، وظلال الامواج المنكسرة على شطآن
الغدير، حيث الأحياء البدائية تعيش بالفطرة، ولا تسأل عن سر هذا العشق.

وخلقتني غرامي بالاستلقاء على العشب الطري الناعم وتأمل السماء، والدروب
الزرقاء الوهمية تقطعها أسراب الكراكي والاوز.

انساننا المعاصر.. الانسان الذي هو انا، جائع الى الهدوء.. الى الكلمة الهادئة.
يعطش الى الحكمة والى جرعة من الصدق.

وحين يسأله عن مرضه، يرفض الاعلان عن معاناته لهذا الجوع والعطش..
فمن اين يأتيه الخلاص، ان لم يكن صادقاً في البحث عن الخلاص، من أين؟
من أين؟

٢

لست اوجز الكلمة^(٢)، إيماناً مني بعصر السرعة او سرعة العصر.. فهذا امر

(١) فالإنسان في لحظة ما هو الكون كله والوجود كله، كل رعشة في وجدانه تهز هذا
الكون العظيم، مثل يد أم حنون تهز المهد برفق.

(٢) صرت أميل الى الأيجاز والاختزال في الكتابة ... الى حد المحو أو الكتابة بالبياض
على البياض.

نسبي نتوهمه نحن في هذا العصر فقط..
اوجز الكلمة.. لأن الحياة أعمق من أن يعيشها الانسان بالتأمل وحده.
لحظات التأمل الخاطفة تقوم بهذا الواجب فحسب: واجب التذكير بحقيقة
الحياة التي هي أعمق من أن نقلتها بالتأمل.

حلاحيات العدد (٧٢٥) الثلاثاء ٤ آيار ١٩٧١

حوار الحلاج

١

رحلت مع الحلم الى ما قبل ألف عام، حيث الحلاج لم يزل مصلوباً، غارقاً في الوجد.. ايظته سائلاً:

- ايها الحلاج، ماذا تعمل لو انزلوك من الصليب، ونصبوك حاكماً؟
- لاسمح الله يا بني. عزائي الوحيد هو عدم صيرورتي حاكماً. فلن يشتمني أحد. ولن يرهبني طفل..
- ايها الحلاج، لو كنت الآن حاكماً، لا مصلوباً فماذا كنت تعمل من اجل الناس؟

- استقبل راضياً، متنازلاً عن كل شيء، حالما ارى الناس يرفضونني او اشعر بالعجز عن تدبير شؤون الناس.. ثم احمل صليبي بنفسي الى هنا.. حيث انا.

- ايها الحلاج، هل الموت حق وعدل؟
- هو كذلك على أن تكون الحياة عادلة وحققة كما يقول شاعرك المعاصر الجميل كالآله، ناظم حكمت..

٢

استغرق الحلاج في وجده العميق متوضئاً بدمه، ساجداً للحق.. واستفتت من حلمي، وفركت عيني.. لأراني عارياً ينهشني الذم المفرط تارة، والمدح المفرط تارة اخرى.

قد يستفزني الذم فيحرضني على العمل..
قد يوقظني الذم من غفوة وهمية، فأجدني غافلاً، زاهلاً عن وجودي.

وقد لا يحركني الذم قيد انملة، ولا يثيرني، لأنه أمر شاذ عن الطبيعة، كما هو
المدح تماماً..
اما المدح فيشوهني ويخدعني.
ومن يمدحني، يحتقرني..
والمدح يمسخني قرداً يطرب للدف، ويطفيء يقطتي المتوهجة.. ويشل ابداعي.
احبتي، احبتي.
ذموني.. لاتمدحوني.
ذموني بكل ما وسعه الذم ولاتمدحوني في وجهي.
يكفيني من انا.
يكفيني من عرفته، هذا الذي هو أنا.

حلاجات العدد (٧٢٦) الاربعاء ٥ آيار ١٩٧١

الطين يكفيننا جميعا

١

كم اشتاق الى جنوني القديم!
سأبيع الطين، والعب عارياً حيث الثيل والنعناع والصفدعة الخضراء والطين
الغريني.
سأصنع مدينة طينية، وجيوشاً وملاعب وفيلة ومدفعاً واحداً. فالجيوش تحتل
الملاعب ويظل المدفع الوحيد يحرس المدينة. اما الفيلة فتنتقل اللوز والجوز
والكاكاو الى المخازن المشرعة الابواب ليل نهار.
أنا طفل فحسب.. طفل يعبث بالطين، ويطمح في بيعه للناس.

٢

تتعشني الرائحة الدافئة للطين المتخمر.. حين يتركه الفلاح طويلاً قبل ان
يطلي به سطوح كوخه في نهاية الخريف.
ستزيد حبات المطر هذه الكتل الطينية في الشتاء، لتعود الى الجدول العكر،
ويمتزج بالتراب.
فيعود الطين الخريفي يتخمر في فصل مقبل ليمنحني نشوة رائحته.
أهي خميرة الطبيعة؟ أم خميرة الانسان؟ ففي كل فصل يعود الطين للحياة.
ويعود. ويعود. ويعود.
كيف كنت سأحيا لو كان كل شيء هكذا، كما كان، وكما هو، الى الابد؟؟ بل
هل كنت سأوجد؟
انا العب. وانت تلعب، وهو يلعب. والطين يكفيننا جميعاً، لا يملكه أحد، ولا يرثه
أحد، ومع ذلك أطمح في بيعه للناس، فما العمل؟

حلاجات العدد (٧٢٧) الخميس ٦ آيار ١٩٧١

سيظل النمل نملاً

١

لاشيء يذكر..

يدب النمل على الأرض منذ خمسة وأربعين مليون عام.

ينتج النحل العسل ويحتفل بكل ربيع منذ اربعين مليون عام.

فلا النمل سأم الحياة ونبذها،

ولا النحل اضجره الشتاء وامتعض..

بعد قرون من تطور الانسان في مجتمعه على الارض، يتيه اليوم في شوارع

المدن المضطهدة ويستيقظ صباحاً.. كالخارج من قبره -بكفالة-.

لن يمهلك عزرائيل طويلاً.. سيلغي الكفالة، ويعود الخارج من القبر.. اليه، كما

هو.

ويظل النمل يتسلق الرخام الاملس لقبره..

وتظل اسراب النحل تهاجر الى الرياض المزهرة.

٢

سيظل النمل نملاً، وسيظل النحل نحلاً.

اما الانسان في المدن الجديدة.. فسيصير انساناً شاعراً خلاقاً وتتلون

أحلامه بالغسق في الزهرة والمريخ.

٣

ستظل الارض ارضاً. اما الانسان الراحل الى القمر فسيعود الى مدينته

الجديدة، اقوى من جاذبية الارض، واسرع من سرعتها.

اقواس القزح العدد (٦٦٤) - الاربعاء ١٧ شباط ١٩٧١

أطفال حفاة بلا حقوق قوس قزح

حين تفتقدوننى يوماً ستجدونني حيث الأطفال حفاة يلاحقون قوس قزح^(١) ويعودون خائبين في انتظار غيمة جديدة ارتفعت في الاقح الاخضر ولامت بظلالها حقول القمح والترع والأطفال الحفاة.. هاهي الحبات البلورية تلمع في الفضاء حيث الشمس والغيمة، فينتصب قوس جميل آخر، يكمل القرية الحبيبة والتلال.. هو الآخر يجري.. فيجري وراءه الأطفال وخلفهم يلهث وجداني. يبكي اذ بهتت ألوانه الوردية فيخلع كل شيء.. ويجري الآن عارياً.. عارياً كالشمس. ككل شيء حقيقي. هوذا الآن ينتظر غيمة مترعة بماء الورد. ذا. المطر ينهمر. ويغتسل وجداني. ما اسرعه الآن. هل وجدتموني -احبتي-.. هل عرفتم عنواني؟ للقرية الحبيبة عينان ترقبان العالم بدهشة الطفولة. انا العينان. تحاصرني باقواس قزح فلا تشاهدون في عيني سوى عالم ملون شفاف لن تشاهدوا دخاناً له، لن تشاهدوا التثاؤب في النهار^(٢).

-
- (١) نشرت بعض الوقت زاوية بعنوان (قوس قزح) أوائل عام ١٩٧١. كنت منذ طفولتي، مغرماً بتأمل وملاحقة أقواس القزح الجميلة التي تظهر فجأة فتختفي بعد قليل.
- (٢) هذه الألوان تنشأ عن مرور أشعة الشمس عبر قطرات المطر. كان يعجبني، حتى الآن، منظر الأقواس الكبيرة الناتجة عن ذلك.

اقواس القزح العدد (٦٦٦) - السبت ٢٠ شباط ١٩٧١

ان لا يملكني شيء

انا الآن أكثر حرية.. لا احب أن املك - شيئاً - لأنني لا احب ان يملكني أي شيء تكفيني رفقة حميمة لأنسان.. وكوز ماء. وهل نضب الماء في النبع؟ أم جفت مآقي الانسان؟ فلماذا العطش؟. لم أعد الهث وراء السؤال العليل المأزوم: - لماذا الحياة؟! سؤالي الملح، المتدفق زخماً: - كيف الحياة؟! رفقة حميمة لأنسان لا يحب ان يملكه أي شيء. ما اسعدني اذ اكتشفت انساناً كهذا في ركاب هذا العالم الذي يخنقه اللهاث وراء العبودية! ان يتخموا ان يمتلكوا. ان يكونوا كل شيء. فاذا هم -في نهاية المطاف جياح، مدقعون. لاشيء. فلم يصيروا شيئاً لأنهم عبيد -الشيء-. حرיתי اليوم أكبر.. اذ اسير عارياً. ما الذي يخفيه الآخرون اذ يتدثرون بالنفاق والغش؟! لا يخفون سوى الجشع.. وكومة من الدنئات، يعلبونها فيسمونها اسراراً. لا اسرار تحت الشمس. كل ما نخاله سراً، يعرفه الآخرون. وكل ما يخفونه تعرفه انت. اسافر عارياً مع اقواس القزح.

اقواس القزح العدد (٦٦٧) - الاحد ٢١ شباط ١٩٧١

يكفيني أنني انسان

عافتها نفسي. لاشيء يعوض الانسان عن وعي كامل.. شاعراً بأنه انسان.. فمنها قيد. ثمة هاجس بالرغبة- في الخلود ... حقاً؟؟ اسمعوا: - يكفيني انني انسان. ها قد خلق الجنس البشري محنة عصر الذرة. فشفت من داء الخلود. سأظل خالداً مادام على الارض انسان آخر^(١). أن اكون اقوى؟! أن أكون أغنى؟! اذا كانت الرغبة في الخلود توسوسني. ولما استيقظ الطفل في اقواس القزح: يبست جذور تلك الرغبة. لم لا امتلك حريتي؟ لمن اترك حقولي؟ عيناى تريان ابعد. وتغوصان اعمق، أعيش انساناً، في عالم انساني. فبدأت امتلك عالمي. والهو في حقولي. يعني ان الخطر النووي يهدد بقاء الجنس البشري فساكون خالداً لو بقي انسان مابعد "محنة الذرة" ... وهو أمر مشكوك فيه.

(١) كان خطر الأسلحة الذرية هاجساً يومياً ملحاً على ذهني.

اقواس القزح العدد (٦٦٨) -الائنين ٢٢ شباط ١٩٧١

خنادق

الخندق الاول مطمور، تعرضت عليه الأشواك. الخندق الثاني فاتح أشداقه، مسود الشفاه، يبست في حوافيه نباتات الخرنوب المحترقة. الخندق الثالث طري، رطب، في قاعة بركة ماء آسن يدب فيه الجندب^(١). تبدأ المسرحية هكذا: العدو يهتف بالمقاتل الحامل رفيقه الجريح على ظهره: - قف. والى به ارضاً. ويهرول المقاتل.. فالجريح يئن، ويتكرر الهاتف: - قف والا مزقت كبدك بصلية محرقة! قال الجريح لرفيقه: ماذا تعمل بي؟ - لن اتركك. ويهرول به ليختفي وراء تل صغير في اسفله بركة ماء. يقول الجريح: جف حلقي. فيهبطن، واذا يورده الماء بكفيه يئز رصاص ويقتلع الاظافر من أصابع يده اليسرى. أهاب المقاتل بنفسه وعاد الى بندقيته وقال: - مادامت يدي الأخرى سليمة.. سأقاوم. ويقاوم. الخندق الرابع مهجور، الخندق.. العاشر تبدأ فيه المقاومة. الحياة خالدة، الحياة تقاوم.

(١) حشرة من فصيل الصراصير.

اقواس القزح العدد (٦٦٩) - الثلاثاء ٢٣ شباط ١٩٧١

الانسان الممسوخ قرداً

قلتها في مناسبة سابقة: نقرأ قصص الف ليلة وليلة حيث الانسان ممسوخ قرداً. انه قرد ولكنه يعرف بأنه كان انساناً. انه انسان ولكنه لايقوى على الافصاح عن انه ليس قرداً. أي مسخ هذا؟ وأي سجن؟ قلنا: هذا هو جذر الظاهرة الاجتماعية التي ترعب. تناقض في الانسان الواحد بعينه. شكلان: حيواني وانساني. متقدم ومتخلف، متعلم وجاهل. انسان واحد يضيء وينطفئ في آن واحد. وعندنا.. ليس في الامر أي سر. مازال الانسان عبداً، ومازال عبداً في شكل انسان، سيظل مزدوج السلوك، متناقض السمات. منذ فجر الحضارة اضحى الانسان أسير جشع صغير، سجين الثروة، الثروة والثروة.. على حساب أثمان شيء: آدميته. التملك ليس غريزة كالجنس. انه عاهة أصابته في وعيه وشعوره. الجنس حياة وخلود. والتملك موت وفناء. هذا الحب الاسود لتملك ثروة العالم كلها. قاده الى أن يفقد الثروة الحقيقية التي كان يملكها: الشعور بانسانيته. كن عارياً مثلي، متحرراً من قيود مثل هذا الحب العبودي، ستكتشف كم هي الحياة جميلة، ساحرة.

اقواس القزح العدد (٦٧٠) - الاربعاء ٢٤ شباط ١٩٧١

هل يتعكر البحر

خجلت يوماً إذ تلوّثت بغبار الطريق. تساءلت: - أواه! كيف تعكر جدولي؟
الينبوع صاف، رقراق كعيون السرطان^(١). فمن أين تعكر الجدول؟ ولماذا؟ هل
لأن الدواب تجتازة؟ أم لأن العواصف عاتية؟ وأي صمت رهيب. أي حزن أليم
حين تكتشف فجأة أننا لسنا كما كنا نرى النبع كان صافياً - يا احبتي. واذ
غادرته.. لم يعد بوسعي أن أعود اليه مباشرةً. وهل ابرك^(٢)، لأتعفن وأأسن.. أم
أجري في جدولي؟ كان علي أن أجري، فلن أطيق مزيداً من العفونة. علي أن
أجري.. وأجري، لاروي جذوراً وأطفيء ظمأي. والرياحين والنرجس، و.. الدفلي.
قلت للدفلي: طعم ساقك مر كالعلقم. قال: حزناً على وفاة شقيقي! قلت: وما لي
ارى زهورك حمراء وردية؟ قال: كي لايشمت بي الصديق والعدو. اسرعت في
جرياني. فسأعود صافياً. أشد نقاء، حين أنوب في البحر العظيم. هل يتعكر
البحر؟ ما الذي يعكره وهو أعمق الاشياء؟ أحبتي، عدت اليكم صافياً.. نقياً.
الشعب^(٣). هو البحر الذي أعاد لي مرحي الحقيقي.

(١) الكائن الحي الجميل الذي يعيش على ضفاف الجداول.

(٢) اقصد: هل أركد وأخلد الى التعفن؟، فالراكد يتعفن، أما الجاري كالماء فيُنظف نفسه ويظل نقياً.

(٣) الشعب في هذه الحالات كناية عن الناس الذين تجمعني بهم العلاقات الحميمة...
فالحالة تعني تحرري من (الخوف من الآخرين... أو جحيم الآخرين) والأندماج
العفوي بالحياة كما هي.

حلاجات العدد (٦٧٢) السبت ٢٧ شباط ١٩٧١

أخال اليوم فجر الحقيقة

مدهش... انا ذا اعيش يوماً آخر^(١).. بوسعي أن الهو طوال يوم كامل. يا للسعادة!

أشرب. أكل. أسير. اعمل. اتكلم. التقي أناساً لاحصر لعددهم. ارى من الأشياء ما لا يعد. يوم آخر يضاف الى عمر الحياة..

يكفيني نشوة، انني لم ازل أعيش. يا للدهشة أمازلت قادراً على التنفس؟ أمازلت قادراً على السماع؟

قالت طفليتي: هل تلعب معي؟

قلت: ماذا تلعب؟

قالت: خذ.

اعطتني منديلاً. وطلبت أن اغمض عيني، ريثما تختفي ثم أحاول العثور عليها.. وأستغربت الطفلة حين قمت وحملتها للهو بها في فضاء رهتي. ضحكت في مرح. فهي تهوي هذا اللعب أكثر. وبالييتها تعرف.

انني لا أطيق أن أغمض عيني لحظة. لكي اعاود اكتشاف ما أكتشفته. يكفيني فرحاً انها تمرح معي.

هل تختفي لحظات عني؟ هل تختفي عني الحياة .. للحظات ونهاري ليس طويلاً؟

اعيش اليوم نهراًً آخر. أخاله آخر نهار من عمري. أخاله فجر الخليقة. أخاله اليوم الأول الذي خلق فيه العالم^(٢).

يومي بهيج .. بهيج.

(١) و(٢) ذروة الرعدة بالشعور باحتفال الوجود بذاته.

حلاحيات العدد (٦٩٨) الخميس ١ نيسان ١٩٧١

المعروض... مطلب شعب

المعروض: سيدي.. أريد عملاً، وشق مزيد من الجداول، وحراسة المزارع بيقظة.
أريد دواء أكثر للحارثين، ومكافحة أوسع للأمية.
وبعد. يا سيدي..

أريد صيانة السلم في كردستان. أريد تعميق ثقة الشعب بنفسه، لتفجير
قواه وامكانياته.

اتفاقية آذار^(١).. ثورة وتآلف.. وسلم. أريد صيانة الاتفاقية - جوهرها، كي لا
تُمرّقه الدوامات الهوائية الصغيرة.

أريد -سيدي- اقتلاع بقايا جذور الاقطاع..
لم تنته عريضتي.. لن تنتهي.

فالمعروض: مطلب شعب يريد ان يسعد في وطنه. والكورد يريدون ان
تؤاخيهم شعوب الأرض كلها.. ويريدون السلام من اجل (پرشنك) و(ژيان)
و(نازاد) و(نه رمين) من اجل (رعد) و(قيس) من اجل (جون) و(تانيا) و(جوان).
المعروض: كردستان.. هذه الأرض الطيبة تعشق الوان الشفق.. واقواس
القرح.

كوردستان تحب أطفالها، مثل كل أم حنون..

٢

أماه! لم ترضعيني لتبكي من أجلي.. بعد ذلك.
لم ترضعيني الحزن والحقد.

(١) اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ كان الأمل الأكبر للسلام في تلك الفترة.

حلاجات العدد (٦٩٩) السبت ٣ نيسان ١٩٧١

قصة فولكلورية كوردية

١

قصة فولكلورية كوردية: اب تزوجت ابنتاه، احدهما تزوجت مزارعاً، والآخرى خزاناً. سأل الاب اولاهما:

- كيف وضعكما.. يا بنيتي؟

- لو تمطر السماء! زرنا كثيراً.

وسأل الثانية:

- وأنتم يا بنيتي؟

- لو لم تمطر السماء! صنعنا خزفيات كثيرة.

احترار الاب وتردد: ماذا يقرر؟ ماذا يقول؟ اخيراً نطق وقال:

- لا بد ان ينكب الدهر بأحداكما اذن؟ فالسما تمطر أو لاتمطر.

٢

ليست السماء تمطر. الارض تمطر. فالغيوم المحلقة في الجو عائدة الى البحار كما خرجت منها.

٣

يا شقيقة روجي، يا إنسانة فكري:

منك تعلمت حب الأمور الصغيرة التي هي في النهاية من أكبر الأمور، منك تعلمت الحنان، وكل ما يدثر كلماتي من نضارة ويناعة.. من صنع وجودك الذي يحتضن وجودي.

كنت طفلاً شقيماً مشرداً.. فلامست جيبني في حب وتبعتك.

سأتبعك الى مصب النهر. هل ترحلين؟ خذي. قاربي بلا شرع.

٤

يا ارضاً تموج بالحياة.. متى تحلين بالأنسان الاخير؟؟

حلاجات العدد (٧٠١) الاثنين ٥ نيسان ١٩٧١

الانسان الواحد بعد المليون... انسان

١

ليست للفلس الواحد عند المعدم قيمة كبيرة، لأن هذا الفلس لا يضاف الى أي شيء.

ولكن له قيمة كبيرة لدى المليونير لأنه يضاف الى فلوس أخرى بالملايين.

الفلس عند المعدم واحد. والفلس عند المليونير هو الواحد بعد المليون. قيمة الفلس نسبية، الا ان هذه القيمة تحدد نظرة الانسان الى الحياة، والى الفلس ايضاً. اما عندنا (في المستوى الأعلى للحياة)، فالأمر يختلف تماماً لأن القيمة الوحيدة التي تحدد نظرتنا: هي الانسان نفسه.

الانسان الواحد هو واحد، ولكنه انسان.

والانسان الواحد بعد المليون هو أيضاً انسان. مهما تعاضم الجمع فهو انسان.

ولسنا نضعه هنا كفردي مقابل المجموع، وانما نمنحه قيمته كعضو حي خلاق ضمن المجموع.

ادرك الانسان اسرار حياته الانسانية في وجوده الاجتماعي.

وعرف نفسه من خلال تطوره الاجتماعي. فالأثانية المفرطة في السلوك تُناقض ارادته الخلاقة في التطور.

العمل الجماعي هو الحقل الذي تزدهر فيه شخصية الانسان، وتتفتح كوردة ندية في فجر نيسان.

٢

ان مت يوماً قبل الأوان.. فذلك لأنني رغبت فيه!

حلاجات العدد (٧٠٢) الثلاثاء ٦ نيسان ١٩٧١

اعط تعطى

قليلاً ما نسمع العبارات البليغة من الساسة التقليديين في هذا العقد. اذ تعج خطبهم بالأرقام والكلمات الباردة. ومع ذلك سمعت احدهم يقول:

- سنكاشف الشعب بما لانقدر عليه! لن يقول هذا الا من يثق بالشعب. ثمة حقيقة بسيطة تقول: انت لا تستطيع ان تنال ثقة الآخرين ما لم تمنحهم ثقتك. وهكذا الأمر مع الشعب. لكي ينال السياسي ثقته الحقيقية، ينبغي ان يثق به. ودلائل الثقة تعبر عن نفسها في مكاشفته بما يقدر عليه وما لا يقدر. فسيفهم الشعب حتماً حقيقة المصاعب وبدلاً من ان يتذمر، سيبادر لتذليلها.

نحن نريد من شعبنا أن يمتلك ارادته. ولكي يحقق ارادته ينبغي ان يكون طليق اليدين. فينبغي ان ينال حرياته الديمقراطية التي توفر له القوة للانطلاق. اذ كيف يبادر وهو مشلول؟

- اعط تعطى-. امنح الشعب ثقتك ووفاءك يمنحك الحب والثقة والطيبة والخير.

نحن في حاجة الى مراجعة قناعاتنا. السننا ذاتيين (انانيين) الى الحد الذي نسينا فيه الشعب؟ ضمير الجمع هنا.. هم الشعراء والادباء.

حلجيات العدد (٧٠٣) الاربعاء ٧ نيسان ١٩٧١

الانسان يحتمي بالأنسان

الانسان يبحث عن الدفاء والاطمئنان في رفقة الانسان.
بئس الحياة، حين يخشى الانسان انساناً، فيحتمي بالأحراش والكهوف
والاشجار والصخور الكبيرة ودخان الغازات المسيلة للدموع وكلاب الصيد
والزوارق الحربية.
بئس الحياة حين يبحث الانسان عن الاطمئنان في الخنادق الموحشة
والدوارس المهجورة.
نحن نعشق الحياة طليقة في الساحات التي تكتظ بالبشر. لسنا نحب الظلام
والكهوف ولدغة العقارب في الأحراش.
ومع ذلك نرى، كما رأينا- انفسنا.. نحتمي من شرور بعضنا ونستنجد بكل
ادغال الطبيعة حتى ليليالي الشتاء الممطرة وضباب الفجر والطرق الوعرة في
الجبال والمخابيء القذرة والكمائن والربايا.
نرى الانسان في فيتنام يتراجع الى الادغال^(١). نراه في فلسطين يغور في
الكهوف. نراه في انغولا ينافس الوحوش على مخابئها. نراه في روما يحتمي
بالمتاريس التي ينصبها في الشارع.
نحن نعشق الحياة بحرارة، وسيجد الانسان اطمئنانه في الاحتماء بالأنسان.
من هنا تبدأ الحياة التي نريد.

(١) هنا ملاحظة سريعة عن الحالة السياسية آنذاك.

حلاليات العدد (٧٠٤) الخميس ٨ نيسان ١٩٧١

هل تدري لماذا كنت مفجوعاً؟

هل تدري لماذا انا مفجوع؟

لأنني أدق حديداً بارداً.

ادق حديداً.. اعرف بأنه بارد.

هل يذوب جليد عشرين، عشرين قرناً، بشمعة تحترق في كهف حجري

مغمور؟

ومع ذلك تلهمني كلمات كونفوشيوس:

(ان تشعل شمعة خير من ان تلعن الظلام).

فلن العن الحديد البارد.

لن العن الجليد ولا الظلام.

لن ألعن نفسي، ولا أي كائن آخر.

لن تخضر "اللجنة" ولن تثمر:

فماذا افعل؟؟ قال الحكيم الكوردي:

- انت تنفخ في الحديد البارد!

هل يلين الحديد البارد بالنفخ؟؟ لا بأس. هذه هي البداية. بدأت ادرك ما ينبغي

ان اعمل. ما زلت في اول الدرب.

ينبغي ان امتلك ارادتي، وبعد ذلك سيلين لي الحديد ويذوب لي الجليد.

لما كانت شمعتي، بمفردها، لاتضيء سوى زاوية ضيقة،

لما كانت مطرقتي، بوحدها، لا تدق سوى جزء "صغير" من الحديد البارد،

لما كان نفخي -بوحدي- لايجدي فتيلاً! فأنتزع عن نفسي اردية الذاتية

والفردية (الأثانية)، وانضم طوعاً واختياراً الى مجموع الشعب.

حين يمتلك الشعب ارادته الجماعية، تلين له جبال الحديد، وتذوب امامه قرون
الجليد^(١).. وينهزم الظلام حتى من القطب المتجمد، شماله أو جنوبه.
ثم أعد مفاجئاً.
سأمتلك ارادتي، ضمن الكفاح الجماعي للشعب، وللبشرية جمعاء، الحكيم
الكوردي قال:
لن تصفق اليد الواحدة!

(١) بدأت الثلوج القطبية بالذوبان خلال القرن العشرين، بتأثير ارتفاع الحرارة وتغيير
مناخ كوكب الأرض!

حلاحيات العدد (٧٠٥) السبت ١٠ نيسان ١٩٧١

احلج، احلج، يا حلج،
يا غارساً قديمك في الطين، احلج.
هي حياة واحدة اعطيت،
لن تُعْطَ غيرها. لن تُعْطَ غيرها لن تُعْطَ غيرها.
فاحلج. احلج، يا حلج،
ولا تخش اللصوص لأنك لا تملك شيئاً.
لن يسرقوك، لأنك -ايضاً- لص، تسرق النوم من أعين الناس، الا تحب
الناس؟

فكيف تحلج وهم نائمون؟

احلج. احلج.

لن تتهشم الحروف في أي محلج آخر كما هي في محلجك.

فانسج ثوباً وردياً،

انسج شالاً أصفر،

انسج كفنأً أحمر،

انسج نقاباً أسود.

اعط الثوب الوردي لصبية كوردستانية تقطف التفاح البري، واعط الشال
الاصفر لعروس كوردستانية تعود الى دار أمها، بعد اسبوع الزفاف.

اما النقاب الاسود.. فأعطه واحداً من هؤلاء: اما للذي يقدر أهمية الكفاح
الجماهيري اليومي المنظم، ثم يتقاعس وينعزل،

أو للص الذي يركب موجات ثورة الشعوب في آخر لحظات الانتصار،
فيوجهها الى طاحونته!

أو للمناق الذي يطعن وطنه في صدره وظهره،
أو للمتقف الذي يهرب دائماً كلما ادلهمت الظلماء داخل الوطن.
للنقاب الأسود وجوه كثيرة، يا حلاج، فانسج اقنعة سوداء عديدة، بعدد
الصوص. ثم سجل في مفكرتك اليومية أسماء الذين يشترونها. وياك ان تفشي
اسراراً أكثر!

١

لو ظل الرجال مشاغبين ومشاكسين كما هم اليوم، يشنون الحروب حين يطغون ويمتلكون المال وقيادة الجيش والادارة.. فسيأتي اليوم الذي تضطر فيه النساء الى تسنم كل المناصب الحساسة في العالم^(١).
سيأتي ذلك اليوم، وعلى الرجال الطيبين الا يخشوا شيئاً. فلن تفعل النساء بالعالم سوى اخماد الحروب فيها، واطفاء مواقد الأشرار ووضع الرجال في رياض جميلة للأطفال الكبار!

٢

جاغتنا اجنحة المروحة الكهربائية المصنوعة في الهند^(٢)، ملفوفة بقطعة نايلون..

النايلون تعبق منه رائحة التّرول وعلطور فتيات الهند العاملات.
تمتّزج بها روائح التوابل والموز والبقر، ودخان الاساطير، والعرق الغزير الذي يسبح على اجسام النساء العاريات، عابדות القمر، حين يخرجن الى الحقول ليلاً، في مواسم الجفاف، ويبتهلن الى القمر بجمال الجسم، راجيات منه أن يبيكي كثيراً، لتمطر السماء وتمطر. وتمطر^(٣).
موسم الجفاف، يعري النساء في الهند.
موسم الجفاف يقتل المواشي في العراق.
موسم الجفاف يتحدى ارادة الانسان.

(١) ربما قد اقترب ذلك اليوم، فقد أزداد دور النساء في العقود الأخيرة.

(٢) المروحة الهوائية المعلقة من سقف غرفتي كانت هندية الصنع.

(٣) عادة هندية في بعض أرجاء هذا البلد.

يا لقسوة الطبيعة! ففي موسم الجفاف يكثر الجراد والذباب والبعوض..
اما الانسان فاستيقظ من موسم جفافه منذ عهد قريب. هاهو يتقرب ليفجر
قواه، وينابيع ابداعه..
جفاف الطبيعة غير جفاف الانسان. أجنحة المروحة المصنوعة من قبل فتيات
الهند، عاشقات القمر.. تلتف لهيب الجفاف في صدري، وتنقل لي رطوبة المطر
الذي يزخ في الهند صيفاً.
أما الآن فلست متأكداً من صواب هذا التصور الذي أتى في لحظة رومانسية،
تصبو نحو المطلق!

حلاحيات العدد (٧٠٧) الاثني ١٢ نيسان ١٩٧١

كتب لي صديق بأنه يشم اليأس من ثنايا كلماتي.
لا! يا عزيزي. لست يائساً، ولست مبشراً باليأس! انما انا احتج.
والاحتجاج يفترض اليأس والتفاؤل في آن واحد! اليأس من حالة معينة
والتفاؤل بحالة اخرى أحسن.

انا يائس من النظام الاستغلالي الذي بلغ نهاية مسدودة. فلو سار شعبنا فيه
لما نال سوى العذاب والدمار، ولكنني متفائل وهنا تتفتح الآفاق أمام الانسان
لكي يزدهر ويسمو.

فاذا كنت احتج ضد الاعراض والظواهر والقروح الرأسمالية بقوة ووضوح..
فانني اعلن -ضمنياً- عن يأسي التام من التحول الرأسمالي الا انه يأس نسبي
من نظام معين لايعيد سوى حكايات الاستغلال القديمة بصورة جديدة أشد
تركيزاً.

ويكمن الخطر في الاكتفاء باليأس، فالاحتجاج في لحظة ما قد يصير يائساً
تاماً، يدفعنا الى الركود ونبذ الكفاح وهنا يصير اليأس غاية بحد ذاتها.

ولكي نتجاوز اليأس، ينبغي ان نجد البديل عن الوضع الميؤوس منه، وهذا هو
ما يميزنا عن الفرديين والذاتيين والاتكاليين الذين يكتفون بالاحتجاج اليائس،
فيلعنون الحياة ويتركون ساحة الكفاح، مثلهم في ذلك مثل من يبدأ بتفسير
الواقع وينتهي بتبريره، كأن يقول:

ان الجهل واقع اجتماعي قائم. ثم نضيف قائلين: لن نتقدم مادام الجهل
قائماً.

ونستدرك بعد ذلك: مادام الجهل قائماً فكل ما نقوم به عبث ولهو! وهكذا بدأنا
بتفسير الواقع وانتهينا بتبريره. ومن ثم تبرير عجزنا.

الا اننا اغفلنا أهم حلقة في سلسلة وجودنا: هي المبادرة الانسانية، والقدرة

على الاختيار والتقيرير. وحالما نملك هذه المبادرة تنتهي كافة صور الاحتجاج السلبية.

صديقي العزيز: سأظل احتج وعلى مدى عمري -على الاقل- سيبقى هناك ما احتج عليه، فلا تيأس.

حلاحيات العدد (٧٠٨) الثلاثاء ١٣ نيسان ١٩٧١

يا معذبي! قر عيناً^(١)
تعلمت كيف اعذب نفسي.
الم تكن انت الذي وضعت السوط في يدي وقلت:
- هالك! ادبغ جلدك.. حتى الموت؟
هانذا افعل. الا تسمع دفوف الصدور؟
الا تسمع طبول الظهر؟
الا تسمع انين الزرد على العظام التي لاذنب لها سوى انها عظام بشرية؟
فيا ايها الطبقات المالكة، عبر التاريخ: قري عيناً!
ماكان ينبغي ان تقومي به ضد الانسان،
هاهو الانسان ينفذه بحق نفسه،
فقد تعلم كيف يعادي الحياة.
اعارك يديه، واعرته -انت- السياط والزرذ،
وراح يسوط -بلا رحمة- الظهر الذي يمثل مخدراً، مدمياً، صامتاً.
ويجلد الصدر الذي يهدر بالشكوى،
لأن الظهر ليس ظهره هو،
بل هو الظهر الذي يحمل البن والقمح والذهب الى مستودعك،
والصدر ليس صدره هو،
بل هو الصدر الذي يعوي فيه السل والألم والقهر.
ايتهها الطبقات المالكة: قري عيناً!
تعلمنا منك ما فيه الكفاية، كي ننفذ أحكامك في أنفسنا بانفسنا، فنوجه

(١) من وحي مشاهدة أحد مواكب عاشوراء آنذاك.

اللطفة الى صدورنا. ونوجه اللعنة الى وجوهنا. وننام في العراء بانتظار جثتنا.
ايها الحداة! يا حداة القافلة الدموية!
اثيروا! اثيروا الشجن.
خيظوا للانسان الكفن،
واسلموه للسياط والزرد.
ولاتدعوه ينسى لحظة أنه معذب، معذب!
ذكروه ابدأً بالعذاب،
ذكروه بأن ظهره ليس له،
وصدره ليس له، ويديه ليستا له،
بل السياط وحدها له!
يا معذبي! قر عيناً!
تعودت أهات العذاب.

حلاحيات العدد (٧١١) السبت ١٧ نيسان ١٩٧١

لماذا نعادي الحياة؟ من علمنا هذا الاحتقار لوجودنا؟ من علمنا هذه الغفلة عن حقيقتنا؟ من خدّرنا؟ كي نبني حقاً، ينبغي ان ننطلق من مبدأ الايمان بجدوى ما نبنيه. وكي نؤمن بأننا نستحق الحياة، ينبغي ان نمزق الحجاب عن وجه حب ساخن دفين في أعماقنا، حب عميق حار يحتضن الحياة بشوق.

ليس رائعاً أننا أناسي^(١)؟ حين يحل السلام بيننا وبين الحياة ننطلق بقوى جديدة، حبيسة منذ ازمان سحيقة، مطمورة -قسراً- غافلين عن استغلالها^(٢).
ليس مثل هذا السلام هيناً، حيث العلاقات الاجتماعية المشوهة، تصب في وجداننا مجاري أوساخها، باستمرار، ورغماً عنا.

ليس هيناً أن نسالم عالماً نعرف عنه بأنه ليس كما ينبغي أن يكون، وكما يمكن أن يكون.

ليس هيناً أن نعيش عادات وعلاقات وأنماطاً من العيش، نعرف عنها، بانها تنصير طرائف ونوادير لو سمعها الجيل السادس الذي يعقبنا ومع ذلك نجد في انفسنا القدرة على مثل ذلك الحب، وهذا السلام، مع استعدادنا اليومي للأحتجاج ضد كل ما يستبد بوجودنا ويقلصه او يشوّهه.

نحن الآن، ولكي نعيش مع الحياة بسلام، ينبغي ان نتعلم الاحتجاج، والاحتجاج هنا هي الاشارة الخضراء لوصول قطار الحب الى محطاتنا.

الا ان احتجاجنا ليس ضد العالم او ضد وجودنا فيه، بل هو ضد ما يشوّه ويذيف هذا الوجود.

بيدو انني كنت متفائلاً جداً، اقرب الى الخيمة المطلقة!

(١) أناس: جمع انسان. والأنسان يعني: أثنان من الأنس. آدم انس، وحواء انس. وكلاهما معاً: انسان. هكذا أفهم الموضوع لغوياً.

(٢) أشعر دائماً اننا أعداء للحياة بدون مبرر معروف، وناقض فطرتنا مما أبعدها عن جوهر وجودنا الكوني.

حلجيات العدد (٧١٣) الاحد ١٨ نيسان ١٩٧١

من الأوهام الطريفة التي تزينها لنا تصوراتنا الأرضية المحدودة^(١) قولنا:

- اشرفت الشمس علينا.

ونحن ندرك حقيقة دوران الارض حول نفسها، وكيف تعرض للشمس وجهها الذي نعيش عليه. فتكون الارض هي التي تشرق على الشمس ونكون نحن الذين نبزغ، أما الشمس فتغمرنا بضياؤها الساخن اللذيذ.

يصعب الاعتياد على العبارة الجديدة، طالما أننا منذ قرون نتصور الشمس تشرق، وكأنها هي التي تدور حولنا، فتغطس في الفضاء غرباً، ثم تعوم فيه شرقاً. وما نسميه بالشرق هو غرب بالنسبة لغيرنا، وغربهم هو شرقنا. ثم حين نطلق مع اجرامنا الفضائية الى المدارات حول المريخ ستتغير دلالات الشرق والغرب ايضاً. وبانطلاقنا ابعد سنكف عن إطلاق هذه الأسماء التي لانجد لها مسميات.

ذلك مما تزينه لنا أوهامنا الارضية، لأننا محكومون بشروط معينة، من حياة الارض ومركزها في الكون، مما لا فكاك لنا منها.

مهما بالغنا وتطرقنا في البحث عن -الماهية- و-الجوهر- فيما وراء الطبيعة. نحن لا نعيش في قيعان محيطات المياه. ولكننا نعيش في قيعان اوقيانوس الهواء. فنحن أشبه ما نكون بأسمك هوائية. من يستطيع التلمص من اوقيانوس الهواء هذا، ثم يواصل الحياة.

من الطريف ان نعجز عن النظر الى أمور حسب معطيات علومنا فنحن نرفع أبصارنا نحو السماء وننعتها بالجمال، في نفس اللحظة التي قد يراها فيها غيرنا غير جميلة، بل ومعدومة التأثير في النفس.

نسأل انفسنا: من هو الذي يسبغ على السماء هذه النعوت غيرنا، وهل تدرك

(١) أدرك أن وجودنا على كوكب الأرض محدود جداً فتصوراتنا محدودة وقاصرة.

السماء ذاتها كما نصفها ونفسرها؟ ليست السماء زرقاء إلا كما نراها من جو الأرض، ثم انها ليست كائناً ملموساً، بل هي الحجاب الذي لا يستطيع بصرنا البشري اختراقه، ليرى الشموس والمجرات اللانهائية الممتدة فيما وراءه. معطيات علومنا تثيرنا، وتقلب مفاهيمنا، وتمنحنا مفاتيح جديدة لفتح مغاليق حياتنا والكون الذي نسكنه، وسنظل مدة طويلة نردد ترديداً لا واعياً ما اكتسبناه بفعل العادة والايحاء.

حلاحيات العدد (٧١٤) الاثني ١٩ نيسان ١٩٧١

يا للرخص والهوان! الحب يباع ويشتري ويداس!

يا للضيعة والألم! الحب يضاع وينسى ويشوه!

تقول -رابعة العدوية- من فرط حبها:

"ان حب الله قد ملأ قلبي حتى لم يبق فيه مكان لكراهية احد. لم اعبده خوفاً من ناره،

ولا طمعاً في جنته،

عبدته لذاته، عبدته حباً له وشوقاً اليه".

يتفجر بأعماقنا ينبوع جديد، حين نرى انفسنا قادرين على الحب^(١)، باحترام كل الناس، وعدم الاستعلاء على احد، ومن ضمنهم هؤلاء الذين هم نحن.

تقول العدوية العاشقة^(٢): أحب خالقي.

نقول نحن: خالقنا هو حبنا.

ان حبنا يغيرنا، ويخلقنا من جديد، كل لحظة. ماذا كنا نعمل لو لم نوهب هذه الحاسة الجميلة التي لا اداة لها سوى الوعي^(٣) بتوهج الوجود؟ هل تسمعونني؟ فجأة، تتوهج اشراقة ما، في لحظة ارى فيها العالم واضحاً جميلاً، هادئاً، عميقاً، ومنسجماً. ثم تنطفيء الاشراقة بسرعة، والأمل الوحيد هو انها ستتوهج

(١) هذه القدرة على الحب ستظل هدفاً منشوداً لمن يريد عالماً أجمل.

(٢) رابعة العدوية عاشقة لله، غارقة في حبه اللانهائي، وهي امرأة ناسكة زاهدة معروفة في تاريخ التصوف والعرفان، سجلت صفحة من سفر الانسان نحو الأرتقاء المعنوي الروحي.

(٣) توصل المتصوفة والحكماء إلى ان نجاح الإنسان في الوجود هو الأرتقاء الى مستوي العيش والوعي باللحظة حيثما هو في المكان والزمان... بمعنى ان يعي دائماً أين هو.

من جديد في لحظة ما .

رحت اعني حبي، ورحت احب بوعي. وأنا في طريقي الى هذا الكنز الجديد في عالمي.

ماذا اسميه؟ تذكروا.. -الحب الواعي-. لا املك لحد الآن اسماً سواه، للكنز الجديد.

الحب الواعي، دافئ، عميق، نابع من الاحساس المنسجم بعيداً عن النرجسية او الاستعلاء او الهم.

هل احلم؟ اوقظوني ان كنت حالمًا. الا انني أرى العالم حقاً اوضح من أي يوم آخر.

الحب الواعي هو جزيرتي الجديدة المكتشفة.

حلاحيات العدد (٧١٤) الثلاثاء ٢٠ نيسان ١٩٧١

في لحظة ما، ارى أجزاء وذرات الحياة كلها متناسقة منسجمة متناغمة رغم التشويه الذي في علاقات الناس ببعضهم.

ان الشر هو في علاقاتنا (الاجتماعية) السيئة المشوهة التي اقمناها مع انفسنا ومع الطبيعة. وهي علاقات اجتماعية -اساساً- نابعة من النظام الاجتماعي الموروث منذ فجر الحضارة.

في لحظة ما ارى كل شيء في الطبيعة بلا أي حجاب او رتوش. اعشق هذه اللحظات لأنها لحظات الاشراق والتجلي، ارى فيها الطين الطري طيناً، والناس ناساً، والزاغ زاغاً.. وليس أي شيء آخر! اريد ان انزع عن الاشياء ادغال تصوراتنا واوهامنا، فاشاهدها والمسها كما هي، عارية..

ثمة فرق جذري بين الحقيقة العارية كما هي، وبين الظواهر التي تخدعنا، وكذلك بينها وبين التجريد في الفن. من الحقيقة العارية ان ندرك عملية التمثيل الضوئي -في النبات- كعملية حية تجري في كل مكان يوجد الينحضور والماء والهواء والشمس وتربة صالحة.

وليست هناك عملية للتمثيل الضوئي بحد ذاتها، وبمعزل عن العناصر والشروط المذكورة.

كما انه ليس من الجمال أو الابداع او الكمال ان نقوم بتشويه حقيقة هذه العملية الرائعة، الصامتة في الطبيعة، عن طريق عبارات مفككة غامضة، او رسوم سريرية لا يوظفها مقياس أو ذوق.

يمكننا فقط، ان نشبه عملية التمثيل الضوئي، بعملية الخلق الفني الأصيل، حين يخلو الفنان بنفسه، لتشرق في ذهنه لحظات التجلي والاشراق، فيرى كل شيء واضحاً كما هو، ومن خلال هذه الرؤية الواضحة -التي هي نزوة ما بلغه الانسان لحد الآن- يمكنه ان يخلق عالمه الجديد، الذي يتطلع اليه، والذي ينبغي أو يمكن ان يكون.

عملية التمثيل الضوئي من أعمق العمليات الحية في الطبيعة، واجملها شاعرية.

وعملية الخلق الفني من أسمى ما يقوم به الانسان، وانا اعني بالخلق الفني كل عمل مبدع ينجزه الانسان سواء كان اكتشافاً علمياً او تصميمياً او ابداعاً فنياً في اي حقل.

حلاجات العدد (٧١٦) الاربعاء ٢١ نيسان ١٩٧١

متى نخلق على الأرض علاقات انسانية، نطمئن اليها بارتياح؟ نرى باننا سنخلق مجتمعاً سعيداً كهذا حين:

نكون -كلنا- مسؤولين عن كل شيء،

ويكون كل منا -على انفراد- ايضاً مسؤولاً عن كل شيء^(١).

اما الآن.. فنعيش بشكل مغاير، حيث جميعنا مسؤولون عن كل شيء الا ان اي واحد منا ليس مسؤولاً عن أي شيء، ما تفسير ذلك؟

من المعلوم ان لكل فعل رد فعل. اما في المجتمع، فلكل فعل رداً فعل، احدهما سلبي والآخر ايجابي، وكل رد فعل يصير -فعلاً- ثم ان لهذا الفعل رداً فعل.. وهكذا نلاحظ اعداداً لا نهائية من الأفعال وردودها، تشكل هذه العلاقات الاجتماعية المتشابكة..

ان الفعل الأصلي قد يكون حركة بسيطة^(٢)، ارادية او غير ارادية، الا ان ردود فعلها تتشابك وتتفاعل مع ردود فعل الآخرين، وهكذا ينشأ نظام معقد.. هو ذا الضغط الاجتماعي والخلقي والنفسي والفكري الذي نشعر به حولنا، يحدد حريتنا واختيارنا، وقد سلبنا ارادتنا ايضاً. ونحن نجهل دائماً مصادر هذه الضغوط اليومية الهائلة التي تكبس انفاسنا، وتكبث رغباتنا وامكانياتنا.

ان النظام الذي يجمع الأفعال وردودها، يختلف تماماً عن الأفعال الفردية الأصلية، أي: أن ما يتولد في النهاية هو شيء مختلف. شيء جديد، نسميه ماهو

(١) هذه هي الحكمة الفلسفية التي تقترب منها المدارس والاتجاهات المختلفة في العرفان والتصوف والتأمل. اذ لن يمكننا انقاذ الحياة على الأرض بدون أن نساهم كلنا، بمسؤولية، في الحفاظ على البيئة وسلامتها ونظافتها.

(٢) ظهرت مؤخراً نظرية فيزيائية باسم (أجنحة الفراشة)، اذ ان ردود الفعل المتشابكة لرفرفة أجنحة فراشة هنا قد تتسبب في حوادث كبيرة في اقصى الأرض.

معروف النظام الاجتماعي ومؤسساته وقوانينه ومثله. ان مجموع الأشياء يختلف -نوعياً- عن الأشياء مستقلة عن بعضها، منفردة.

نحن مسؤولون -جميعاً- عن كل شيء، ومع ذلك -كما رأينا- ليس أي واحد منا مسؤولاً عن أي شيء. وحين يحاسب أحدنا حول أفعاله، فانما يفترض فيه التمتع بحرية الاختيار والارادة، هذه الحرية التي تحددها -كما قلنا- محصلة افعال وردود أفعال جميع هؤلاء الذين نعيش معهم.

كيف الحل؟ وماهو التفسير الممكن؟

الجواب يكمن في اننا بتجاوزنا للواقع الراهن، يمكن ان نؤسس علاقات انسانية حقيقية، قانونها الأساسي، هو الوعي، هو الشعور الواعي بالمسؤولية، هو الحب الواعي للآخرين.

حلاحيات العدد (٧١٧) الخميس ٢٢ نيسان ١٩٧١

عزيزتي:

حين يخرس العالم ويصم، ينعزل كل منا في جزيرته، لا نلتقي الا في اعياد موهومة.

قال الراوي الكوردي: يحكي فولكلورنا ان الزوج طرد زوجته الطرشاء فسافرت الى قرية أهلها، اعترضها راع أطرش في الطريق وهددها قائلاً:

- ضاع لي حمل منذ الظهر، هاهي الشمس تكاد تغيب ولم أشاهد مسافراً يمر من هنا سواك.. انت السارقة! فأعيدي لي الحمل. والا.. سأخذك الى حكيم القرية لتؤكدي براءتك. هل تقسمين بالقرآن بأنك بريئة؟؟

قالت المرأة: أعرف بأنك تريد اعادتي الى زوجي. الا أنني لن أعود اليه، لن أعود، بعد ذلك الضرب والاهانة، وان كنت مصراً ساتي معك الى الحكيم بشرط واحد: ان يكتب وثيقة طلاقي منه، حسناً؟!

فذهبا معاً، وامتثلا امام الحكيم الذي كان أطرش ايضاً. كان يصلي صلاة المغرب في ذلك المساء من أواخر شهر رمضان، فاقسم الراعي بالقرآن.. انه لم يرى سواها في البرية. لذلك يتهمها وحدها ويريد حملها، واقسمت الزوجة بالقرآن.. ان زوجها ضربها حتى أدمي وجهها وفمها ولن تعود اليه بعد اليوم. فهز الحكيم رأسه مطرقاً، ثم قال منشرحاً:

- جزاكما الله خيراً يا ولدي! قد اقسمتما ان رأيتما الهلال.

حسناً! سيكون الغد عيداً في قريتنا، غداً عيد رمضان.

وتعانقوا جميعاً، اما الحكيم فيهنؤهما بالعيد. وأما الراعي فمسرور بحمله الذي عثر عليه وأما الزوجة فسعيدة بالطلاق من زوجها الطاغي!

قال الراوي الكوردي: وعدت خالي الوفاض!

حلاحيات العدد (٧١٨) السبت ٢٤ نيسان ١٩٧١

منذ أيام وأنا أبحث وأنقب وأفتش.. حتى عثرت على نفسي. أمسكت بها وعاتبته:

- اين كنت طوال الاسبوع.. يا عصفورتي؟

- لا ادري!

- ماذا كنت تعملين؟ ولمن تترقرقين؟

- لا ادري!

- هل تتذكرين ما رأيت او سمعت؟

- لا اتذكر!

- في أي يوم نحن؟ أي عصر؟

- نسيته. فالدوامه عبثت بتقويمي.

- اريد ان انتبه، ان استيقظ.

- ومن يمنحك؟؟

- انت.. اذ تطيرين عني بعيداً او تنكمشين عميقاً في جلدك!

- بدد أحلامك. ستستيقظ.

- كيف أعيش بعد ذلك؟ هل أحيا بدون حلم؟

- ستحيا بأحلام اليقظة! الا تريد اليقظة؟

- يا للخيبة! أحلام التيه.. فأحلام اليقظة.. فالنوم من جديد! كلا! اريد يقظة

حاملة تتوهج في النهار!

- الآن.. فهمت! انت تريدني رفيقة أبدية!

حلاجات العدد (٧١٩) الاحد ٢٥ نيسان ١٩٧١

السجان... السجين!

وقف السجان حزينا يعاتب سجينه:

- يا هذا! لولاك لما كنت هنا. وجودي امتداد لوجودك.
- ردّ السجين قائلاً: جميع السجناء على الأرض يسجنون سجانهم بأبواب ردهات السجون.
- لولاك.. يا هذا! اتدري في أية زاوية من العالم كنت الآن؟ لكنت في فراشي: على يساري طفلي وعلى يميني أمه.
- هل تعشقها فتتمنى لو لم تكن سجاناً هذه الليلة؟
- هي تحبني. عانقتني هذا الصباح وقالت: يا عزيزي! رأيت حلماً مزعجاً، اياك ان تؤذي احداً طوال اليوم.
- يا لطيبتها! ها انت ترانا يوحدنا الحب. فتعال وفك عني قيدي لنذهب معاً.. كل منا الى عشه الخاوي!
- ليس المفتاح عندي.
- اقفلوا رجلك مثلي. وها انت ترانا يوحدنا العجز ايضاً.
- انت السبب، لولاك لما غرسوني في هذا الباب اللعين.
- تأمل. انت سجان سجين وأنا سجين سجان. حررنا معاً من الحب وقيدنا العجز.
- لولاك لما كان هذا القيد.
- صنعناه معاً في البداية، القفل عندي والمفتاح عندك. ولما أكملنا كل شيء اغتصبوا المفتاح منك، فما ذنبي؟
- وما ذنبي؟؟

حلاحيات العدد (٧٢٠) الاثنين ٢٦ نيسان ١٩٧١

فنجان

١

- يا قارئة الفنجان ماذا يقول فنجاني؟

- اسمع يا ولدي:

انسان تحبه وتعزه. كلما تريد اللقاء به تحول دونك الحواجز! عين حاقدة
حسود تراقبك!

تصلك رسالة حزينة. لا تهتم. انها سحابة حزن ستمر سريعاً!

شخص، رجل أو امرأة، يهمله مصيرك. يفكر فيك دائماً.

ستمتلك امرأة أو شيئاً، وسيصير ملك يديك دائماً وبثبات.

٢

يا قارئة الفنجان: من أقام تلك الحواجز لتمنعني عن اللقاء الحميم؟ لماذا
الحزن يغلف رسائلي؟ ولماذا الحقد والحسد؟ هل يحسدونني على حبي؟ ولماذا
المجهول يشغله مصيري؟ الا يدري بخاتمة المسرحية؟

قارثتي العزيزة: انت أيضاً لا تملكين مصيرك، فكيف تقررين مصيري؟ وكيف
تسحقين ارادتي في قعر الفنجان؟

عزيزتي: كل ما تقولينه صحيح ايضاً.. مع الاسب، حيث لايجدي الأسف، اما
ما سأمتلك فسيكون امري وارادتي. هذا هو الشيء الوحيد الثابت، الممكن
امتلاكه.

٣

كالأنسان الاول حين اندهش يوماً.. ورسم على الطين رموزه الخالدة.. سأكتب

على جلدي المذبوغ رموزاً جديدة، مسمارية ايضاً، لتمحو صور الفناجين.. كي
لايعشعش الحسد تحت الأجفان ولا يغلف الحزن الابدي رسائلي.
فهل ستنهار الحواجز ليتم اللقاء الحقيقي؟؟

حلاحيات العدد (٧٢١) الثلاثة ٢٧ نيسان ١٩٧١

متعة السؤال...

حين تمشي على الارض، تقدم بثبات.. فالأرض ارضك.
حين تمشي ارفع رأسك ليجلس على كتفك معتدلاً، فهو جدير بهذا العرش.
حين تمشي اشمخ بوجهك لتغسله الشمس، فالشمس شمسك.
وحين تمشي، حدق في السماء احياناً، ليطالعك الصفاء الأزرق، فالسماء
بوسعها هي سماؤك.

ماذا قلنا؟ ماذا عملنا؟

استعملنا ضمائر التملك للأشياء: أرضك، شمسك، سمائك.

عاهة التملك شوهتنا، فنسينا القول:

– الارض ارض الناس جميعاً.

الشمس شمس الناس سوية.

السماء سماء كل الناس.

وماذا قلنا هذه المرة؟ تأمل ما قلناه لنكشف مدى ما مسختنا غريزة السيطرة
على سائر الأحياء، وكيف علمتنا أنانية مفرطة في العمق والاتساع، فنسينا:

ان الارض هي ارض جميع الأحياء^(١)..

والشمس ام الحياة منذ البدء، قبل ان تكون للانسان.

والسماء هي الوهم الأزرق في عيني السرطان ايضاً.

(١) بدأ مؤخراً تجدد وانتشار هذه الفلسفة القديمة القائلة بان أحياء الأرض تنتمي

الى عالم واحد يعيش فيه الانسان ايضاً.

كنت دائماً أرى الأحياء والنباتات أقرباء لي تربطني بهم صلة الحياة على كوكب

واحد.

ولنتأمل كل ما قلناه. فهل أضفنا شيئاً الى الوجود؟
لم نزد شيئاً على ما هو عليه الوجود.
والحياة هي.. هي.. لم يضطرب انسجامها بكلماتنا.
واكتشفنا مدى اختلال مفاهيمنا البشرية، الملوثة بالأنانية التي تخدعنا..
لنتصور كأننا نحن الذين صنعنا الحياة فعلاً..
يكفي السرطان.. عيشه في الماء، غير متسائل، ما هو الماء؟
فما صنعه الانسان هي.. متعة السؤال.
اضافتنا الوحيدة الى الوجود هي.. متعة السؤال والشوق الى الجواب.
والطريق، أننا سرعان ما نستيقظ في السجون التي بنتها لنا اسئلتنا
العنيدة..

حلاجات العدد (٧٢٢) الاربعاء ٢٨ نيسان ١٩٧١

دع المريخ لأهل المريخ

١

امسكي بيدي -يا صغيرتي- لنصعد معاً الى المريخ، ونشاهد الدنيا من هناك.

يا صغيرتي! ماذا تشاهدين؟

- نجمة باهتة. ما اسمها؟

- انها الارض. تريثي حتى نراها بعد قليل.

٢

طفلتي! هل رأيت الآن ماذا هناك؟!

- لا ارى شيئاً. أحقاً تلك هي الارض التي كنا نعجز عن اللقاء ببعضنا فوقها؟! لماذا لم اعد ارى عليها شيئاً؟.. تبدو من هنا صغيرة، صغيرة.. بحجم خروف، ولم اعد اسمع هدير طائرة او ضجيج مدينة..

- هناك، على تلك النجمات الباهتة، يستعر شجار يومي حول اشجار ومعادن وحقول وبيوت هي ملك الأحياء، كل الاحياء.. اولئك الذين عاشوا فماتوا.. واولئك الذين يعيشون الآن.. والذين لم يولدوا بعد.

تسألني صغيرتي: ابتاه! من يفوز في هذا الشجار؟

- صغيرتي! لا فوز. لا غلبة. لا نصر. والسعيد هو من يتنفس الحب ويشربه كالماء. فالطغاة اطفال كبار مشاكسون يصرون على امتلاك الأرض بوحدهم. والناس البسطاء اطفال كبار وديعون يكتفون بالحياة العادلة.. هذا كل ما في هذا الشجار..

- فلماذا لا يمتلك الجميع، تلك الارض، معاً.. وهي بهذا الصغر؟

- تريثي، سيحدث ذلك ايضاً حين يمل الناس أنماط الحياة المعتادة..
فبيحثون عن العاب جديدة.
- العاب؟ وهل الناس بعدنا، يلعبون؟!
- يا صغيرتي العزيزة! ان كنت ذكية حقاً.. فاذكري لي شيئاً أكثر حقيقية من
اللعب.

٣

امسكي بيدي -ياصغيرتي الصغيرة- لنعود الى ارضنا.
حنيني اليها.. حنين الصيف الى الثلج،
وحنين الريحان الى الماء.
دعي المريح لأهل المريح.. تكفينا أرضنا على أن تكون ملعباً للناس سوية^(١).

(١) هذا هو جوهر نظرتي إلى الوجود، منذ بداياتي ... فالأرض ملعب لجميع الناس
ومنزلة لجميع الأحياء والكائنات والنباتات، لن يميزني عنها، ربما، سوى الوعي
الذاتي ... مع أدراكي بأن لجميع الأحياء والكائنات (ادراكاً) ما وأحساساً
بالوجود، ربما أعمق وأنقى مني!

حلاحيات العدد (٧٢٣) الخميس ٢٩ نيسان ١٩٧١

تكفيني لحظتي

يبحر كلكامش بحثاً عن شجرة الخلود، ويغامر من أجلها رغم نصيحة صاحبة الحانة^(١):

- عد يا كلكامش. فالموت من نصيب البشر! وحين يعود البحار بنبتة الخلود، يسرقها منه ثعبان. فالثعبان الأطول عمراً من كلكامش، أكثر خلوداً.

ويستلقي السومريون في لحودهم مع المواشي والعبيد وأدوات منزلية من فضة وذهب ونحاس، ليخلدوا مع الدودة والبكتريا..

ويحنت الفراغة جثثهم في الأهرام ليخلدوا..

ونحن نحن أفكارنا في الحروف والمداد والمتاحف لتخلد.. فنخلد معها.

لعبة طفولية.. لم نملها. لعبة جميلة تبعث على الشوق والحنين في كل عصر.

هانذا استفيق من رحلتي الأبدية التي لا أعرف لها بداية، وأتأمل بقايا نفسي:

وإذا بي.. أعيش الخلود كل لحظة.. فانا خالد.

إذا بي اعاصر الخلود كل صباح، فانا خالد.

وخالد معي ماهو خالد حقاً. ويعيش معي ماهو خالد منذ فجر الخليقة، وما

يخلد حقاً هو أبسط الأشياء اليومية التي نعيشها:

يخلد الصوت واللون والحركة..

مازالت الشمس تلتهب، سيقى أضواء والظل، فاللون، فقوس قزح خالدا ابداً.

وسيظل الصوت ماظلت أحرش الطبيعة مدوية بالحياة والحركة. وسيخلد

الصوت حتى إذا لم تخلد اذني وحاسة سمعي..

ستخلد الحركة ما فتئت المسافة خالدة.

(١) من وحي قراءة أخرى للملحمة الجميلة.

هل ارحل بعد اليوم، بعيداً عن نفسي؟ والى اين أرحل اذاً كان الخلود هو
غذائي وبصري ودمعتي ووجودي؟
لن أنبش القبور حيث الثعابين والدود..
لن أغامر عبر البحار حيث الموت..
تكفيني لحظتي الحبلى بالخلود.
تتراقص حولي الظلال الابدية، أبدية الشمس^(٢).
ملء اجواء وطني أصوات من كل وتر..
وكل شيء ملون. ففي كل قبس من شعاع الشمس، يكمن قوس قزح، انما
لنعرض الشعاع لمتنثر او لقطرات المطر الربيعية.

(٢) هي لحظة من لحظات الوعي المتوهج والحب الشامل للوجود ومافيه.

حلاحيات العدد (٦٧٣) الاثنين ١ آذار ١٩٧١

قصة لانتتهي:

فلقطار يسير.. ويسير. وفي كل محطة ينزل راكب ويركب راكب. ينزل راكب.. ويركب آخر. ينزل راكب.. ويركب آخرون. السالوفة المألوفة لانتتهي ولا تبلي ولا يطمرها الدهر الا حين تذبل وتموت جذور المنافسة اللا انسانية. المحطات تتالى.. والقطار سائر! ايها الشعب العظيم! ايها الشعب العظيم! انك سائر ابدأ، ومحطتك النهائية ستقترب كلما تجاوزت محطة جديدة. يكفيني سعادة انني معك وان كنت في العربة الاخيرة. ستستمر سعادتني الى حيث تزودني قواي لبلوغ آخر محطة.. ممكنة. قطارات الخير والسلام تمر من هنا: حيث يشحنها الصادقون اليقظون بابداعاتهم. قطارات الحب تمر من هنا... الخير والسلام والحب.. ينمو في مثل الكفاح الجماهيري اليومي. هذا هو القائد العظيم. ايها الشعب! ايها الشعب! طوبى للذين تعلموا كيف يحبونك ويمجدونك.

من هنا نعلن فشل وخطأ بعض اساليب الكفاح التي سادت لفترة قصيرة: خطف الطائرات، أو خطف الدبلوماسية كرهائن مقابل اجراءات لصالح الثوار^(١). او الاضطرابات الطلابية الارتجالية. لاقيمة للنجاحات الوقتية والمحدودة لبعض هذه الاساليب -كخطف الدبلوماسيين-.. فالقضية الاساسية هي ان هذه الاساليب عاجزة عن تلبية متطلبات الكفاح الحقيقي في صفوف الجماهير. درس الاساسي في الكفاح، والذي علمتنا اياه التجربة الثورية الاصلية.. هو: ان لاشيء يستعيز عن الكفاح الجماهيري اليومي المنظم^(٢). هذا الكفاح الخالق الحقيقي لشخصية المناضل الجريء الذي يمكنه بناء العالم الجديد. احد امجاد الحركة التحررية (حيث كانت).. انها ظلت لصيقة بالجماهير دماً ولحمًا، فلم تستعز عن العمل الجماهيري بأية نزوات او مظاهرات أخرى.. وحتى العمل العسكري كان مجرد شكل اعلى من اشكال ذلك العمل الجماهيري. هناك اختلاف كبير جداً بين أخطاء معينة في مجري العمل الجماهيري، وبين أساليب خاطئة من الأساس في العمل السياسي. ثم ان تلك الاساليب الخاطئة غير مجدية حتى في مجال الدعاية السياسية البحتة. انها مغامرات.. وكفى. انجح وسائل الدعاية هو صواب العمل ذاته. تلك هي تجربة فيتنام وأنغولا وكوردستان ... والشعوب اليقظة.

(١) ادانة علنية للأعمال الأريابية آنذاك التي كانت ترتكب باسم الحرية والحقوق.

(٢) دعوة الى الكفاح السلمي الهاديء (بدلاً من العمليات السابقة).

حلاحيات العدد (٦٧٥) الاربعاء ٣ آذار ١٩٧١

١

- لماذا تكتب وتبكي؟ - لأنني مظلوم، بائس. حائر.. - انت تعرض مشكلتك بصورة خاطئة. - وما العمل؟ - ان تعمل. - ماذا أعمل؟ - ان تكافح. - اين اكافح؟ - حيث انت. - من أين أبدأ؟ - من تغيير نظرتك وأسلوب عملك.

٢

رحلة الشوق تهددني. مجرد التفكير في أن الارض هذه ستضم يوماً.. بشراً لم يعرفوا الكره والمنافسة غير الشريفة والقتل من اجل الخبز.. مجرد هذا التفكير يملؤني فرحاً. دغدغة الفرح ترعشني. لن اريد الموت، لأنني أحب ان أرى انساناً أسمى مني.. وأسعد وأقوى.. وأجمل. -٣- شقيقة روعي: أخشى ان يقتلني شهد حبك قبل أن أشم جبينك.. الأمل الأخضر.

الحق في الحياة

الاغتراب.. معاناة اجتماعية، يعيشها الانسان الممزق في المجتمع الطبقي، فهي ظاهرة وقتية في تأريخ الانسان. ومعاناة الاغتراب.. موقف سلبي، لأنه مفروض على الانسان بالرغم منه وبدون اختياره. ومعظم ادبائنا وكتابنا راحوا يغالون في ابراز شعورهم -بالأغتراب-.. حتى بدا وكأن -الاغتراب- مجد وشرف ورجولة! نقدم هذه الصورة عن معاناة -الاغتراب-: - نحن، عوضاً عن ان نعيش حقاً. ننهمك حتى الارهاق في الدفاع عن حقنا في العيش. وعوضاً عن العمل، نبذل قصارى جهدنا للكفاح من اجل تثبيت حقنا في العمل كبشر. وقبل ان نأكل في راحة نعمل كل شيء للدفاع عن حقنا في الاكل والشبع! نضالنا سلبي. كما تعطينا اياه هذه الصور. وهذه هي تمزقاتنا اليومية التي نعاني من خلالها الشعور -بالأغتراب-: فنحن من هذا المجتمع ولسنا منه! نحن نعمل ونتاج ولاندرى مايجل بثمره عملنا! نحن نعلم ونكتب ونبني ولاندرى من الذي يمتص اعصابنا؟؟ تلك هي جذور تصوراتنا عن ان الانسان -بسبب التمزق الطبقي- لايعيش حياة انسانية حقاً. لأنه ببساطة. بدل ان يحيا، يفضي حياته كلها قبل ان يثبت حقه الاصيل في هذا الحياة!

حلاجات لعدد (٦٧٧) السبت ٦ آذار ١٩٧١

ان لايشاركني أحد طعامي. ان لايشاركني أحد مسكني. ان لايشاركني أحد فرحي. وأن أشارك الجميع طعامهم. اشاركهم مساكنهم.. أشاطرهم جميع افراحهم ومباهجهم. وان يشاركوني مصائبني. ويقاسموني همومي وحزني. ويشاركوني ألمي وفجيعتي.. والا فالناس: -بلوي- و-جسيم- و-انانيون-، والا فاننا -وحيد- و-شريد- و-مغبون-. والا فاننا -غريب- بين -الذئاب-، والا فالدنيا -خراب- و-عذاب-. ايتها الدنيا الملعونة: لماذا لاتجتمع ثروات الأرض كلها في خزانتي؟ ولماذا لاتكون لي اليد العليا في شؤون جميع البشر؟ فمن هم هؤلاء -الحشر-؟ أو الغوغاء^(١)؟ لماذا ولدت.. اذن؟ الا تستحق هذه الحياة بصاقاً؟ طز..!- و-ليكن من بعدي الطوفان-!

(١) كناية عما يفكر فيه الجشعون الطفيليون المتطلعون الى احتكار كل شيء!

حلاجات العدد (٦٧٨) الاحد ٧ آذار ١٩٧١

مشروع رواية للبيع مجاناً:

يبدأ الفصل الاول بطفلة تولد بدون اختيارها. ويبدأ الفصل الثاني حين يسجن والدها قبل ان تطفئ الشمعة الاولى من حياتها. في الفصل الثالث تتعلم الطفلة.. من هي! حين ينادونها: -نه رمين- تلتفت نحو مصدر النداء. ماتزال غير أبهة بالدنيا. ولا يههما قط لماذا سجن والدها. انما يههما الحر والبرد والالم وهزات السيارة في الطريق الى السجن! هاهو الفصل الرابع: ذات يوم، يجلس الوالد السجين يفكر. فينادي زملاءه، ويخبرهم بالنبأ السعيد: -عيد ميلاد نه رمين.. يا جماعة!-. كعكة على صينية، اربع شمعات في الوسط. اربع أخريات حولها. شيكولاته ولبن مجفف وجوزات، وقطع حلوى، متناثرة في فراغ الصينية. لم اعرف بقصته حين دهشت لرؤيته غارقاً في لجة اللحم العميق. خاشعاً امام الشمعات الأربع. قال: عيد ميلادها. - بوركت! واتمنى لها عريساً طريفاً لاتقوده قدماه الى السجن، لأي سبب كان! - هذا ما كنت أفكر فيه. - كنت تفكر في امها اذن. - امها؟! يا للطفلة التعيسة! - كانت طفلة! لربما فكر لها ابوها ما تفكر انت! - ربما..

١

يحررها اليوم^(١).. الراحل -ديغول-: - ان منازل القرية هي منازل هرمة قديمة متداعية، ولكن.. ها هي ذي يخرج منها فجأة ليف من الفتيات والفتيان الضاحكين للحياة. وعندما اتجه في نزهاتي، نحو احدى الغابات المجاورة للقرى القريبة من قريتي أحس ان اعماقها الظليلة القاتمة تغمرني بالحزين، ولكن.. بغنة، يذكرني غناء عصفور أو بزوغ الشمس على اوراق الشجر، أو تفتح الازهار في الاجمة، بان الحياة -منذ ظهرت على سطح الارض- تخوض معركة قاسية لم تخسر فيها ابداً. واذاك اشعر بعزاء دفين يغمر كياني! ومادام كل شيء يبدأ من جديد بصورة دائمة فان الذي قمت به سيكون -عاجلاً أو آجلاً- منبتاً زخار الاندفاعات جديدة من بعدي.

٢

اقتبسنا ذلك من قطعة وجدانية رائعة كتبها -ديغول- في مسكنه الريفي.. وترجمتها -العربي- الكويتية، وفيها يقول ايضاً: .. فيا ايها الارض العجوز التي نخرتك القرون، واذابتك الامطار، وخربتك العواصف، وانهكتك الزروع، انك لمستعدة دائماً، والى ما لانهاية، لأننتاج ما ينبغي انتاجه من اجل ان تتعاقب الاجيال عليك.

(١) نقلاً عن اقوال ديغول في الصحافة.

تنوع في الأشكال

عائنا وسنعاني كثيراً الى ان نثبت حقنا ونمارسه فعلاً.. في نشر وتذوق وممارسة اشكال فنوننا وثقافتنا الكوردية. احد الاخطاء الشائعة -نتيجة ترسبات اجيال طويلة- يقول بأن كل ازدهار وفنون القوميات الاخرى يؤدي الى أثاره -النعرة القومية- ويهدد وجودي القومي^(١)! اما الواقع.. فيناقض ذلك تماماً حينما يسود جو ديمقراطي. فاذا ذلك تتوفر وحدة في الاتجاه الديمقراطي والتقدمي.. ويمكن أن نستوعب المسألة بالشكل التالي: وحدة في المحتوي والاتجاه، وتنوع في الاشكال القومية، أي: انه رغم تنوع الاشكال القومية في الثقافة والفن والأدب.. ستظل هناك وحدة فكرية تنبثق من وحدة كفاح الطبقات الكادحة من أجل حياة افضل. في مثل هذا الجو يصير ازدهار الاشكال القومية دافعاً قوياً وزخماً عظيماً في سبيل وحدة الارادة والكفاح^(٢). فان ما نعاناه من مشاكل ومصاعب وقيود في ممارسة حقنا المشروع في امتلاك وادارة ادوات نشر الثقافة وحرية الصحافة، التلفزيون، الراديو، الطباعة، وغيرها.. يرجع الى عدة عوامل متشابكة: قلة الكوادر الفنية، فتوة فنوننا، ضعف ادوات النشر في العراق بصورة عامة. الوضع الروتيني، ثم تلك الاخطاء الفكرية التي ترتب و- تتخوف- من ازدهار اشكالنا الفنية القومية. ان الكفاح اليومي الحازم كفيل باجتثاث جذور كل تلك العوامل، واطلاق حرية تطور فنوننا وثقافتنا^(٣).

(١) حجة هزيلة لأعداء حرية التنوع الثقافي والتعددية الفكرية.

(٢) و(٣) دعوة الى قبول التنوع الثقافي (الذي سمته منظمة اليونسكو بعد عقدين من السنين ... بالتنوع الخلاق).

حلاجات العدد (٦٨١) الخميس ١١ آذار ١٩٧١

حالنا، حال العصفور الصغير

بمناسبة عيد السلام حل عيد السلام المجيد. كل عيد وأنتم بخير. قال المناضل البارزاني: عندما تطبق بيدك على عصفور صغير يسعى الطير المسكين جاهداً للتخلص من قبضتك فيحاول ان يرفرف بجناحيه ويضرب بساقيه محاولاً النجاة.. وهكذا حالنا نحن الأكراد مشابه تماماً لحال العصفور المسكين.. ومع ذلك قالوا عنا اننا قتلة وسفاكو دماء وأهل حرب، في حين اننا حملنا السلاح لندافع به عن انفسنا. اننا لم نكن نسعى ابدأ للحرب، انما سعينا دائماً للسلام (. صرح المناضل الكبير بذلك الى مندوب مجلة -العربي- الكويتية. ولم يبخل المندوب المذكور في بذل جهوده لتشويه كثير من اوجه حياة شعبنا الكوردي الطيب المسالم. كان استطلاعاه بعدد المجلة -٦٤١- مليوناً بالدس.. والتزييف. وفعلت -الصيد- اللبنانية نفس الشيء عدة مرات.. وما أكثر ما تعرض تأريخ شعبنا وكفاحه وقيادته وحتى تقاليدته -ومن ضمنها عيد نوروز الخالد- الى مثل هذه التشويهات.. باقلام مختلف الجهلة والحاquدين. حل عيد السلام. ولم تزل مهمتنا المركزية هي: الحفاظ على اتفاقية آذار^(١) والحيلولة دون تمزقها امام الدوامات المسمومة.. المفتعلة.

(١) اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ كانت آنذاك أهم علامات السلام لأربع سنوات في العراق.

حلاجات العدد (٦٨٢) السبت ١٣ آذار ١٩٧١

انذارات مخيفة:

سيتكاثر البشر قريباً، حتى يأكل الاخ لحم أخيه، ستكتظ بهم الارض، ستنضب الموارد الغذائية، وستحل المجاعة. ستقل كمية المياه العذبة، ومياه البحار مالحة! سيتفقم الضجيج. ستتفقم الامراض والمشاكل، وتتعدد الحياة في المدن.. سينحل ويتفك كل شيء. قف! قف! يلوح العامل بالاشارة الحمراء: فما ينبغي أن يجتاز قطار الخوف.. الى محطة أبعد. أين يكمن العلل؟؟ الاكتشافات العلمية المذهلة تمنح الانسان سيطرة لا حدود لها على الطبيعة. وفي الأرض: برها وبحرها وباطنها.. قوى وطاقات وموارد لاتنفد لآلاف الاجيال. فلماذا هذا الرعب؟؟ من الذي يثير مثل هذه المخاوف؟ لمصلحة من؟؟ حقيقة بسيطة تقول: ان سوء العلاقات الاجتماعية -وبالضبط.. مجتمع الاستغلال- هو الذي يمنع الانسان من الوصول الى حياة سعيدة حقيقية. لماذا يتم صرف اذهان الشعوب عن هذه الحقيقة، بأثارة الرعب والخوف؟ لماذا يلقم الجياع والمضطهدون خوفاً بدلاً من الحرية والنضال؟ لن يثور في عالمي دخان الخوف. سمائي صافية. حتى الغيوم فيها بيضاء كالقطن المندوف. لن تمر قطارات الخوف من هنا.

حلاليات العدد (٦٨٣) الاحد ١٤ آذار ١٩٧١

وصية صديقي الشيخ

١

بعض حزني.. انظر الى العالم بعيني قرיתי الحبيبة، فما يقرأ الذين أكتب من اجلهم، شيئاً من ذلك، لأنهم لا يعرفون القراءة. وان عرفوا.. لا يستطيعون! الصحافة لم تقتحم قرיתי ولا تحاول ان تفعل ذلك.

٢

يقول الحكيم الكوردي: (لاترجم المجهول).

٣

مات صديقي الشيخ، الذي قضى عمره في التجوال، باحثاً عن ضالته. وما ضالته؟ ان يعرف.. ويرى. لم يترك ولداً، لاثرة، سوى اثاث بسيط، اوصاني وهو يحتضر: هل تعدني؟ - بماذا؟ - ان تباع كل ما املك.. الا ادوات القهوة! - وبعد ذلك؟ - ان تزورني اسبوعياً لتصنع القهوة بجنب ضريحي، فيستقي منها من يشاء.. - انا ايضاً؟ - ستوصي غيرك بذلك. - و... - يوصون غيرهم. - الى متى؟! - رأيت الحياة جميلة.. للمرة الاولى رأيتها بيكي.. بعد عمر خشن المظهر.

يعرس العالم في ظل خرنوب

الخيمة الصغيرة والريح والدوامات الهوائية وجموع الحصادين في الحقل. سنابل الشعير، طويلة الأهداب، سوداؤها.. تتعانق في شمائل.. وتتعانق الشمائل في بيادر. يشقشق جناحا -فرس النبي- يقفز من خرنوب الى خرنوب. يتعلق بأهداب الأشواك، أخضر اللون يطير.. ويتوقف ليشقشق منادياً: انشاه! أيار.. فصل اللقاء، فأين الأنثى التي تشقشق في ضفة ترعة؟ ويقفز الذكر، وتقفز الانثى. يلتقيان وتصمت الشكوى. يعرس العالم كله في ظل خرنوب، أخضر الوريقات، ذي رائحة رطبة لذيذة.. وتسكر الانثى، تشمل من النشوة، في ذلك اللقاء الحميم. وتنتشي الأنثى أكثر، وينتشي الذكر. فتقضم رأسه، وتأكله.. كما يجرش الطفل قطعة سكر تحت اسنانه اللبنية. يذوب الذكر، ويموت شهيد اللقاء.. كما يفقد النمل جناحيه في الجو، اذ يلقيح النملة. حياة جديدة تبعث، ولاستطيع ان احزن فالخرنوب ندي، غض، يظل اعظم عرس على الارض، وسنابل الشعير، تحرق، سوداء الحدقات! لاحزن هناك.. لا كآبة.. لاقلق.. لا سأم. انا هناك حيث المسرح والعرس والشمائل. الحصادون لايتعبون.

حلاحيات العدد (٦٨٥) الثلاثاء ١٦ آذار ١٩٧١

اوحيت لصديقي بأن له ارادة قوية، قال: - سأترك التدخين، وتناول الشاي. -
دفعه واحده؟ - اجل! سترى. كم هي قوية ارادتي. هل تترك تناول الشاي
ايضاً؟ ورغم ان مساؤه قليلة.. دعنا نفعل. انا لا ادخن منذ البداية، هذه احدى
حسناتي. ومرت بنا ايام شعرت بعدها بصداع مستمر وفي النهاية استسلمت
وقلت لصديقي: - سأعود الى الشاي. ضحك منتصراً. الا انه استمر في
عصيانه. خلته عاجزاً عن الاستمرار ومر شهر.. فشهران.. فنصف سنة، ها هي
سنة كاملة تمر؟ وارادة صديقي منتصرة.. ذات يوم قلت لنفسى: - كيف نجحت
في الايحاء له بقوة ارادته، وعجزت انا عن ترك احدى عاداتي؟ في هذه الفترة
كنت اتضايق من عادة -المسبحة-، قررت أن لا أعد -حياتها- بعد اليوم.. لأنه
لم يعد وقتي يتسع لذلك. ولا بد من توفير طاقة أناملي من اجل مواصلة الكتابة.
ونجحت في النهاية، واستعضت عن المسبحة بالقلم. لم أعد اعاني الملل من فراغ
الوقت. لذلك لا أجد مبرراً لحمل المسبحة. وانا سعيد بصديقي.. وأشعر أن فيه
شيئاً من حياتي. ألم انجح في اقلعه عن التدخين؟ ساهمت بقسطي في بنائه.
فانا مسرور بذلك.

حلاجات العدد (٦٨٦) الاربعاء ١٧ آذار ١٩٧١

أصداء

أ- الفجر يربطه الندى.. الفجر يلفه الضباب. وعند مشارف القرية تختفي قطعان الماشية وسمع صوتاً ينادي: - هل تخرجين لنحتطب؟ وأسمع صوتاً نسويماً رقيقاً يرد: - اليوم مشرق، سنزور وأمي وأهلي ضريح (.....)! ومن.. معكم؟ - خالتك. ستشرق الضحى، بعد اختفاء الضباب. الأرض الندية تنفث ضباباً كثيفاً يموج في الأفق.. والصبايا يجمعهن حاجياتهن للرقص، ظهرا في باحة الضريح: - يا سيدنا بشرنا بحب طاهر.. حقيقي. ب- اصداء في البراري، واشباح.. يكتنفها الضباب. الاقحوان، والنرجس، والشقائق الحمراء.. وأطفال يحفرون الأرض- البور، باحثين عن الفطر والكمأة. ازيز الماء في المقلي على نار الحطب والبصل ورغيف ساخن، لذيذ الطعم.. على ساقية، خضراء الشفتين. قريتي الحبيبة: هل تتذكرين صبياً كان يلهو ويقتعد التلؤلؤ الصغيرة، غارقاً في تأمل اللوحات الخضراء حوله؟ هل بحثت عنه يوماً؟ ماذا حل به؟ -ج- حبيبتي: لم أسألك عن شالك، فلماذا تلوحين به من على سطح دارك؟ من تنتظرين؟

شوق عارم إلى الحياة

تسأليني كثيراً: - لماذا حياتنا هكذا، كالأفلام دائماً؟ - الأفلام.. حياتنا! - لست اقصد ذلك، لماذا ينبغي علينا ان نمر بتلك الأدوار التي حفظناها وشاهدناها مراراً؟ - أدوار الأفلام.. من ادوار الحياة. - اقصد.. لماذا ينبغي ان نحب، ونتعذب، ونخجل ونندم، ونقسو، ثم نأسف على كل شيء، ونبحث عن غضاضة الطفولة، والنبع الأصيل؟ - تقصدين: لماذا حياتنا، ايضاً، كالأفلام؟ - أحرار.. يا عزيزي! - لاحيرة في الأمر. كل الفنانين تعلموا من الحياة وحدها والسينمائيون كذلك. - لماذا.. اذن هذه الأدوار؟ - تقصدين: لماذا حياتنا.. فلم طويل؟ - ليكن السؤال بهذه الصيغة. - أكتشفت، اذن ان لادور ثابت لنا؟ - اجل! - أخشى ان تشعري بالخريف مبكراً. - وهو كذلك. - انه بداية ربيعك، اذن. - فعلاً، لم اعد ابالي بالحزن، لا أجد وقتاً للحزن. ماذا تأكلين اذن؟ - شوق عارم الى الحياة.

حلاجات العدد (٦٨٨) السبت ٢٠ آذار ١٩٧١

لو لم يمكن الانسان من أكلة للحوم

١

يغني فلاح، يهبط نحو الوادي مسرعاً. يطالع العالم على شفرة منجله.. ويصيد اليمام. ناحت اليمامة حزناً: وحطت في ذروة الصنوبر. شبكة صيد القطي، مفروشة.. والقطي تلتقط الحبوب، يقول عالم صيني: - لو كان للانسان منقار وحوصلة لاقتات على الحبوب وحدها، ولما كان من أكلة اللحوم! ما كان اذن ليتقاتل! القتال من طبيعة أكلة اللحوم من -المفترسات-. انتهى حديث الصيني. والحروب سجالة. واذ تعود أسراب القطي، مكررة في لحن جماعي، لترد الماء في المستنقع، يكمن لها صياد آخر ببندقية صيد. ايتها القطي المهاجرة. ستطيرين بعيداً. بعيداً! ستحلقين عالياً، عالياً. حيث البواشق والنسور! وستهبطين ارضاً، حيث الشبكة والبندقية. وتظل اليمامة تنوح.

٢

عالم الانسان اجمل، بكل ما فيه من قبح.

٣

طلفتي تهوى الدمى، تشتري لها المهود، تعتني بها في حنان. هذا هو درسها الاول والاخير. من علمها وظيفتها الاساسية في الحياة؟

٤

طوبي للذين لم يولدوا بعد.

نوروز، وانجيلا ديفيز

بطاقة عيد.. من طفلة ببشمركة الشهيد - نوروز! يا عماه! باب دارنا مفتوح. فادخل. - نوروز! يا جداه! هل جلبت لي قبجاً وريواساً^(١) وكماة؟ تقويمي ممزق. لم يسجلوا تاريخ ميلادي. أنت عيد ميلادي. وفي عيدي. لاشموع، لا كعكة عيد ولا ملابس جميلة! أما شجرة البلوط العجوز امام دارنا فمزدانة بمئات العيون المضيئة: نرجسية، سوداء، شهلاء، زرقاء.. عيون ابي. ورفاق ابي. تلك العيون ستشعل ذات نوروز -ياعماه!- وستتوهج في ميلادي الجديد حين اشب وانضوي تحت لواء اتحاد نساء كردستان. بطاقتي لا تتسع. فتحياتي الى الأطفال في قرى فيتنام وانغولا وارتيريا.. تحياتي الى أشبال فلسطين. تحياتي الى انجيلا ديفيز^(٢)، والى المناضلات في اليونان. - مرحباً يا عمي.. يا نوروز!

(١) ريواس: نبتة برية ربيعية في جبال كردستان ساقها حمضية المذاق، مفيدة، يجمعها الناس في سفوح الجبال. للنبتة أوراق كبيرة تنفتح على الأرض. تقول أسطورة كردية قديمة أن آدم وحواء خلقا وخرجا من قلب نبتة الزنبقة المائية...
(٢) امرأة أمريكية سوداء أعتقلت لنشاطها المدني دفاعاً عن الحقوق المدنية للزنج في أمريكا. وكانت معتقلات اليونان في هذه الفترة تضم نساء كثيرات الى جانب الرجال.

حلاجات العدد (٦٩١) الاربعاء ٢٤ آذار ١٩٧١

انديرا تبرع بينها

قال لي في غيظ: ما الحكمة في تبرعك بدمك؟ - ان انقذ انساناً. وهي فرصتي الوحيدة لأخدم انساناً لا اعرفه.. ولا أنتظر منه كلمة شكر. هل يضير ذلك؟ - أنت مجنون.. وقلت لنفسي: المسألة في هذا الامر.. هي فلسفة الانسان. اعلان: أتبرع بعيني وكبدي وقلبي ودماعي وكليتي وكل عضو من جسمي بعد موتي.. ان كان هناك ثمة مصرف لأعضاء الانسان. فلسفتي: ستفتت البكتريا جثتي المتعفنة، لتعود مواداً اولية وغازات.. سأحرم البكتريا من لهوها! قال صديقي في غيظ أشد: - كيف أتبرع بعيني؟ - الا انك تموت، وتفقد كل احساس! - ولو.. - حتى بعد موتك تبخل على انسان ما بشيء من وجودك؟ - ليكن من بعدي الطوفان. - لن يحدث بعدك شيء. ستستمر الحياة خالدة دعها اذن تستمر في الفرح - يا لك من حالم!! فوق رأسي على الجدار علقت صورة للمناضلة -انديرا غاندي^(١).. تبرعت -انديرا- بعينيها لمصرف العيون بعد موتها! المسألة هي، وجهة نظر، لا غير.

(١) ابنة مؤسس الهند الحديثة جواهر لال نهرو المثقف الكبير. وأنتخبت انديرا رئيسة لوزراء الهند بعده، واغتيلت غدرًا على يد متعصب هندوسي (من مذهب أنديرا).

لن نريد جودو!

١

ترفع الستارة الزرقاء، ويبدأ الممثل مخاطباً البطلة: - لم يحضر الضيوف. ونفذ انتظاري. - لن يحضروا.. - لماذا اخبرتني اذن، وشغلتنني عن نهاري؟؟ - الا انني.. سأنتظر. - من تنتظرين. وليس لنا ضيوف؟ - (جودو). - آه! هذا اللعين. (جودو)، هل يأتي؟ - يأتي او لا يأتي. - ماذا تفعلين اذن؟ - يكفيني الخدر اللذيذ في هودج الانتظار. - انت في انتظار (جودو) اذن؟ - اجل! (تسدل الستارة).

٢

ترفع الستارة. وينشد الممثل بوحده قائلاً للجماهير: - الى اولئك الذين اشغلوا انفسهم والمشاهدين بانتظار (جودو) . الى اولئك الذين قد يشغلون يوماً ما- انفسهم والمشاهدين بانتظار (جودو) .. لن يحضر -جودو-(^١).. وان حضر، فلن نريده!

(١) اشارة الى مسرحية: جودو، يأتي أو لا يأتي.

الآخرون ليسوا جحيما!

١

مات -سارتر-: - الآخرون.. هم -الجحيم-. نحن في مرحلة الديمقراطية الوطنية سننتصر واذا تشرق شمس الانسان الاصيل، سنرى: - الآخرون.. هم -النعيم-. سلاحنا: حب الناس، غايتنا: سعادة الناس. في كردستان: ثورة قادها الحزب الديمقراطي الكردستاني المجيد. تنادي بالمحبة، بالسلم، بالتقدم، بالتآخي. المضمون الانساني للتآخي: هو اننا جميعاً نستحق الحياة في أمن وسعادة. في وطن ينعم بالسلم. حزبنا ضد الحرب. حزبنا مجيد.. اذ تلزمه المعركة ليخوض الحرب. في مثل عالمنا الساحر.. يموت -سارتر- و-كامو-.. ويبعث -ايلوار- و-نيرودا- و-اراغون- لأنهم لهم مضيئاً في كردستان: گوران حي يغني للحياة.. للسلم. حزبنا ورث اروع تقاليد الديمقراطية. فهو جدير بمهمته: أن يصنع -للشعب- حياة جديدة. ستتكاتف معه قوى الخير كلها. ارادة الخير.. هي قانون الحياة الحاسم.

٢

الانسان.. سجن.. وجحيم في أعماق -سارتر-. وهو نعيمي.. وحيي. هذا نشيد كردستان.

حلاجات العدد (٦٩٤) الاحد ٢٨ آذار ١٩٧١

قصة فولكلورية:

أ

سأل القروي واحداً من المدينة: - كم مرة تتناولون التمن؟ - من عشاء لعشاء. -
او! من عشاء ل... عشاء! نحن، فمن عيد لعيد! من عيد لعيد! كم مرة تهنيء
الناس على هذه الحياة؟ من عيد لعيد؟ أم من عشاء لعشاء! كم مرة تغوص في
وجدانك. من عام لعام؟ أم من نهار لنهار؟

ب

اينا أقوى؟! انا الذي اسير عارياً تحت الشمس لأنني ارى ان الأسرار في
الطبيعة، وكل ما نخفيه هو -مزيلة للدناءات الوضعية-؟ أم ذلك المتدثر بكل لون
حربائي، خوفاً من ان يستبان بعض جريه وحروق أيامه؟

ج

للأديب الكوردي -نجم الدين الملا- مصطلحات طريفة: - التابوت: عربة
القيامة. - الافكار الفارغة: نسيج العنكبوت. - المجد: منزل المعدمين. - مغرب
الشمس: -علاء الدين- الانسان المسحوق. - ضياء الليل المقمر: الكهرياء
مجاناً. - السكران: المجنون مؤقتاً. - العفو: زكاة الانتصار!

سأ كنتفي بالعناوين

يا للدهشة.. صحوت اليوم على حقيقة مذهلة. لم أزل محكوماً عليه.. بالكلام، ان أبدو نهاري بآلاف الكلمات، بدون أن يستقر الا بعض منها!! كم صحوت، حزيناً! وما لي أحزن وقد فاض به نهاري؟ المشبع بالأكل لايشتهي صحناً آخر. أعود الى كلماتي: هل اختزلها؟ أم أصمت دونها؟ رهيب. ان لا أقوى على هذه المتعة. لأتكلم، اذن، فكيف لأوفر لحواس الأخرى فرصاً متكافئة؟ ستكون كلماتي مختزلة هكذا: كلمة عن نهار العالم الساخن. كلمة عن الحب والسلم. كلمة عن الأمومة. -يكفي المرأة بحد ذاتها أنها.. أم-. كلمة عن المسرح -المسرح متعة فكرية ولهو-. كلمة عن نضال الشعوب. كلمة عن أجمل القصائد. كلمة عن الكلمة.. وبدأت الرحلة من جديد. تشبعت كلماتي بكل الأمور اليومية للحياة. ونشبت كالثيل. الكلمة، ليل، أخضر، أخضر. أنا، نبع، محكوم على أن اروي الخضرة لتسطع نضارة كلماتي تخترق السجن. وترفض الاختزال. ونهاري لايتسع، سأكنتفي بالعناوين فقط. الكلمات الحقيقية، حلزونية المشى، جذورها خرنوبية.

حلاجات العدد (٦٩٦) الثلاثاء ٣٠ آذار ١٩٧١

مشروع فلم

يبدأ الفلم الكوردي الأول بنقطة في القرية.. امرأة تزيل كومة الرماد وتخرج الأواني الفخارية.. كوزا تنورا، اناء للغسيل، وخزفيات صغيرة. -حوار-: الجارة للمرأة، لم يعد زوجي منذ يومين. - زوجي.. كذلك - هل افترسهما نمر؟ - لاتخافي زوجي شجاع، سيعود على كتفه غزال وأرنب وجلود النمر. - زوجي قتل نمرأً ونصب من جلده تمثالاً على سطح دارنا. - لقطه اخرى- ها هما الرجلان يطاردان قطعان الأيل، يصيح الأول: احذرا! على يمينك دب يحمل صخرأً كبيراً. - لقطه ثالثة-.. فارس يقتحم حصنا بوحده. اللقطه الرابعة- بطل يحمل مشعلأً ويحرق قصر الطاغي. اللقطه الخامسة تبدأ بأمير آدمي يصنع المدفع ويسد المضايق بوجه الغزاة. بدأت اللقطه السادسة- تنهار الحواجز والسدود بين القبائل المتنازعة. توحدت المتارس. اللقطه السابعة- عمل واسع كبير لبناء كوردستان والعالم، يولد انسان جديد. خلق العالم في سبعة أيام!

حلاجات العدد (٦٩٧) الاربعاء ٣١ آذار ١٩٧١

احذر تحاصرک الاشعاعات النووية^(١)

قيعان المحيطات مغروسة بالغواصات الذرية. كأسمك القرش، ستلتهم الجرحى! الأجزاء مشبعة بالغبار الذري، القواعد المطمورة تحت أقدام الرعاة والصيادين، تكظم الموت الدفين! احذر. استيقظ. انما لا تخف شيئاً، نحن لن نخاف! لأننا سنسيطر على خوفنا، حين نعي جذوره. واقع سباق التسلح يخلق التوتر والقلق، فما موقع التسلح من مجتمعنا البشري؟ واقع النظام الرأسمالي - والوجود الاستغلالي برمته - يخلق سباق التسلح ويفرضه، فما علة الاستغلال؟ واقع تمركز ثروة البشر المادية والروحية في قبضة طبقة محتكرة، يخلق الاستغلال فكيف نخلق عالماً جديداً؟ واقع كفاحنا من اجل قلب العلاقات الانتاجية، سيخلق هذا العالم، فكيف نحقق ذلك؟ ان نبادر، ان تبادر جماهير الشغيلة. ان تبادر الشعوب. هذا الواقع ممكن، وضروري، وحتمي. انما.. لنحذر، الى أن نجتاز الأم المخاض. لنتنبه، فالمنعطف - حيث نحن - حاد وحاسم. لذا ولدت كلماتي مشحونة بالصراع والعنف. احذر.. انما احذر من الخوف قبل كل شيء. ولأنك مناضل فلن تخشى شيئاً ولأنك باسل. ستبادر. احذر. بادر. بوعي.

(١) تعبيراً عن الرعب النووي آنذاك (... وحتى الآن).

حادثة

١

موجز الانباء: دهست السيارة امرأة تحمل طفلاً. ماتت الأم ونجا الطفل..
بمعجزة!

٢

الانباء بالتفصيل: الأم خارجة الى السوق، لتملأ قفتها كراثاً وبيصلاً ويطاطا وتمناً ولفلاً.. وشيئاً من الشاي والملح وخمسة أرغفة. فكم أرهقها الجدل والثرثرة مع البائعات والباعة!.. وكم زاحمتها في الطريق.. السائرات والسائرون!

هاهي عائدة الى المنزل، والرضيع معها، ملتصق بصدرها كجربوع يسخر من المارة بلعابه ومخاطه وأسنانه اللبينة المعدودة الضعيفة. أمه متعبة.. تحمل على رأسها قفة ملأى، بينما هو يموء كالقط. عبثاً يحاول! اسنانه عاجزة عن قضم جزء صغير من قطعة الحلوى.. فمدها الى شفتي أمه كي تعينه على ذلك. دغدغها هذا الطلب الصامت، فانشغلت برضيعها وهي تسير.. تؤأكله الحلوى.. كالسنونو يغذي فراخه في الربيع.

الأم العظيمة، متربة القدمين، تغذ السير في الشارع لتجتازه الى الدار. فالزوج الحبيب سيعود عصراً، وملء جيوبه الجص والحصى والرمل..

اذ ذاك هبت سيارة غير خالية، ففيها سائق واحد على الأقل! ولم تستيقظ الأم الا في اللحظة الأخيرة، فالقت بجسمها شمالاً لتنجو بالطفل الرضيع، ونجا، كان ما يزال يحاول قضم جزء من حلواه، حين دهست السيارة العاصفة فخذى أمه الى ركبتيها.. فتلوت قليلاً كالدجاج، ثم انطفأت.

حلاحيات العدد (٧٢٩) الاثنين ١٠ آيار ١٩٧١

إذا ولدت في عصر آخر

١

إذا كان يومي نهراً متصلاً لا ليل له،
إذا كان كل شيء مهيباً لأمارس هواياتي،
إذا كان والدي غنياً وعالمياً ومتفتح المزاج،
إذا كانت والدتي وريثة عائلة ثرية،
إذا كنت أصغر الابناء وأكثرهم تديلاً،
إذا كانت صحتي جيدة دائماً، وجسمي سالماً من اوجاع المعدة، وخفقات
القلب المؤلمة، والصداع المزمّن..
إذا كان كل ما اهواه يتحقق في لمح البصر،
وإذا كنت في حل عن جميع الالتزامات العائلية والاجتماعية،
إذا كنت اعيش في بلد آخر.. متقدماً!
إذا ولدت في مكان آخر، ومن عائلة اخرى، وفي عصر آخر، أقدم قليلاً، او
احدث قليلاً،
اذا، واذا، واذا. لأنجزت عملاً عظيماً!

٢

وقال الحكيم الكوردي^(١):

(١) اشارة إلى الحكم والأمثال الكوردية. تعني به الحكمة أنه قد لاتنبت كلمة (إذا)...
فمن العبث التشبث ب(إذا)، لأنه أمر خارج عن إرادة الانسان فيحتمل تحقيق
(إذا)، وقد لا يحتمل.

زرعوا - اذا - فلم تنبت!

٣

اذا هطل المطر فاض النهر. واذا فاض النهر غمر السهل. واذا ارتوى السهل
اخضر الزرع والاسل!

حلاجات العدد (٧٣٠) الثلاثاء ١١ آيار ١٩٧١

عائد غداً مع الشمس

—عد الى البيت، يا عزيزي—^(١)

واضافت في رسالتها:

— لم يزل بابنا مفتوحاً بوجه أبنائنا. الا تتذكر مشتلك؟ اشتالك غدت الآن اشجاراً سامقة. ووليدك شب، وتعلم اللعب بالشرارة وقوس القزح. يضحك حين تدميه أشواك العليق والخرنوب، ولايترك حقله يوماً.. ويرويه من التربة التي كنت تشقها معنا.

عزيزي: كنت تضحني في صمت، ولاتجيد الاعلان عن نزيف وجدانك فأرفع رأسك وأنظر الى باب بيتنا. سيظل مفتوحاً الى الغسق الأخير....

حبيبي: سأكتب ردي قريباً، وسأعود.

بيتي.. هو الشعب. معذرة، اذ نضل أحياناً ونحن في دارنا.

عظيمة دارنا. وننتيه أحياناً ونحن في مزارعنا. خضراء مزارعنا. ونعطش ونحن على ينايبعنا. عذبة ينايبعنا.

عائد انا.. يا عزيزتي.. عائد الى الشعب.. الى بيتي الأصيل. كفاني اللهو والعطش والتيه.

عائد انا الى بيتي.. حيث الهواء النقي لرتتي العليلة.. حيث الراحة الهادئة لفكري.

والد عظيم هو الشعب. والد رحيم وحنون.. هل سيغفر اساءاتي الصغيرة^(٢)؟

(١) البيت: كناية عن الأصل والانتماء. فإن الشعب هو أصل ينتمي اليه الإنسان. والشعب رمز إلى منبت الانسان وأمه وملاذه الأخير كلما ضاعت به السبل.

(٢) كانت لي إساءات صغيرة وكبيرة وأخطاء لن أغفرها لنفسي، والعذاب المنبثق منها هو الذي حركني كثيراً وحفزني على مواصلة هذا الطلح الذي لن ينتهي.

نعم!؛ ماذا تقولين؟ آه، أسمعك جيداً.

تقولين:

- كالشعب طيب.. طيب.. طيب. يغفر لأبنائه هفواتهم...
انتظريني عند العتبه، فأنا عائدٌ غداً مع الشمس.

حلاحيات العدد (٧٣١) الاربعاء ١٢ آيار ١٩٧١

تلمست طريقي بأقدامهم

١

الانسان.. جنتي.

٢

عزيزتي: تهزمني الجاثومة، ويضيق بي الضجر لنعزي النفس بك، وامنيها
بوجودك.

يكفيني انك حية، تعيشين، هناك،
فأزورك طيفاً باحلامك الاخيرة قبل شروق الشمس..

٣

يا أخت قلبي:

كم اضعنت نهاراً ولوناً ونغماً ونشوة.. بروية العالم من عيون الآخرين!

وكم تلمست طريقي بأقدامهم، باحثاً عن نفسي حيث لاوجود!

رسالتك الاخيرة تقول ببساطة: تذكر فيك دائماً.

فأمسكت بيدي -أنا الطفل الصغير الضائع- واعدتني الى منبعي الأصيل.

لم أعد انظر الى العالم بمنظار ضبابي. نعم!

الأرض واضحة، أشياءها واضحة، والشر كما هم، في أمورهم اليومية،
الصغيرة، حائرون.

يا أخت قلبي! يا أخت قلبي!

أحبك. أحب الناس جميعاً.

العشق قراري الأول

١

اقوى من الشعر هو خالقه.
أكبر من الطفل هي امه.
اجمل من اللوحة هو رسامها.
واعظم من الانسان هو حبه، فهو خالقه.

٢

بستان؟ الآغا^(١) - غني بالكروم. عناقيدها عيون سوداء بلا اهداب.
والأجفان الخضراء تحشي بالتمن على موائد - الآغا - الملونة.

٣

من هنا يبدأ قراري الأول.
من هذه اللحظة وفي هذه الزاوية من ملحجي الوليد.
خلتني لن اولد مرة اخرى، فأوصيت بخياطة كفني ونجر تابوتي.
كان قبري أكبر.. قليلاً، فلم انزل اليه. وانتظرت شبحاً ينفخ النار في ضباب
الغسق.

يا ملحجي، العشق قراري الأول الأزلي. فبالعشق عدت اليك، وبالعشق انطلق
الى مدارات جديدة. وبالعشق تصلي زهرة عباد الشمس، للشمس.
لم أعد استضيء أو استدفيء، فمئذ ولادتي الجديدة انا الذي يضيء ويدفيء.
دع الظلماء تموي! دع الضباب يغزوا!
لا تستضيء الشمس من القمر.

(١) كناية عن السيد الغني المستأثر بالثروة.

حيث كنا ضفادع وقروداً

أهي القذارة؟ أهي أكوام المزابل؟
ألست الأوساخ المرمية سماداً ضرورياً للخس ولجذور الاقحوان؟
مساويّ الانسان تجاه نفسه، هي اقذر مافي وجوده.
ماعدنا ذلك.. فكل مافي الوجود جميل.
كم نقسو على أمانا الطبيعية، حين نهاجمها ونسقط عليها.. روث الأمعاء
المتقرحة، وبلغم جهلنا وعمانا عن تبصر جمال الوجود.
ثمّة لحظات خاطفة، يومض فيها الحب وهاجاً، فنرى مساوئنا الانسانية،
صغيرة، صغيرة.. ومضحكة، بل وجميلة ساحرة.
وتجاه نفسه، ليس هناك ماهو أطيب من الانسان حين يطيب وجداناً. وحين
يسوء، فليس على الأرض ماهو أسوأ منه، وماهو أشد ايزاء لذاته.
شعراء اليوم جبهتان..
جبهة تخوض الطين، والجوع، ووحشة الجبال، وتشرب من مشارب الناس،
في المناجم والحقول، وخطوط المواصلات.. وتمضغ الجمر في الغابات المحروقة.
هذه الجبهة تخرق الحدود الوهمية للواقع الراهن، متقدمة الى امام، تحمل
على ظهرها مراصد النجوم البعيدة. فهي ضمير البشرية.
والجبهة الأخرى.. أوجار لصعاليك الشعر.
يرتد هؤلاء الى المغارات اللحمية حيث كنا ضفادع، وقروداً..
يرتدون، في وحشية ورعب، امام وهج يقظة العمال، القائلين:
- بالعمل خلق الانسان. وفي البدء كان العمل ثم الكلمة..
يلتجىء صعاليك الشعر، في حارات الهيرويين والبوهيمية، الى المغارة
الطرية.. الى الرحم القديم للزج، الذي يسده العنكبوت بضحاياه، ونسيجه.
اوجارهم رطبة في عفونة، لم تشرق الشمس فيها يوماً.. ففيها الجنين المسخ.

حلاجات العدد (٧٣٥) الاثنين ١٧ آيار ١٩٧١

العشاق يملكون الحرية حيث لا حرية!.

أنزلوني من صليبي. نرف دمي حتى يبست عروقي.
يا ملحجي العتيق! انا وانت ونسيح العنكبوت في بيتي، وذكري طفليتي
الصغيرة، صديقتي الوفية. ولاشيء سوى ذلك، عشنا معاً عامين لم أمارس
فيهما جميع حقوقي سوى حق الصمت^(١).
لم أعش من حرياتى سوى حرية الصمت.
يا ملحجي، عاد اليك حلاجك مترب القدمين، ثم قفل راجعاً ليتوضأ عند النبع
الأصيل. وعاد هذه المرة عارياً لايملك شيئاً، ولا يملكه شيء، يستعبده حب تخمر
طوال شتائين وصيفين، في سكينه الصمت.
وكذب المنجمون! فالعشاق يملكون الحرية، حيث لا حرية. واذا تتقنذ أشياء
الارض كلها بوجههم.. ينشرون في الكون جناحين عظيمين يرفرفان فوق بحار
الصمت على القمر والزهرة والمريخ.
استيقظت اليوم -يا ملحجي العتيق- وانطلقت الى مداري الأول.. سأدور،
وأدور، والكون كله يدور.
أخذت اليوم مداري حيث لا شمال ولا جنوب. لاشرق ولا غرب.. لا أعلى ولا
أسفل.. بل امتداد لا نهائي عميق، يمر بالمجرات وأمهاة المجرات العظيمة،
ويظل يمتد.. ويمتد باحثاً عن عرش بلقيس!
فتحت مغاليق وجداني، وعثرت على العرش في بيتي، تلهو عليه طفليتي، وتقلبه
كعراسها وتحطمه ثم تجبره من جديد.

(١) حق الصمت من أهم الحقوق الفردية للانسان، والصمت (أو القدرة عليه) شرط
حيوي للمسافر على طريق الاشراف والمحبة، واكتشاف الحكمة.
كنت وما أزال مولعاً بالصمت إلى حد الغياب عن الذات.

حلاجات العدد (٧٣٦) الثلاثاء ١٨ آيار ١٩٧١

أهبط من الجبل عارياً

١

من على الجبل أهبط، نازلاً من صليبي، دربي المطلي بحناء عرائس
كوردستان^(١)، تعرشه الرياحين.

اهبط من الجبل عارياً، تلدغ الشمس منكبي، وتخرق ظهري.
ما اعذب ضربتها!

معي الثلج، معي الصور المرئية في الينابيع الصافية. ومعني شال زاه حريري،
طرزته صبية حسناء في ايام اللهيب.

الثلج يذوب ويسيح على ظهري المكوي، ليبرد وجداني.
والصور المرئية في مساء ذات صيف، تطير مني لتسبقني الى المدن وتحط
على اعلى السطوح، والمنارات، والمدارس، والرايات.
والشال الحريري يصفر مع الريح ويجنح مع الصبايا ناشرات الغسيل..
بامتداد دربي الطويل.

انا اليوم اشرق على الارض، بعد ان ظلت هي تشرق على..
خلتني أحب الناس، فاتضح انني احبهم بمقدار ما يخصني..
احبتهم من اجل نفسي، حين اوهمت نفسي بأنني أحبهم فعلاً.
واليوم تشرق الشمس من صدري واشرق انا على الارض، فاحب نفسي من
اجل الناس، من خالقي؟ هو حبي.

(١) كوردستان: كثيراً ما يتردد هذا الأسم في لوحاتي، وهي كناية عن الوطن والمأوى،
والحلم الأزلي والأقليم الرابع بين الأقاليم السبعة حسب تفسيرات النبي الحكيم
زردهشت في كتابه أستا.

قال الحكيم الكوردي:
لاتدر للعدو ظهرك^(٢).

(٢) يعني ان يواجه الإنسان وجوده ومصيره وجهاً لوجه. فلا يخشي شيئاً و(العدو)
هنا هو كل ما يخشاه الإنسان.

حلاحيات العدد (٧٣٧) الاربعاء ١٩ آيار ١٩٧١

يا موزعي البريد!

رسائلي في الطريق والبريد يحترق..
انتظر الاطمئنان على رفاقي واخوتي..
وظفلي التي تقول: انت تمثل!
ورفيقتي التي تقول: انت مجنون!
فيا موزعي البريد بين المدن والقرى والغابات والحرائق، حقائبكم الجلدية
محملة بأحلامي.. وعيد طفلي، وحببي، وغضب رفيقتي.. وعزيمة اخوتي، وبعض
الاتهامات الصغيرة تقول: لم تلعب الشعوب دورها بعد..
حقائبكم في الطريق، والرزم البريدية الجميلة تُرسلُ لهباً أزرق وتشتعل مع
بواخر البن والقمح وأحذية الأطفال..
صفائح البنزين المسروقة تُسكب على الأكواخ وغابات البامبو، وهشيم الرز..
من يطفئ النار في حزيران؟
يا موزعي البريد: اين حقائبكم؟ أطفالكم ينتظرون بطاقات عيد، صور أرنب
موشاة برسوم وردية.. لا صور مدفع وحريق، وكسيح يا موزعي الرسائل بين
الخدائق الساخنة.
بلغوني انباء رفاقي وطفلي ورفيقتي واخوتي..
اخوتي السمر في سيلان.. اخوتي الحمر في الأمازون.. اخوتي الغجر
والأفريقيين، واللجئيين، والكورد في تركيا..
بلغوني أنباءهم بالهاتف.. باللاسلكي، بالتلستار..
بلغوني الأنباء التي تصعد مع التلستار ثم تهطل فوق رؤوسنا.. وتهطل على
قريتنا..
وفي ليل الصيف لا يهطل المطر، بل تهطل الانباء في القرية.. ويهطل التبن

والغبار والبعوض والخفاش.

وتهطل أغان ناعمة، صاخبة، هادئة، رخيمة، عبر أجهزة الترانستور المرسله
الينا من قبل عمال اليابان. وأنباء جني محصول السكر^(١) وقهر جاذبية
الأرض..

تهدهد الأنباء الموجزة شوقي فيغفو.. ريثما يصل بريدي واطمئن على رفاقي
واخوتي وطفلتي.. ورفيقتي التي من عطر ونغم.

(١) في كوبا.

الكردي بشر وإنسان من نسل آدم وحواء

١

يقول البارزاني الأب^(١):

«حياة الانسان مثل هذه الجبال، بعضها مرتفع وبعضها منخفض، وهذه الخضرة التي أمامك، هي الربيع.. وبعد فترة تذوب الثلوج ثم يأتي الصيف.. وهكذا طبيعة البشر وعقليتهم مختلفة متبدلة مثلها مثل الطبيعة تماماً.»
«ان ما كتب حتى الآن عن الكورد لا يمثل الا عشرة بالمئة من الحقيقة.»
«ان كل من امسك قلمه يمكنه الكتابة وهو قد يكتب طيباً أو سيئاً. أن الذي يكتبونه ليس وحيّاً نازلاً من السماء، وانما من وحي مخيلتهم. ان الكاتب مثل هذه الجبال -مثلما قلت لك- والوديان المحيطة بنا، شاهقة ومنخفضة.»
اما اذا كان يهتمكم معرفة أصلنا فاكتب ان الكوردي بشر وانسان من نسل آدم وحواء...»

٢

يقول ديغول^(٢):

«بمقدار ما كانت تتقدم بي السن نحو الشيخوخة، كانت الطبيعة تزداد اقتراباً
(١) يقصد به الملا مصطفى البارزاني... في حديث له إلى صحيفة أوروبية آنذاك، رداً على أقاويل ضد الكورد وكفاحهم. وهنا ... لايفخر البارزاني بالأصل القومي، بل يكتفي بالقول ان الكوردي "بشر من نسل آدم وحواء"، اشارة إلى مبدأ المساواة بين البشر. فلم يفاخر البارزاني يوماً ولم يفضل قومه على أي قوم آخر، بل كان يكتفي بالتذكير بالأصل المشترك لبني البشر. كان انسانياً أممياً كونياً في فلسفته ازاء البشرية.
(٢) هو الجنرال الفرنسي المعروف بعد الحرب العالمية الثانية، شارل ديغول.

مني. وفي كل سنة، وخلال الفصول الأربعة التي هي دروس أربعة، تأتي الطبيعة التي بحكمتها تحمل العزاء لنفسي".
"فهي في الربيع تنشد قائلةً:
ليكن ما كان في الماضي! فأنا لا ازال في البداية، كل شيء مشرق عندي بالرغم من الكوارث. انني فتية، وفتية مثلي هذه الاشجار المبتورة".
"وانني لجميلة بالرغم من هذه الحقول الملأى بالحصي".
"فالحب يقذف في عروقي دماً وثقة هما من الروعة والقوة بحيث لا ينضب ان ابداً".

حلاجات العدد (٧٤٠) الاحد ٢٣ آيار ١٩٧١

المهم، أن يلعب الانسان

١

حلبات الرياضة تعلمني أموراً كثيرة.
ثمة لاعبان: احدهما يريد الفوز مهما كان الثمن..
والآخر يجهد في اتقان قواعد اللعبة، ويريد ان يلعب قبل ان يفوز.
المهم هو ان يلعب الانسان، وسييسد اذا كان عمله لعباً، ولعبه عملاً..
فاللاعب هو الانسان. واللعبة هي امتداد لأنسانيته. فلماذا التأكيد على العنف
في العابنا ايضاً؟ العنف موجود في طبيعة نظامنا الاجتماعي.. وجروحنا تنام
مالحة. وأدمعنا مالحة. واللصوص يسرقون الشعوب بأقامة حلبات صراع
الديكة! يشغلون الانسان عن اللعب الحقيقي.
اثنان وثلاثون مليون دولار عن نقل وقائع الملاكمة فقط.. من قبضها؟ أصحاب
الشركات.. والألعاب كثيرة.
بعد ملايين السنين من وجود الثلج على الأرض، ابتكر الانسان لعبة التزلج
عليه.
بعد ملايين السنين من وجود البحار والبحيرات، ابتكر الانسان مختلف العاب
السباحة، وسباق الزوارق.. والغطس.
احد المقاييس لجس نبض وحرارة تقدم الانسان: هو عدد العابه الجديدة التي
يكشفها ويصنعها.

٢

كل لعبة جديدة هي تقدم فعلى.
من يقول بأن الشطرنج مجرد لعبة؟ انها قفزة نوعية في حياة الانسان.

ومثلها ألعاب الجمناسستيك والباليه.. أما الملاكمة والمصارعة فالعاب موروثة من عصر الاستبداد والصراع الوحشي، والفوز على حساب تحطيم الآخرين.

- ها هما الملاكمان على الشاشة، تهتف لهما الأفواه. تارةً لهذا، وتارةً لذلك.

أيها الجمهور المنقلب. أيها الجمهور المشوه، المسوخ، المسروق، المسلوب الارادة والثروة، أيها الجمهور المزهك الأعصاب^(١).. أيها الجمهور التعيس! كان يمكن أن أصير ملاكماً تعيساً أو مصارعاً، مزيفاً أو بطلاً.. محترفاً سرقتمكم. كان يمكن ان أمارس التعذيب، واقتطع الاوصال بالمنشار، واسمل العيون، وأشوي جلد الانسان بالمكوي والسيخ المحمي.. كان يمكن أن أصير غولاً اقطع.. ففينا كلنا جذور اولئك الابطال المزيفين، وهؤلاء المستبدين التعاء.

وعزائي.. انني تماسكت في اللحظة الأخيرة، وصرت شيئاً آخر.. انساناً!

أريد اكتشاف وجهي الآخر في محترفي البطولة، والاستبداد^(٢)، ثم يعودوا غرباء عني. انهم انا. وهم وجهي الذي أجعله، والذي كان يمكن ان اقنع به.

بطولة الانسان في اللعب.. شرف،

اما احتراف البطولة، فاهانة لمجد اللعب وشرفه.

(١) تعبيراً عن نقد ظاهرة (الملاكمت الحرة) الذي كان النظام السياسي آنذاك يشجعها ليستغلها بغية إلهاء الناس وتضليلهم عما كان يمارسه في السر.

(٢) اشارة إلى أساليب التعذيب البشري التي بدأت أخبارها تتسرب من المعتقلات والسراديب السرية في بغداد والمدن العراقية الاخرى، خلال هذه الفترة... حيث لم تتوفر لنا حرية القول بأكثر من هذا الأسلوب الرمزي الملفوف بالألغاز!

حلاجات العدد (٧٤١) الاثنين ٢٤ آيار ١٩٧١

أي الألوان أجمل؟!

الكلمات كالنمنم، ملونة، لماعة وغماقة. وحياسة لوحة جميلة لأم ترضع طفلها تستدعي استعمال مختلف أشكال وألوان النمنم.. لماعها وغماقها، زجاجيها وحجريها.. لكل نمنمة دورها في اللوحة الزاهية.

الكلمات جميلة -كالنمنم- خضراء، سماوية، صفراء، أرجوانية، حمراء، سوداء، بيضاء، فستقية، قهوائية، ليمونية، حلبيية، لحمية.. وما أكثر الألوان!
أي الألوان أجمل؟ كلها جميلة. السواد جميل في قوادم اللقلق أو ريش السنونو.. أو بلوزة سوداء تطوق جيداً عاجياً، أو عذار الصبية الوردية الشفتين. البياض جميل في ثوب العروس ليلة الزفاف، أو صف من الأسنان اللبنية في فكي طفل يقهقه على الأرجوحة الطائرة.

والاصفر؟! ما أجمله في صدر عصفور الجنة! وميسم النرجس.
ويزهي اللون السماوي حين تسطع شمس الخريف في الضحى..
أو حين ترقب الزوجة الحبيبة عودة الزوج الراحل.. في أثناء الليل.
الخضرة لون الربيع، وما أجمل عين الانسان اذ تلونها خضرة خفيفة!
والشقائق جميلة لحرمتها القانية.. فأية رغبات ملونة توقظها بلوزة حمراء
تعصر صدر شابة قمحية الخدين، في العشرين!
اللون اللحمي ساحر وخارق.. لأن الانسان لحم طري، نقي الدم، وهو لحم كل
ما فيه ثمين وعجيب وسام. ففيه حاسة تذوق الجمال.

حلاحيات العدد (٧٤٢) الثلاثاء ٢٥ آيار ١٩٧١

لو أعيش على كوكب الزهرة!

لو أعيش على الزهرة^(١)،
فأرى ظهري يسير امامي، منعكسة صورته في جو الزهرة..
لو أعيش في المريخ،
حيث السماء التي لانعرف لها سوى الزرقة، ستطالعني بلون آخر تماماً..
لو يحط بي الركاب فوق ابعد كوكب مرئي،
حيث كلماتي كلها تتغير، بألوانها وموسيقاها ومدلولها، وحيث الشروق يعني
شياً آخر، والموت يعني الانبثاق، والحب يولد في محراب جديد..
ما أشد جشعي! هل سيكون هناك ما ندعوه بالشروق والموت والحب؟ بل هل
ستشغلنا الهموم اليومية التي تمص اهتماماتنا كلها؟
ان ارحل الى أي كوكب آخر.. على أن أظل انساناً!
هذا هو معنى جشعي. فأني سر في هذا اللحم الطري، الغزير العرق، الذي
يشد بعضلاته على عظام لا يوهنها التعب ليل نهار؟
ان ارى كل شيء.. والبسه فروة الانسان.
ان أحط على الأكوان جميعها، وأظل باحثاً عن قضايا الانسان!
جشع.. انا! أطمع في ثروة الأكوان، على أن تدخل كلها في خزائتي التي لم
تستوعب بعد عشراً من ألف.. من ثروة الأرض.

(١) كوكب الزهرة، بناءً على معلومات انتشرت آنذاك عن جو هذا الكوكب.

حق التمتع بالأرض

ندعو الى التآخي، ونعرف ماذا يعني ذلك.
فالبشر يعيشون معاً على كوكب الأرض، ولجميعهم الحق في التمتع بهوائه ومائه وربيعه وشتائه ونهاره. هذا الحق -الى هنا- حق مجرد لايدل على شيء معين. لأن الواقع الراهن أبعد ما يكون عن مضمون التآخي الذي نعنيه. فينبغي للبشر ان يتآخوا ليسعدوا معاً على الارض.
المهمة الراهنة، اذن، هي التآخي في الكفاح من أجل انتصار ذلك الحق. وعند ذلك يولد جو جديد يتآخى البشر فيه فعلاً، في العيش معاً.
ولأن واقعنا تميزه التناقضات الطبقيه منذ فجر الحضارة، لا نستطيع ان نقلت من جاذبية الصراع الاجتماعي المتأجج على المعمورة قاطبة، فنقول للطبقات المستغلة؟ بكسر الغين- وريثة العنف والاستغلال:
- انت لطفة عار في جيبنا، فنحاربك علناً وفي وضح النهار. ونقول للشعوب وأصدقائها ومناضليها:
- انت صانعة هذا العصر، والعصور المقبلة، فنساندك بلا تردد.
ليس مضمون التآخي عندنا، مضموناً مجرداً، ففي بلادنا أيضاً يمكننا تحديد ملامح الدعوة الى التآخي، ان نحل قضايا الوطنية واليومية بأسلوب ديمقراطي سلمي^(١)، ان نوحّد ونوطد جبهة الشعب ومناضليه. وان نمضي قدماً في تحقيق مجتمعا الافضل.
نحن ندعو الى التآخي لأن الانسان أخ للانسان.

(١) كان ذلك هو اعتقادنا ونهجنا آنذاك (ومنذ تلك الفترة)، كنت ممن يدعو ويصعب جهده في هذا الاتجاه، إلا ان صوت دعاة الديمقراطية والسلم ضاع في خضم العنف والقسوة التي تصاعدت من قبل النخبة الحاكمة آنذاك...

حلاحيات العدد (٧٤٥) السبت ٢٩ آيار ١٩٧١

سّر اللعبة

كفى. اكتشفت سر اللعبة، وعرفت كيف تستغلني:

يصنع العمال الورق، بعد ان يبنوا المصنع.

يركب الفنيون الحبر، ويضعون له القناني.

من هو وريث غوتنبرغ^(١)؟؟ الناس كلهم ورثته. والطباعة ليست ملك أحد.

والكلمات من خلق الشعب. اكتشفها منذ مئات القرون.. وطورها، وهذبها،

ونحتها آلاف المرات. ليست ملكاً لأحد، ولا يرثها سوى جميع الأحياء من البشر.

والافكار بنت العمل الانساني. ينتجها عملي وعمك وعمل آلاف المنتجين، وكذا

المشاعر والأخيلة والصور الرومانتيكية.

وعاؤها الكلمة. فهي ملك الجميع بلا منازع.

انت -يا مستغلي- تأتي وتمتلك ثروة المجتمع المادية باسم الوراثة أو تركزها

في يديك بفعل قوانين المجتمع الفوضوية، المخفية.. بفعل قانون الجشع والسرقة

المشروعة. ثم تصيح بوجهي:

انا سيد الورق. أنا سيد الحبر. انا سيد المطبعة والنشر. انا سيد الكلمة

والفكر.

وتوقع بأسمك كل ما نقوله ونكتشفه ونكتبه، بعد ان تحذف اسمي وأسماء

آلاف المنتجين. وتكتب في الختام: أنا الخالق الوحيد!

فلتسبح باسمي الشفاه! ولتخضع لي الجباه^(٢)!

(١) مخترع الطباعة الحديثة، وهو ألماني.

(٢) تعبير عن مدى الشعور بوطأة الدكتاتورية المتصاعدة آنذاك، حيث غابت حرية

الكلمة والتعبير. يمثل هذا الأسلوب الرمزي كنا نسجل احتجاجنا في الصحافة

العلنية.

حلاجات العدد (٧٤٦) الاحد ٣٠ آيار ١٩٧١

السّر، هو أن لا سر هناك

ايها الناس البسطاء، يا منتجي كل رائع وجميل، اكشف لكم سرّاً:
لكل منتج وسائل انتاجه، فللفلاح بذاره ومحراثه وارضه وماؤه وقوة عضلاته،
وجلده وصبره.

اما وسائل انتاجي:

فورق وحبر وقلم. وتأمل من لحم وعظم.

وعيناى تسيحان ضوءاً ولوناً. وذهني يموج.. ويموج. يعصف فيه الفكر
ويشرف فيه اللحم.

وسائل انتاجي -يا اخوتي-: ارق ووجع في الظهر وصداع.. فرشفة شاي.
وسائلى السرية المنوعة عن الذكر: تعرفونها ولا تعرفونها. تعيشونها ولا
ترونها. ترونها ولا ترسمونها. تقولونها ولا تتأملونها.

اما السر الذي ساكتشفه الآن.. فهو ان لا سر هناك على الاطلاق، لاتصدقونا
-نحن الكتاب والشعراء- نكذب كثيراً حين ندعي معاشرة أطياف سحرية
وحوريات وملائكة. ونكذب أكثر حين نزعم اننا نبحر في زوارق من اللحم نحو
شطان خضراء، وجزر فردوسية. لاتصدقونا. فنحن نكذب ان نبكي غالباً، ونكذب
اذ نضحك غالباً.. نحن نكذب كثيراً.

لا سر هناك على الاطلاق، وسائلنا هي تلك التي تعرفونها.

لاتصدقونا حين ندعي العيش في عوالم مسحورة.

نحن معكم في كل شيء. في كل آن وكل مكان.. نلتصق جميعاً بالتراب
وننغمس في الطين، ونسبح في المطر. ونعجز غالباً عن اكتشاف شاعرية
واقعكم.

لن تغير رأيي في نفسي

١

سألوا ابليس: لماذا أنت اليوم سعيد ومنشرح البال؟

أجاب في سخرية:

- لم يعد الناس يتهمونني بالفساد أو يذكرونني بالشر. فالناس أصبحوا شياطين بعضهم^(١).

أيتها الطبقات المستغلة؟ بكسر الغين- منذ فجر التأريخ: قري عيناً! منذ عشرات القرون وانت تفسدين، وتنشرين رسالتك السوداء، وتشوهين ضمير الانسان، تقتلينه، تمسخين صورته. تقلبين كل شيء فيه، فيرى العالم مقعراً تارَةً، ومحدباً تارَةً.

قري عيناً!.. عكر الأبالسة جدول الحب، وعلموا الناس -بما فيه الكفاية- كل احتقار وضعة. علموهم العهر والهوان. علموهم الغش والخداع والحقذ.

علموهم الخوف من بعضهم، والاشمئزاز ونبذ الحياة!

(١) اشارة إلى تفسير بعض المفكرين عن ان الشيطان يكمن في النزاعات الطائشة للنفوس الشريرة، فالانسان قد يتحول إلى شيطان او الى ملاك حسب طبيعة ذهنه وتفكيره ونياته، وأقواله، وأفعاله. ويقلب زردشت النبي الحكيم هذه المعادلة فيوصي الانسان يبدأ بالتفكير الجيد السليم، فيقول:

- فكر جيداً، قل جيداً، اعمل جيداً.

ومعناه ان زردشت يترك للانسان حرية الأختيار بين هذا وذاك، ويضع في المقدمة الأفكار والنوايا الطيبة، التي ستقود الى أقوال طيبة وأفعال طيبة.

يا مستبداً بأمره: ستحرق صدري وجلدي وأنفي..
ستكتم فمي، وتقتلع لساني.
ستعلمني كيف العن يوم ميلادي.
ستثير خوفي من ظلي!
الا أنك لن تبرهن بكل ذلك على أنك المصيب.
لن تبرهن أنك على حق وصواب. لن تغير رأيي في نفسي.

حلاليات العدد (٧٤٨) الثلاثاء ١ حزيران ١٩٧١

ملعب للآله

الارض ملعب للأطفال..

الارض ملعب للآله.. ونحن كبار الأطفال، بلا ملاعب.

للأطفال عرائس ودمي وارايج وملايس جديدة وهدايا وسفن وكل الحيوانات الكارتونية وعالم من الكارتون.

ليست لأطفال قريتي عرائس أو كارتون، ولا فلم، فيتزحلقون على الطين، ويلعبون يأكالي الشقائق البرية. ويركضون في ليالى الصيف القمرية، حتى يتعبوا ويفترشوا التراب..

ويطاردون بعضهم في ساحات البيدر، ويقفزون.. يجربون تجربة القفز فوق الجدول، وليسقط في الماء من يسقط، لأن السقوط ايضاً.. لعبة.

للأطفال مباحهم الصغيرة في عالم لم يخلقوا له، وللآله بقية الملعب.

للآله الملعب الاوسع، فيه عرائس ودمي.. هم نحن، وصور كارتونية.

هم نحن، خلقنا الآله ابتهاجاً بالخلق.

مصائبنا لهو. وشجارنا والذيف والجوع والعرس والحناء والرقص. طقوس

الباب. نمارسها كي لا يمل الآله الوجود.

الآلما والفاء والحصا والطاعون والسجن، امتحانات يومية كي نثبت

جدارتنا امام الآله.

القواعد الذرية والخوف، والانقلابات، والمظاهرات، وحروب الأبادا، عرائس

واختبارات كي نؤكد جدارتنا بالحياة في ميزان الآله.

الحرمان والتخمة والرغد، والمطاردة والاعتصاب امتحانات يومية لأختبار من

يستحق النعيم في الجنة.

لا ملعب لنا، والملاعب القليلة محجوزة للأطفال وللآله.

وبعض ملاعب الاطفال، اتت عليها حرائق الحرب.. فلم تبق سوى ساحة سوداء،

يرقص فيها الآله، يضحك فيها الآله، يسخر من عبوديتنا الذليلة وخنوعنا.

عالمنا غير جدير بالأطفال

طفلتي: يا ملكة الاحتجاج في العالم! انت بطلة.
تملكين القوة على الاحتجاج في أية لحظة وعلى كل شيء.
أنا عاجز عن الاعلان عن تدمري واستيائي.. تعبرين انت عنه بتقطيب تكشير.
أو اف! وتهزين رأسك الصغير رفضاً. وتحكين حنقاً. وتضربين الارض غضباً!
وتبصقين أو تحركين لسانك.. وتغمضين عيناً وتصرخين بلا وجل: نعم! لا! نعم!!
لا!

يخرس دونه لسانى. متى تعلمت الأسئلة العظيمة التي تواجه البشرية منذ
فجر الخليفة: كيف؟ لماذا؟ أيه؟ متى؟ هل من علمك؟؟
يا طفلتي العزيزة: ستكبرين. ستمتلك الحياة اليومية مشاعرك، حتى تسلبك
هذه الحاسة الرائعة الصافية التي تزودك بالاحتجاج.
ستتخدرين وتصيرين مثل جسمي المخدر تحت ضربات السياط المضادة.
ستكفين عن الاحتجاج اذ يصير كل شيء اعتيادياً.
تنهضين يومياً فلا تسألين عن سر رتابة القسر والاستبداد ولا تستفسرين عن
سر الالوان الباهتة. لاتندهشين للربيع. تتبلدين وتفقدين حرارة الاهتمام
والانتباه والسؤال. ستقولين لطفلك ما اقول لك الآن:
طفلتي: انت ككل الأطفال.. لم تولدي لهذا العالم.
لم يزل عالمنا غير جدير بالأطفال، عالمهم روض ونعيم وألعاب.
عالمنا لم يزل بارداً.. بارداً، يمتص حرارة اللهو البريء، وطراوة الفجر.

حلاحيات العدد (٧٥٠) الخميس ٣ حزيران ١٩٧١

علمتونا كيف نشوه الدفاع عن أنفسنا

١

الكتابة حاجة فكرية، وحين تندلع شرارات الفن في وجدان الكاتب تصير حاجة فنية ايضاً.

وأضحت عندي حاجة روحية يومية، لا يكتمل يومي بدونها، انها حاجة مثل الأكل، مثل التنفس، مثل النوم.

والكتابة وظيفة اجتماعية حساسة ايضاً.

بفعل تشابك مصالح الناس، وتقارب الشعوب، وزيادة سرعة وسائل المواصلات المختلفة، أضحت الحاجة الى الكتابة أشد، واحتلت دوراً حساساً وخطيراً في العلاقات الاجتماعية.

فالكتابة الفنية.. شعر وقصة ومسرحية وحوار سينمائي وتحليل وبحث.

والكتابة الروتينية.. وثيقة وسند وعقد وميثاق وقانون.

ثم، فالكتابة رسالة، وبرقية، وتهنئة، وخبر، وصحافة! وهي عندي حوار ذاتي متصل يفتح لي نوافذ سفيتتي الأرضية على العوالم الملونة حولي.

٢

ايها الطغاة: ماذا تريدون أكثر من ذلك؟؟

علمتمونا... فتعلمنا فن الهاء الناس.

تعلمنا فن اثاره الكأبة والشجن بلا مبرر.

تعلمنا كيف ندير الطاحونة فارغة!

وتعلمنا.. منكم شيئاً آخر: تعلمنا كيف نشوه الدفاع عن وجودنا؟

حلاحيات العدد (٧٥١) السبت ٥ حزيران ١٩٧١

حلم و سينما..

أنت المشجع والمثير أيضاً، أن يجري الحديث احياناً عن (السينما الكوردية)^(١) أو عن العزم على اخراج فلم كوردي.. مما يثير عدة تساؤلات متتابعة.

فالسینما فن. والسينما صناعة وفكر واعلام وادب. فنتساءل:

كم معهداً فنياً كوردياً يوجد في كردستان؟ كم زمالة فنية خصصت للكورد كي يتعلموا صناعة السينما تصويراً أو اخراجاً أو ... الخ!؟

وهل يمارس الشعب الكوردي الآن حقه في ادارة وبث محطة تلفزيون كوردية^(٢)؟ وكم من البرامج خصصت للفن والأدب الكورديين في المحطتين الموجودتين بكوردستان؟

ونتساءل عن الممثلين السينمائيين أين يتدربون؟ أين يتعلمون؟ في أي استوديو سينمائي يمثلون؟ ومن الطبيعي أن يذكرنا التمثيل بالمرح:

كم مسرحاً كوردياً انشيء؟ ولما كانت المسرحية والقصة السينمائية تعتمد على الادب، لغة وحواراً وحبكة، فبودنا ان نتساءل:

ماهي الانجازات بصدد تطوير وتشجيع الأدب الكوردي؟؟ ماذا حل بمشروع انشاء دار كوردية للطباعة والنشر؟؟ اين صارت مديرية الثقافة الكوردية^(٣)؟

أبعد كل هذا يجري الحديث عن السينما الكوردية؟ وأي حلم جميل حين يشاهد الكورد أنفسهم على شاشات بلدان العالم! وأي حلم ساحر حين تقوم عدسات الكاميرات بتصوير مناظر كردستان الزاهية!

ولكن متى الاهم من ذلك: كيف؟ وماهي الوسائل المتوفرة تحت ايدي الفنانين الكورد في الوقت الحاضر؟

لاشك ان السينما فن عظيم. ويمكن لهذا الفن أن يلعب دوراً في غاية

(١) و (٢) و (٣) من شكاوي وهموم ذلك الزمان..!

الخطورة بالنسبة الى شعب ناهض كشعبنا اذا اعتمد الواقعية ولكننا نعلم..
وأكثر من الحلم فاننا نتساءل، وتتساءل:
- من المسؤول عن عدم توفر الامكانيات المالية والتقنيكية لتحقيق هذه
الأحلام؟؟
من المسؤول؟؟ من هذا الجواب تبدأ الحقيقة المرة.

حلاجات العدد (٧٥٢) الاحد ٦ حزيران ١٩٧١

جريدة على أكف عمال وفلاحين

تقويم الكورد في حزيران حافل بشتى ذكريات الثورات، والشهداء ورحيل الأدياء.. فهل ينبغي ذكر كل ذلك؟ ولماذا؟

ان الاعتزاز بتراثنا النضالي والفكري يستلزم منا ذلك اضافة الى اعترافنا بأننا نجني ثمرات ما زرعه أبطالنا ومناضلونا السالفون.

ولنبداً من هنا.. من حقل؟ حلاجات^(١) -الذي لم يكن له ان يصدر لولا صدور -التآخي- قبل اربع سنوات.

اما جريدة؟ التآخي^(٢) - فقد صدرت بارادة الشعب وكانت احدى ثمرات كفاحه وصموده. أما هذا الكفاح فلم يستطع ترسيخ كيان الشعب الكوردي في الداخل والخارج الا بنتيجة تضحية وصمود أبنائه المناضلين ممن استشهدوا وممن مازالوا في طليعة الكفاح. ثم ان هذه الطليعة لاتعمل بوحدها، منفردة؟ بل تستند الى نشاط ملايين الجماهير الكادحة وتأييد مئات الأدياء والشعراء والمفكرين.

فلا يسعنا الا الاعتراف بجهود كل فلاح وعامل ومثقف وعسكري متحرر وكل مكفر وأديب وشاعر. دافع ويدافع عن حق شعبه ويثري وجدائه الحي بقبسات جديدة من الوعي.

(١) هذه اللوحة هي بداية العودة الى تحرير زاويتي اليومية باسم (حلاجات)، واستمر ذلك لعدة أشهر... يومياً.

(٢) صدرت الجريدة في بغداد باللغة العربية يومياً منذ أواخر نيسان ١٩٦٧، كانت جريدة مفتوحة للأقلام والآراء المختلفة، وهي توفر أوسع حرية ممكنة للتعبير والنشر وذلك بقدر ماكان (الرقيب) الرسمي الحكومي الذي يسمح به، والذي كانت له غرفة داخل مبنى الجريدة ليطلع على كل مايكتب قبل طبعه ونشره حتى اعلانات الزواج والوفاة!

فأنا حين انثر كلماتي المتواضعة أشعر بأن معي آلاف القلوب الدامية التي تخفق بالثورة وتحرسني من حولي فوهات آلاف الارادات التي ظلت تنور طوال أربعين عاماً في جبال كردستان.. وأشعر بأن أنفاس الفلاحين الكورد، وترنيمه الأمهات الكورديات. تمنحني ثقة أكيدة بأن المكاسب الحقيقية للشعب الكوردي هي التربية القومية والوطنية الجديدة التي نشأ عليها الأطفال الكورد في سنواتهم العشر الاخيرة. ومثل الأشجار المعمرة فان الثمار تأتي متأخرة الا انها ثمار لاتتمن ومضمونة.

من أجل هذا لايسعني غير الخشوع باحترام عظيم امام ذكريات شهداء الشعب ومناضليه، فهم الذين منحوني القوة لأطل عليكم يوماً من هذه النافذة الصغيرة.

مفصلة النسيان

يجري الحديث أحياناً عن ضرورة دفن الماضي ونسيانه. وثمة سؤال مشروع:
- كيف يمكن ان نفهم نسيان الماضي؟ وأي جانب من الماضي ينبغي ان
ينسى؟ صحيح بأن هناك ما يثير الحساسيات الفكرية أو السياسية في ماضينا
القريب، الا اننا نسأل:

- ليست الرجعية تحاول بأسم نسيان الماضي ان نصمت دون ذكر أية
مناسبة ثورية في تاريخنا؟

ان الرجعية تفهم نسيان الماضي بهذه الطريقة: طريقة نسيان تقاليد الكفاح،
وتببيع روح الارادة والعزم ونسيان المطامح القومية الأساسية المشروعية.

أما شعبنا فيفهم نسيان الماضي بطريقة مغايرة تماماً، انه يريد ان ينسى
فعلأً، ذكرياته الموغلة، ولياليه السوداء، وذلك بتوفير الظروف الموضوعية التي
تحول دون تكرار ذلك.

ان شعبنا يريد ان ينسى التخلف والمجاعة والاضطهاد والتشريد والبطش،
على أن لا تبقى الجذور المادية لهذه المآسي فعلاً. فان شعبنا يريد فعلاً تجاوز
حياة بائسة لاتتوفر فيها أدنى شروط الحياة الانسانية حيث الحرمان الحضاري
والثقافي.. الا ان شعبنا في نفس الوقت، لا يريد ان ينسى مطامحه وحقوقه
وقضاياه الأساسية، ويريد ان يستخلص من تجاربه كل الجوانب المشرقة التي
تعيشه على مواصلة كفاحه. ان في ماضيه النضالي تراثاً عظيماً، مهملاً ينبغي
الا ينسى قط. اما الرجعية فتريد منه ان ينسى هذا التراث بالذات بأسم -
نسيان الماضي ودفنه-.

لذلك ينهض المناضلون الواعون بشحذ يقظته لتحقيق مهمات مرحلته
الديمقراطية الوطنية وتجنب الوقوع في فخاخ الرجعية الكوردية و العربية،
وتجنب الاخلاذ الى القناعات الكاذبة والاطمئنان الابله.

حلاحيات العدد (٧٥٤) الثلاثاء ٨ حزيران ١٩٧١

المخجل في القرن العشرين

-صرخة العاطل- قصيدة لشاعرنا -كوران- يسرد فيها عن لسان شاب عاطل عن العمل، قصة هذا الشاب الذي عمل أجيراً في خدمة سيده باخلاص:

- كنت ابناً للسيد، والسيد اباً للأبن

طالما كانت في هذا الأبن قوة وقدرة على العمل

الى حد كان السيد منزهلاً من مثابرة هذا الابن

الذي امتلأت مستودعاته بفضلته.

ولكن الابن الأجير يمرض تحت وطأة العمل. فلا يصلح له بعد ذلك. ويأمر السيد بطرده، فيتلقفه الزقاق والتشرد والجوع.. وايايدي رفيقة عمره، الكادحة، البائسة، مثله، التي تعتني به ليل نهار.. فيقول عنها:

- طال مرضي ستة أيام، فسبعة

ولم تتركني شريكة العمر الساهرة، لحظة

وظلت، من فرط اخلاصها، تعيش بقربي..

الى ان اصابتها عدوى مرضي، فاستلقت بجانبني.

وهنا ينهض العاطل المشرد الريفي، رغم عجزه وهزاله، ويذهب باحثاً عن العمل.. هاهو يجوب الارض بحثاً عن أي عمل، مرتضياً لنفسه ان تنفسخ مفاصل عظامه تحت وطأة الكدح مقابل الحصول على ما يشتري به رغيف خبز.. لأنقاذ رفيقته المريضة.

ثم يصرخ.. بوجه المجتمع، بوجه العصر.. صرخة الجيع:

- عملاً! أيها المجتمع! عملاً!

علاجاً! دواء.. نداء البطالة!

مخجل جداً، في القرن العشرين^(١)، انسان
لاعمل له، ويعتصر بطنه جوعاً الى رغيف!

(١) وماذا عن القرن الواحد والعشرين؟

حلاجات العدد (٧٥٥) الاربعاء ٩ حزيران ١٩٧١

واقعية

-الضحكة الاخيرة- قصة قصيرة بالكوردية للأديب د. كاوس قفطان تتحدث عن فتاة مرحلة تضحك كل يوم لحبيبها ثم اذا بهذه الضحكة تموت، واخيراً تظهر الحقيقة المرة للحبيب المفجوع حين يزفون حبيبته قسراً وعنوة وبقوة المال والنفوذ الى شاب آخر طائش وغريب. وتحدث هذه الفجيعة في مدينة ضاعت فيها المقاييس والقانون والكرامة وكل ما هو انساني.

اشعر بالألم حين اعجز عن ترجمة القصة نصاً، لأن حقلي الصغير لايتسع لذلك.. فهي واحدة من عشرين قصة قصيرة، كوردية للأديب نفسه، وهي الآن امامي في مجموعتين قصصيتين.

كان الدكتور الاديب عزالدين مصطفى رسول قد كتب دراسة قيمة عن - الواقعية في الادب الكوردي- وعمق جذور الواقعية في شعرنا وقصتنا وحتى فولكلورنا..

وتأتي قصص الدكتور كاويس، امتداداً لهذه الواقعية في القصة الكوردية، وتطويراً لها في نفس الوقت. واذا كان النقاد الكورد قد اهللوا قصصه فذلك لايعني انتقاصاً منها. وما يحز في نفسي انها لم تترجم الى العربية ولو بعضها حين يقرأ المرء قصصه -ومع الاسف لايشاركني القاريء العربي هذا التذوق جهله بالكوردية- يشعر بجمال اخاذ في اسلوب القاص.

وبوضوح فكري يرى الاشياء كما هي وبتماسك فني يحقق وحدة الشكل والمضمون.

قال لي احد الشعراء العرب:

- ليتني كنت استطيع قراءة شعر شاعركم ؟ غوران- باللغة الكوردية! انا عبده واقدسه.. واعتبره نبياً لكم.

ولا أستطيع ان اقول شيئاً للقاريء العربي، سوى ان اتمنى له القدرة على

مطالعة قصص كاويس قفطان باللغة الكوردية، كي يتأكد بان الواقعية ستبقى
المدرسة الأهم في الادب والفن. هذا الاتجاه الواقعي رد صامت وقوي على سيل
الغثيانات الذهنية التي يعج بها الادب في عراقنا اليوم.

حلاحيات العدد (٧٥٧) السبت ١٢ حزيران ١٩٧١

تقويم حزيران

من تقويم الكورد في حزيران:

من الصدف الرومانسية ان تجتمع ذكرى الاربعة الابطال^(١) مع ذكرى وفاة الشاعر بيرميرد رائد الصحافة الكوردية والمربي الاول والمصلح الاجتماعي الذي بعث عيد -نوروز- من جديد، بعد ان وضع له نشيداً سيظل خالداً.

بيره ميرد.. رغم ما قدمه من مآثر فكرية وقومية، فان الاحتفال به مازال أقل بكثير مما نصب له تمثال في السليمانية، وأصدر الأدباء كتاباً قيماً عنه يتضمن اشعاره بصورة رئيسية بذكراه في العام الماضي. ومع ذلك مازال المثقفون قاصرين عن الالمام بأي جانب من جوانب حياته وفكره وهم يجهلون جوانب حياته المتعددة.

ان بيره ميرد.. الخالد هو الذي قال:

- انا أحب اللون الاحمر،

لأن بشرى الشفق تلوح به!

وهو الذي قال:

- لاجحة الى العويل والبكاء من أجل الشهيد

لن يموت الذي يعيشون في ضمير الشعب.

ان بيره ميرد^(٢).. هو الذي كان يتمنى ان يبعث بكفن قرمزي دممي، وأقسم

الا يطفىء النار المندلعة في كفنه حتى يحيل عدوه الى رماد!

(١) الضباط الشهداء الأربعة الذين اعدمهم النظام الملكي عام ١٩٤٧ انتقاماً من اشتراكهم في ثورة بارزان ١٩٤٣ ثم تاسيس جمهورية كوردستان الديمقراطية (مهاباد) عام ١٩٤٦، وكانوا قد اضطروا عام ١٩٤٧، بعد اسقاط الجمهورية الى العودة الى العراق حيث حوكموا وشنقوا في سجن بغداد المركزي صبيحة ١٩ حزيران ١٩٤٧.

(٢) بيرميرد، توفي في السليمانية يوم ١٩ حزيران عام ١٩٥٠.

حلاجات العدد (٧٥٩) الاثنين ١٤ حزيران ١٩٧١

العالم في عينيها سنيلة قمح ضائعة

١

الطين يباع. الطين يباع!
الهواء والماء والعشب يباع!
الحزن يذاع. الحزن يذاع!
والنبا السعيد لا يذاع!

٢

انا اكتب.. فأنا ألعب بالنار،
انا اكتب.. فأصنع ألف نهار.

٣

صبية قروية تجوب في الظهيرة،
كالدجاجة الاليفة تلتقط الحبوب،
تلتقط السنابل الطائشة، المنفلتة من قبضات الحصادين
مريولها ساحة بيدر صغير.
مريولها الصوفي البرتقالي -يجمع السنابل،
وأما المتشحة بالسواد، تغسل الملابس في الاناء الخزفي^(١).
تنتظر امها، ناعسة العينين.
صبية، لم تكتحل بعد، لم تتزين بالعقود المرجانية بعد،

(١) اناء تصنعه المرأة في ريف كوردستان.

العالم في عينيها سنبله قمح ضائعة^(٢)،
ودرب ترابي ملتب، حفرتة اطلاق المواشي..
صبية لم تعرس بعد. لن تعرس. لن تعرس. لاتملك الحناء!.

(٢) في مواسم الحصاد تذهب الفتيات عن حاجة وفقر للعثور على بعض السنابل التي تتخلف عن مناجل الحاصدين، وتنقلها الى المنزل وتدقها بمدقات خشبية حتى تنفصل الحبات عن السنابل... هكذا يحصلن على بعض القوت.

حلاجات العدد (٧٦٠) الثلاثاء ١٥ حزيران ١٩٧١

ادخل أيها العائد العاري

هو: جائع الى الحب. جائع الى حنان الشعب^(١).. عائدُ انا، فافتحي الباب يا عزيزتي، لاتوصديه بوجهي، افتحيه.

هي: اين كنت؟ لماذا غبت عنا هذه السنوات العاصفة؟

هو: عائد، يا عزيزتي، وعلى كفي روحي وقلبي ووجداني، اطلي على من السور^(٢) وتأملي عريي وجوعي.. تأب انا.. وعائد.

هي: اذهب، وأمض الى حيث كنت تلهو وتدفن أيامك..

هو: رحماك.. اسمعيني دقيقة أخرى. لاتبتعدي، اليك كل ما املك، خذي وجداني كله. ها انا ذا أرمي به عند عتبتك وارحل.

خذي. فهو أمانة عندك، خذي. عدت عارياً لا أحمل سواه بعد أن طهرته باللهيب. جئتك عارياً أحمل قلبي المتعب، الجائع الى حنانك.

امهليني دقيقة اخرى، فالحياة قصيرة، لا تغفر تأجيل أي عمل خلاق. قولي بسرعة: جئتك.. هل ستطرديني حقاً؟

هي: يا طفلي العنيد! يا طفلي الحبيب. كفكفت دموعي اخيراً. انا اسمعك فتكلم. كفاك رجماً لصدري بكلماتك النارية!

هو: الحياة قصيرة. والوقت لايرحم. قولي الآن.. الآن: هل ارحل فأعود الى منفاي الى الابد، أم انتظرک هنا محملاً بكساء حيك؟

هي: (ترق وتشفق عليه) يا طفلي العائد! يا طفلي العائد!

-هو: اسمعك تفتحين مزلاج الباب. يا فرحتاه! يا أمي العظيمة^(٣).

هي: ادخل. ايها العائد العاري الجائع.. ايها الطفل العنيد.

(١) الملاذ المعنوي الاجتماعي للانسان، كذلك يصور الشعب بالأم الحنون.

(٢) وكأنه خارج سور شاهق وقد أغلقت دونه الأبواب.

(٣) اللوحة أشبه بمقطع مسرحي، حيث الحوار الحميمي بين التائب العائد والأم الرؤوف، او أية حبيبة.

قلق أبدي يتساءل: لماذا؟!

١

في سنوات العاصفة، اوقفوا حاكماً (كان يقاضي الناس) قالوا عنه: أنه معارض!
و حين دخل الحاكم، الحاكم منذ سنين طويلة، مقرر مصائر مئات الناس..
دخل الموقف^(١)، بكى.

بكي بحرقة. فسأله:

- ما يبكيك؟

- كيف اقضي ايامي هنا؟

- وكيف كنت تشعر، كيف كنت تفكر، حين كنت ترسل الناس الى السجن؟؟

- لم اشعر. ولم افكر!

٢

اطيل لحيتي كثيراً.. لا اخلق ذنبي الا مرة في الاسبوع.. أو أكثر من
الاسبوع. اتحاشي الحلاقة، كي لا ارى وجهي في المرآة كثيراً. كي لا يذكرني
وجهي بنفسي، بخوفي، بقلقي.. كي لا يذكرني وجهي بأني كنت انساناً قبل مليون
عام، وصيرني التاريخ صرصاراً وجرذاً وجراداً!

كي لا تشجعني عيناى على ارتكاب عمل مقرف آخر.. فانفخ الغرور في
نفسي، واخرج الى الشارع.. فاصطدم بعمود، أو يصطدم بي عمود.

أطيل لحيتي.. كي اوفر على نفسي النظر الى وجه، كل شيء فيه واضح.. الا
قلق غامض، قلق أبدي.. يتساءل دوماً: لماذا؟

ولماذا؟ ولماذا؟

(١) الموقف: المعتقل

حلاجات العدد (٧٦٤) الاحد ٢٠ حزيران ١٩٧١

الكفر هو أن تخفي الحقيقة

١

في حزيران تحل ذكرى استشهاد المناضل والأديب الكوردي (أنور المائي)^(١) الذي عاش مناضلاً، باحثاً عن حقيقة ضائعة في مجلدات التأريخ.. حقيقة شعبه الكوردي العريق^(٢).. كان ينقب في الكتب، وفي اللغة، وفي الحجر والسماء.. وحتى داخل الكهوف الجبلية العميقة، ليلتقط كل حقيقة تعينه على أن يقول للعالم:

ها هنا، وفي كوردستان الساحرة يعيش شعب باسل، مثابر، ذو تأريخ مجيد في الكفاح والبطولة، لم يفرط بكيانه القومي روحياً ووجدانياً ولا بوجوده رغم قرون الاستبداد والاحتلال.

وكانت للمناضل الشهيد (أنور المائي) مفاهيمه الخاصة عن الكفر والخيانة. اما الكفر.. فهو أن يعرف الانسان الحقيقة، ثم لا يعلنها، ويحجبها. وأما الخيانة.. فهي ان يخفي اولئك الاكراد الذين يمنحهم شعبهم الثقة والمسؤولية، ان يخفوا الحقائق عن شعبهم.. عاش أنور المائي مناضلاً، واستشهد مناضلاً^(٣).

(١) ولد وعاش في منطقة بروراي بالا بمحافظة دهوك.

(٢) هو أول أديب كوردي زار الصين عام ١٩٥٩ ليعود قائلاً ان في الصين جالية كوردية بعد ان زارها والنقط صورة فوتوغرافية مع مجموعة من أبناءها... وتبين فيما بعد أيضاً ان قسماً من الكورد يعيشون هناك دون أن يعرف بالضبط متى وكيف حلوا هناك، وهم الآن مواطنون صينيون... ولم يظهر بعد من يتحدث عن "كوردستان الصين"!!

(٣) استشهد أثناء المقاومة عام ١٩٦٣.

يقول الشاعر (كامران)^(٤):
- لك الذهب والقصر والثروة
ولي درب الكفاح الشاق،
انت تعيش لنفسك، وتموت لنفسك،
اما انا فممن اجل الشعب وأرض كوردستان.

(٤) من الشعراء الكورد في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين.

حلاحيات العدد (٧٦٥) الثلاثاء ٢٢ حزيران ١٩٧١

لو نزرع الأرض

كم نحن في العراق؟

لنكن ثمانية ملايين^(١)، ولنكن عشرة.. وليكن القادرون فينا على العمل ثلاثة ملايين لاغير، لو أستبعدنا النساء -كما هن- عن دائرة العمل الحي. لو زرع كل عامل فينا، شجرة زيتون واحدة كل عام.. كانت لنا في مدى خمس سنوات خمسة عشر مليون شجرة زيتون.. خمسة عشر مليون ظل، يفيء اليه المسافرون والطيور المهاجرة والحمام والزاع.. وستتكاثر الطيور البرية، التي مازلنا ننكر عليها حقها في بناء أعشاشها^(٢)، رغم حاجتنا الملحة اليها، كلما عضنا جوع، ان كنا جوعاً.. او نهشنا ضجر ان كنا متخمين.

جميل ان نحقق أمنية واحدة.. ولو!

الا ان معظمنا لا يملكون أرضاً يفرسون فيها شتلاً.. ولا يستقرون في أرض، كي ينتظروا اخضرار شتل.

لا يدري معظمنا الى اين يذهب به أمواج الحياة اليومية، والايجار للسكن، والجفاف وفوضى العلاقات الزراعية، وسوء توزيع حصص الحياة.

تحب الأرض من يحذب عليها، ويخدمها^(٣).. ولا يخدم الارض الا من يطمئن الى رفقتها..

(١) تقدير عدد سكان العراق آنذاك.

(٢) دفاعاً عن حق كافة الأحياء في الوجود.

(٣) و (٤) هي نظرتي الخاصة منذ ذلك الزمن، وقبله... عن ان الأرض كائن حي يدرك ويشعر، فتحب من يحبها وتحنو على من يحنو عليها ويخدمها بالعمل الخلاق. وعلى مرور الزمن تعمق اعتقادي بهذه النظرة إلى كوكب الأرض، والآن (٢٠٠٩) أصبحت أرق شعوراً بالحب المتبادل مع الأرض، لذلك كنت أتحدث عن (فن حب الأرض).

والذين عرفوا مذاق الملح ورائحة الطين اللزج، والشلب (مزارع الرز) والطماطة.. هم الذين يجيدون فن حب الأرض^(٤)، والأرض ليست لهم. أما الذين يعبدون الارض، صنماً مملوكاً، وقيداً أسود فالأرض تحتقرهم، لأن من طبيعة الأرض ان تكون معطاءً خدوماً من حيث هي مخدوعة.. وتحب من يسود عليها بالعمل.

حلاحيات العدد (٧٦٦) الاربعاء ٢٣ حزيران ١٩٧١

عن الأدب الكوردي

من تقويم الكورد في حزيران:

عقد ببغداد المؤتمر الاول للأدباء الأكراد في ٢٣ حزيران ١٩٧٠، بعد ان ظل الادباء والشعراء الاكراد يطالبون، ويحاولون تنظيم أنفسهم في اتحاد يضم جهودهم وينسقها لدعم الكفاح الديمقراطي للشعب الكوردي، ومن أجل تطوير الادب الكوردي. وبعد عام من عمر اتحاد الأدباء الاكراد يحق لنا ان نشير الى ضعف حركة الترجمة من والى اللغة الكوردية. اذ كم مجموعة قصصية أو شعرية كوردية صدرت باللغة العربية او بأية لغة اخرى؟ وكم كتاباً أدبياً أو مجموعة قصصية أو شعرية ترجمت الى الكوردية من الآداب الاجنبية؟ اعتقد بأن تطور أدبنا الكوردي يمر عبر ثلاث اتجاهات متفاعلة، ومرتبطة ببعضها،

الاتجاه الاول: جمع وتنقيح التراث القومي الفولكلوري.

الاتجاه الثاني: اغناء الادب الكوردي بتجارب الآداب العالمية عن طريق الترجمة الى اللغة الكوردية.

الاتجاه الثالث هو العمل الادبي الذي يقوم به الأدباء الكورد في عملية الخلق باللغة الكوردية. ويظهر بأننا جعلنا الانتاج الأدبي في المرتبة الثالثة وأولينا الاهتمام بجمع التراث والترجمة. ولم نفعّل ذلك الا عن اعتقاد باننا الآن في أمس الحاجة الى الاكتساب والتمثل، فتجاربنا الأدبية المحلية لا تستطيع بإمكانياتها الحالية ان تنضج. ولو جاز لنا التوسع لقلنا بأن تطور ثقافتنا القومية، وليس الأدب وحده، ينبغي ان يتحرك بهذه الاتجاهات الثلاثة في أن واحد مع اولوية الاهتمام بجمع التراث والترجمة. والى جانب ذلك يجري تشجيع الانتاجات المحلية ما أمكن.

اما بالنسبة الى الترجمة من الادب الكوردي الى اللغات الاخرى، فأنه أمر

حيوي ايضاً لما في ذلك من جوانب ثقافية واجتماعية وسياسية في أن واحد،
نقتصر منها على ذكر اهليتها في تعريف العالم بأدب واصالة هذا الشعب
المحروم من حضارة وثقافة العصر.

حلاجات العدد (٧٦٧) الخميس ٢٤ حزيران ١٩٧١

عظماء بأحاسيس أطفال

لماذا يحب عظماء المناضلين والثوريين الأطفال حياً جداً؟
ما سر هذا الاحساس الحار المتجدد، بالحياة لدى هؤلاء المناضلين؟
هذا -لن- يبحث عن اسعد لحظات حياته في التنزه مع طفل في غابة
شتائية..

وهذا هو -هوشي منه- يناديه أطفال فيتنام بالعم -هو-، ويقول عن جميع
أطفال بلاده انهم أطفاله..

وهذا هو البارزاني، الأب الطيب الحنون للشعب الكوردي وقائده الفذ يحتضن
جميع الأطفال الكورد ويسعد بألفاظهم وطلباتهم الصغيرة^(١)..

ثم ماهو السر الكامن وراء هذا التعاطف العضوي الذي يبديه الأطفال الكورد
تجاه البارزاني العم العزيز، حتى وأن لم يكونوا قد رأوه؟
ان تسير في مدن وقرى كوردستان تسمع الأطفال يلعبون وهم يرددون أجمل
اغانيهم التي تلهج باسم البارزاني. سيكبر هذا الجيل من الأطفال وفي ذهنه
صورة نقية لبطل حقيقي يقتدى به، بطل يرمز اسمه الى صمود الشعب الكوردي
وبسالته، وحب للحياة والسلم والحرية.

سيكبر هذا الجيل وفي وجدانه تعيش كوردستان ممثلة في اسم البارزاني^(٢).
ان لعظماء المناضلين الثوريين احساساً حياً متجدداً يعبرون عنه بحبهم
للأطفال، هذه البراعم التي ترمز الى نضارة الحياة المتجددة ابداً..

(١) أحتفظ بهذه الجمل وأسماء العظام، كما هي مكتوبة عام ١٩٧١، ولازلت أعتبر
فلاديمير ايليتش لنين الزعيم البولشفي المعروف انساناً عبقرياً فذاً ومفكراً كبيراً،
بغض النظر عما يقال عنه بعد انهيار التجربة الاشتراكية التي قادها لنين منذ
أكتوبر ١٩١٧.

(٢) وهكذا كان إلى حد بعيد.

ان للمناضلين الحقيقيين، المدافعين عن شعوبهم بنكران ذات، احساس الطفل
والفنان ازاء الحياة والطبيعة والانسان.
وهذا هو سر تألقهم الى النهاية، عظماء وحقيقيين^(٣).

(٣) أرى في عظماء التاريخ الذين ناضلوا لخدمة شعوبهم والانسانية أناساً مرهفي
الحس ويقظي الوجدان مما يجعلهم يحبون الحياة بحرارة، ويعبرون عن هذا الحب
من خلال حبهم واهتمامهم بالأطفال، الذين يجسدون المستقبل المنشود.

حلاجات العدد (٧٦٨) السبت ٢٦ حزيران ١٩٧١

دع النبع يتدفق

كي تصير شاعراً، دع النبع يتدفق،
ولاتعكر الجدول بالبحث عن نبعه، دعه يجري صافياً ينعكس فيه العشب
الفاقع الخضرة، والريحان، والصفدعة، والنعناع البري، والغيوم البعيدة..
وحمل يتأمل وجهه، وهو يرد الماء.
وصبية تزهو وتلاعب صورتها الملصقة بزرقه السماء في عمق الجدول..
لاتعكر الجدول بحثاً عن النبع، كي لا يطمر النبع..
دع الماء صافياً، هادئاً، ينام فيه قرص الشمس، وتغتسل العصافير حول
ضفافه ايذاناً بمجيء المطر..
وكي تبعث شاعراً، تذكر.. ان الماء الذي يشربنا ونشربه.. يباع. الماء يباع،
فالماء لمن يستخرجه.
لن يستخرج الماء الا من يمتلك ارضاً فيها ماء ومجرقة ومضخة..
ولن يملك الأرض والمضخة الا من يملك المال وتوقيعاً أو ختماً بتوقيع. ولن
يملك المال الا من.. ماذا؟
هل سطع الضوء الأحمر؟ هل توقف السؤال؟ هل ارتطم السؤال بصخرة في
قاع الجدول الهاديء؟ وهل يظل الماء يباع؟ وهل تظل بواطن الارض ملكاً لمن لا
يفهم ماهي الارض؟
الا.. فليتعكر هذا الماء الذي يباع..
وكي تولد شاعراً.. تذكر، ان النبع الذي سيظل نقي الدفق، ولا يتعكر..
هو النبع الذي لم يمتلكه أحد.
هو النبع الذي لا يباع. لم يبع. ولن يباع..

حلاجات العدد (٧٦٩) الاحد ٢٧ حزيران ١٩٧١

على المسرح العاري

صديقي الممثل: أنت تستأثر بالتصفيق لوحدك.
يهيء عمال البناء.. مسرحاً، ويهيء عمال النجارة والخياطة ديكوراً وملايس،
والتصفيق هو لك وحدك.

يهيء عمال الكهرباء، الضوء واللون ومكبرات الصوت، ويوفر عمال البلدية ماء
وهواء، ويحرس مسرحك البوابون..
اما التصفيق فهو لك انت.

يعلمك المؤلف ماتقوله للناس الذين منهم تعلم مؤلفك.
ويعلمك المخرج كيف تقف وتجلس وتلتفت وتؤشر، ما ان تظهر انت من وراء
الكواليس، حتى تسرق التصفيق بوحدك.. دون كل هؤلاء، ودون موزعي
البطاقات، والمصورين، والموسيقيين.

انت الآن، يا صديقي، تحاكي -الملك لير- على المسرح، بينما تجهل انك لا
تملك شيئاً، مما خلع عليك خلف الكواليس.. لا الملابس ولا الكلام ولا الاشارات،
ولا الشخصية التي تتقمصها، فهي شخصية غيرك.
فلماذا تشتمنا حين لا نجيد التصفيق؟ لماذا تنتكر لنا نحن الجياع الى تمثيل
حي؟

قد تجيد اداء الدور، فتستحق زخة تصفيق.. فلماذا تعاتبنا اذا حالفك الفشل؟
ما ذنبنا؟ هل نصفق لفشلك ايضاً؟ هل نخدع أنفسنا بالتصفيق لك نفاقاً^(١)؟
صديقي الممثل: ما أكثر ما تطلب منا، نحن الذين ندفع دائماً، أجور العمال..
وأثمان ملابسك والخشب.

نحن الذين نتحمل أجور الماء والكهرباء والصوت.. ودهان الديكور!

(١) احتجاج على التصفيق المجاني والعشوائي للأخريين (سواء في الحكم والسياسة
أو المجالات الأخرى)...

جنون المعرفة

١

أحبتي! أحبتي مادتي بي الأرض..
ماجت بي، بردهتي، بأحلامي، بورودي.
أضحت الأرض هشة.
أمسيت الأرض سمكة، ترتعش بين كفي، ولا تطيق مني أكثر.
الأرض العجيبة تغور، وتنخسف.. يوجعها الرقص على صدرها. لم تعد
الأرض أمماً. لم تعد الأرض جدة.. لم تعد حواء.
الأرض الثور^(١)، تصرخ من التعب، ولا تطيق حملي.. وتبتسم وتتوسل كي
انزل عن صدرها..

أحبتي! أحبتي! لاتحبلى الأرض الا بالجنون.
أمامكم سبيل شتى، نفضي معاً. وفي آن واحد، الى الغرق ما عدا سبيل
واحد:

هو الرقص بجنون.. والغناء بجنون..
واقتسام البترول، والقمح وقضبان الحديد، وتوزيعها بين الناس، في عدالة
مجنونة..
والهجوم معاً، دفعة واحدة، نحو البحار الزرقاء، ونهب المحار، في جنون
الجوع، وصخب العطاش..
ولتنخسف الأرض بعد ذلك، ونرتطم بقرني الثور، أو ظهر السمكة نحو القرار
اللانهائي.. نحو اللاقرار.

(١) اشارة الى اسطورة قديمة عن جلوس الأرض على قرن ثور ... والثور على ظهر
سمكة.

أعارض نمط حياتك، فأحاول تغييره، أناقض مفهومك فأريد قلبه.. الا انني لا
أعارض حقك في الحياة، ولا أنكر حقك بالفن.
لاتجفل مني. سأكافح معك، لنعيش معاً، حقاً، ونشرب الأصيل.

حلاحيات العدد (٧٧١) الثلاثاء ٢٩ حزيران ١٩٧١

يكفيني جلدى كَمناً

مات عجل. ارادوا تكفينه، فقال:

- لماذا تكفنونني؟ يكفيني جلدى كَمناً لي. ادفنوني هكذا.

وفي احدى البلدان الافريقية صدر أمر بحظر ما يقوم به بعض الافريقيين من محاولة لتبييض جلودهم السوداء.

من أين يبدأ التغيير؟ من الجلد أم من الرأس؟

في البداية انتصب الانسان على قدميه، واستعمل يديه، وتطورت حواسه، وصارت عيناه في مقدمة وجهه، وبالعامل صار ماهو صائر.

ونما دماغه، وتنامت تلافيفه، وتمرن على فن التفكير والاستنباط والاستدلال

بعد ان تعلم اللغة، والغناء والشعر وقوانين حركة الاشياء.

كان العمل اشارة التغيير، الا ان التغيير كان بدأئياً لا واعياً وغير مقصود.

ومنذ عهد قريب فطن الانسان الى نفسه، وأدرك قواه الحقيقية، فأصبح رأسه مركز اشعاع التغيير. وبذلك اصبح سيد تغيير نفسه.

فلم يبدأ التغيير الا من العمل، ثم من الرأس الذي كونه العمل.

عش كما انت، لتموت كما أنت، في غير حاجة الى كفن يستر آثار التشويه

والتعذيب الصارخة، التي كنت تمارسها لتغيير جلدك فحسب، كنت مدفوعاً بوهم

الخلاص من حقيقتك القاسية، بالاستحمام في أحواض العطور والطيب ورغوة

الصابون..

يتمنى العجل لو يدفن بجلده، ويتمنى الزنجي الأصيل أن يظل زنجياً ويعيش

انساناً. وليس غير الأجرى من يتمنى تغيير جلده.

الرؤوس المحشوة بالتبن^(١) لايرفعها جلد ناعم، حتى ولو استعيض بجلد

اينشتاين.

(١) تعبير كوردي، كناية عن الأغبياء والحمقى البلبيين.

حلاجات العدد (٧٧٢) الاربعاء ٣٠ حزيران ١٩٧١

أعظم المطالب أن لا يخفوا!

١

المطالب اليومية البسيطة هي أعظم المطالب على الأرض.
لأنها، أولاً، مطالب الناس، ثم لأنها.. سر هذه العلاقات المبكية والمضحكة التي تشدهم ببعضهم.
ان يسدد الجميع ديونهم.
ان يشبع الجميع ويرتوا
ان تستظلهم جميعاً سقوف مزركشة باللوحات الجدارية.
ان تكنس الشمس غرفهم^(١)، وتلاطف النسمة ستائرهما..
ان لا يخافوا. ان لا يخافوا. ان لا يخافوا.
فاستعذبت الكفاح اليومي الشاق من أجل هذه المطالب^(٢)، للناس جميعاً.
ومن اجلها ايضاً، سأظل أحلج، واحيك اللافتات الملونة، لتزدان بها واجهات الدور والمحلات والقرى.
لست اطرح أُلغازاً. فأنا وليد هذه المطالب البسيطة. وتحت ضغوط تياراتها الجارفة نفضت الغبار عن محلجي، ووقفت أعمل عارياً، عارياً، لأنني أحب أن أجب الحرية من الخوف.

(١) كنت منذ البداية أومن بحق الأنسان في ضياء ونور الشمس، بمعنى ان يتوفر له سكن صحي يسمح بدخول النور والضياء والهواء النقي.
(٢) مازالت المطالب الانسانية على كوكب الأرض هي نفسها، وقد أضيفت اليها مطالب أخرى، دون ان تتحقق السابقة واللاحقة ... وستواصل.

٢

أُتطلع الى المجد.. الى السمو والجمال.
وأبحث عن أكثر الاشياء مجداً.
قالت طفلي: بابيه! انت أجمل الناس!..
انا ذا أُتطلع من جديد، فلا أرى ما هو أسمى من الانسان المخلص.

حلاحيات العدد (٧٧٣) الخميس ١ تموز ١٩٧١

الحياة لاتنفر

لاتغتفر الحياة، وعاجلاً أم آجلاً، سندفع ضريبة الحياة وندفع ثمن اخطائنا وهفواتنا الصغيرة.

وسندفع ثمن ما نرتكبه بحق أنفسنا، ليس في عالم آخر، بل في هذا العالم الذي نعيش ونرى ونسمع ونشم ونعمل..

الحياة لاتنفر قط. اقرأ بصورة خاطئة وفي انارة غير كافية، ستصاب بقصر النظر او بعده.

اشتم الناس يشتموك. العن الناس يلعنون. اهمل دارك، ستملؤه الاوساخ. سندفع ثمن هفواتنا الصغيرة.. فان المشي البطيء يضعف الساق، والعيش في الأقبية الملوثة يورث السل، والخوف المستمر يولد الانهيار العصبي. والتخمة في العشاء تسبب أحلاماً مزعجة، اما كراهية الناس فلا تترد سوى الى النفس. والحدق على الآخرين ينقل عدوى الحدق على الذات فالتعاسة الروحية.

وعادة الجلوس الطويل على الكرسي تورث الاصابة بأمراض عديدة

- كيف يتجنبون الاصابة غالباً؟

يكنم الجواب في الرقص، لأنهم اذا كانوا يجلسون طوال النهار الى مغرب الشمس، بمزاولة الرقص بجري الدم النقي فيهم.

وهذا هو نفس السر الذي يجعل العمال والفلاحين لا يرقصون ليلاً، لأنهم يعملون طوال النهار، ويتحرك الدم بسرعة وبما فيه الكفاية ليتجنبوا هذا المرض.

حلاحيات العدد (٧٧٥) الاحد ٤ تموز ١٩٧١

أنا عاجز حتى عن الاختفاء

- طفلتي الحبيبة: جواز السفر الى قلبك الطيب الكبير هو الاخلاص والصدق.
لم تحترميني الا حين احترمت حبك واعتزازك بنفسك وبأمالك.
قولي: ماذا تريدين؟
- ان تأخذني معك الى كل مكان.
 - ما أقساک! كيف يمكنني تنفيذ هذا الطلب العظيم؟
 - تعال معي، اذن، الى حيث اريد.
 - هذا مطلب أعظم. لو تكتحل عيناى بعالمك!
 - اوه! باهه! أنت مثلي طفل عاجز.
 - حکمك هذا أقسى من مطالبيک السابقة.. دعيني أسحب قولي، فلن أستطيع تحقيق ارادتك.
 - حسناً! والآن.. قل: ماذا تريد أنت؟
 - ان تكوني معي حيث أريد.
 - لا! فأنا ألعب حيث أريد.
 - لن نتفق يا صغيرتي. وجوابك حاسم وصريح.
 - دعنا نتفق.
 - كيف؟
 - أن نلعب الآن. سأختفي. فهل تعثر عليّ؟!
 - صديقتي: غلبتني. فأنا عاجز حتى عن الاختفاء لحظة.

المدار الاخير العدد (٧٧٦) الاثنين ٥ تموز ١٩٧١

أحجار قمرية باردة

شقيقة روجي:

أنا مجنون حب في عصر مسخت الحياة الأجماعية الحب الى عجيبة من
بلاستيك. تمطرنى كلماتك بالعبق النرجس وتغرس في جسدي ابر التخدير..
همساتك تهدد شوقي الطفل الرضيع الجائع الى دفيء في صدر حنون.

رفيقتي الباسلة:

لو أسكب حبي،،

لو أفرش حبي..

لو أفرش حبي، ثم لاتسعه الأرض، وطرف منه يرفرف في الفضاء، فنُمدّه
الى القمر بساطاً من الف شوق، والف مصباح، اخضر، وازرق، واصفر...
يصعد -عبره- الاطفال وحفاة الارض، الى القمر.. الى عوالم لم يحلموا بها.
لو أفرش حبي، ثم لايسع الفضاء من الأرض الى القمر، سيتمطى بساطاً
فسيحاً يشبعك باهداب الشمس.

ومن ردهتي يصعد الناس الى الشمس، فيقتطفون كل أحلام البشرية.

وبدل الأحجار^(١) القمرية الباردة، يعودون بالخبز والسلم الى بيوتهم التي هي
من طين وقش وقصب وصفائح مصداة، مهيئة للحريق. ويعودون بالجمر الى
مواقدهم الباردة، يعودون بالأشعة النظيفة التي تمشط عن لحافهم ومزقهم،
جراثيم السل والكوليرا والملاريا.. والتيفوس..

رفيقتي الطيبة: استعيد حبك أيضاً. حبك الكبير، الاكبر من الأرض، لنشد

(١) كان رواد فضاء أمريكيون قد صعدوا إلى وجه كوكب القمر آنذاك وعادوا الى
الأرض بصخور وأحجار.

بالحب، الكواكب ببعضها فيرحل اليها الناس بعدنا، بعد الألفين والأربعين والمائة
ألف.

سيصعد الناس، وحين يعودون عن آخرهم، سترحلين أنت، وآخر من يسافر
هو أنا.

أحب الناس أولاً -يا سعادة روعي- ثم أنت، ثم أنا.

ولد الناس طبيين

اعترف بأن تصوراتي عن الناس والحياة تتنوع بل تتناقض أحياناً. وحين أبحث عن سر ذلك اجد ان الأمر طبيعي جداً. اذ يبدو الصباح لي جميلاً تارة وكئيماً تارة أخرى، كما اندفع الى العمل بحماس مرة وبتردد مرة اخرى.

وانا -شأني شأنكم جميعاً أيها الاعزاء- كنت اشغل ذهني ساعات طويلة بتصنيف الناس الى طبيين وأشرار، الى صالحين وفاسدين. وحاولت اليوم حسم هذه المسألة في لحظة من لحظات التسامي على الذات. وتصورت نفسي عملاقاً ضخماً جداً بحيث صارت الأرض كتاباً صغيراً مفتوحاً بين يدي..

ورحت أتأمل الناس في مختلف أوضاعهم اليومية.. وتساءلت: والآن.. هل يبدو الناس طبيين ام أشرار؟ ثم من هم الطبيون؟ ومن هم الاشرار؟ وانتهيت الى جواب بسيط مطمئن يقول:

- ولد الناس طبيين. وهم جميعاً طبيون. الا ان هناك من هو أكثر طيبة، أو أقل طيبة. كما قد يبدو الفرد الواحد أكثر طيبة هنا واقل طيبة هناك.. وهكذا. وغمرني اطمئنان سار بهذه النتيجة بعد أن جعلت الطيبة (وليس الشر) معياراً لتصنيف الناس، فهم جميعاً طبيون.

المدار الاخير العدد (٧٧٨) الاربعاء ٧ تموز ١٩٧١

اقصاء الأدباء اسلوب بأس

جرت مؤخراً مناقشات أدبية عديدة تناولت نصوصاً أدبية وبرامج فنية وحتى بعض قمم الشعر العربي - كالجواهري - ويستوقفنا أساساً الاسلوب الذي جرى به الحوار حول هذه المسائل، هذا الاسلوب الذي جرى به الحوار حول هذه المسائل، يتميز بما يلي:

- لم يكن أسلوباً ديمقراطياً، وكان بعيداً عن نية الوصول الى حقيقة ما وراء مثل هذا الحوار.

- كان يتسم بالتشهير الى حد ما، وبالتهجوم العشوائي.

- لمحا من خلال الحوار أعراضاً مرضية غير مستحبة تنبئ عن شكل من أشكال الابداء الفكرية^(١) والأدبية.

ولست هنا بمعرض النصح والارشاد لأنني لن أسمح لنفسني بتقلد هذه المسؤولية في العمل الفكري في مثل هذا الجو المشحون بأعراض مرضية كثيرة. الا أنني أود الاشارة الى ان اسلوب اقصاء الأدباء عن طريق الابداء الادبية والفكرية هو اسلوب عقيم وفاشل، وبئس في آن واحد، لأنه ينم عن الافلاس الفكري لبتغيه.

اللهم اشهد اني بلغت.

(١) اقصاء الآخر وأرهابه فكرياً.

كل قليلاً...

تقول الحكمة الكوردية: كل قليلاً. نُم قليلاً. تكلم قليلاً.

وتقول ايضاً: كل قليلاً. كل دائماً^(١).

اما حضارة التوسع في الاستهلاك اليومي فتحطم هذه القاعدة، وتثير الناس لياكلوا أنفسهم على قاعدة تقول:

- كل كثيراً. ادفع الديون دائماً.

كل شيء يحرضنا على الاستهلاك بشراهة حتى ليبدو اننا نريد استهلاك كل ما انتجناه دفعة واحدة. نحن مقبلون على التوسع في الاستهلاك اليومي، في الوقت الذي لايتقدم فيه انتاجنا بنفس التوسع.

ان التوسع في الاستهلاك، بدون النهوض باقتصادنا وزيادة انتاجنا يضعنا في مقارنة طريفة امام مجتمعات الاستهلاك المتقدمة صناعياً.

فنحن ازاعها أشبه مانكون بالمزارع الذي أكل زرعه وهو مازال اخضر!

أي: استدان من الحاجيات ما يوازي في الأكل، ان لم يزد، عن قيمة محصوله الذي مازال في المزرعة!

فيمكننا صياغة الحكمة الكوردية السابقة هكذا:

كل قليلاً. اعمل كثيراً. لتمرح كثيراً^(٢).

(١) بمعنى أنك أولاً تدخر بعض القوت ليوم آخر، وثانياً يتسنى لمعدتك هضم الوجبات بسهولة، فلاتصاب بالتحمة والتوقف عن الأكل! وأرى عموماً ان تناول وجبة واحدة في اليوم ربما تكفي، أو وجبتين على أبعد احتمال، فالوجبات الثلاث التي اعتاد عليها البعض مؤذية للصحة ومضرة بالصفاء الذهني.

(٢) أصبحت منذ فترة أميل تماماً إلى صف الداعين الى التغذية النباتية والأقلاع عن أكل اللحوم أو التقليل منه إلى أدنى حد. فالتغذية النباتية مفيدة جداً للصحة الجسمية والذهنية وكذلك للحفاظ على البيئة.

المدار الاخير العدد (٧٨٠) السبت ١٠ تموز ١٩٧١

ملايين الناس يجوعون يومياً على هذه الأرض التي تلتصق بها في رحلتنا عبر الفضاء. وهم يواجهون ظهراً هذا السؤال:

- ماذا نأكل في العشاء؟

وفي المساء يسألون: بماذا نفطر غداً؟

وتقول الاحصائيات العالمية أن ثمانية ملايين طفل يجوعون يومياً^(١).

اما انباء كوردستان فتقول، ان عشرات القرى تعاني القحط والمجاعة في هذا الموسم. لقد استغلت الطبيعة ضعفنا وتخلفنا فلم تمنحنا مطراً غزيراً كما كانت تفعل. ولما لم تكن منهمكين بتوفير مياه الري فقد حل القحط والجذب.

وتقول نظريات القرن العشرين، قرن المصارعة الحرة^(٢) وارتداد الفضاء: ان الانسان يمكنه تغيير واقعه وكبح جماح الطبيعة المتمردة كما فعل بسبيبريا والنيل والكوليرا في العراق والأمية في كوبا.

ومعنى ترمد الطبيعة علينا هو اننا في العراق وفي كوردستان خاصةً مازلنا في حاجة ماسة الى شن عمل يومي منظم ودؤوب لتنظيم علاقاتنا الاجتماعية وتحسين أدوات ووسائل انتاجنا لنسود على الطبيعة بدلاً من ان تسود هي علينا. وما دمنا لانملك ارادتنا كاملةً فسنظل عبيداً لقوى الطبيعة العمياء.

(١) هذا الاحصاء قديم يعود الى ذلك الزمن وقد أرتفع جداً عدد الجياح في العالم.

(٢) المصارعة الحرة: اشارة إلي تركيز اعلام النظام السياسي آنذاك على جذب انتباه الناس نحو مباريات القيسي مع مصارعين أمريكيين... بمعنى ان القرن العشرين لدى النظام هو "قرن المصارعة والبهلوانات" في حين كان أبناء الشعوب الأخرى يرتادون الفضاء.

المدار الاخير العدد (٧٨١) الاحد ١١ تموز ١٩٧١

هل من مزيد من الطاقة؟

غالباً ما اتطور ذاتياً، والسر يكمن في توجيه هذا السؤال الى نفسي:
- هل انا مؤمن حقاً بما أقول؟ هل يمكن أن يتحول ما أكتبه واقول الى جزء
من حياتي اليومية؟

رغم بطء التحول أحياناً، فأنتني أحس بتطور مستمر. ومن خلال تجربتي
الصغيرة تبين ان ما يوجد من الأقوال الدفينة في وجودي غزير ولاينضب.
اذ كلما اشعر بأن الدرب امامي أصبح معقداً، اعود الى نفسي لأسأل:
- هل من مزيد من الطاقة؟

وبعد جهد ومثابرة اجدني مندفعاً نحو اقتحام السد الوهمي الذي انتصب
أمامي، والذي ينهار بسهولة عجيبة كلما واجهت نفسي بالحزم، وامتلكت
ارادتي.

اعتقد بان هذا النوع من التحول هو الذي يسمى بالتجدد. فاذا كان الأمر
كذلك، فان الضمانة الأساسية لبقائي متجدداً في الغد ايضاً، هي توجيه هذا
السؤال بين حين وآخر:

- هل اؤمن حقاً بما أقول وأكتب وأعمل؟

المدار الاخير العدد (٧٨٢) الاثنين ١٢ تموز ١٩٧١

تمزق، فجن

وتسألونني: لماذا جن صديقي الأديب^(١)؟

كان يتمزق يا اخوتي.

أخته الراهبة تريد منه راهباً يتبتل في صومعة جبلية، زوجته الطيبة تريد منه زوجاً حانياً هادئاً، وأباً صالحاً للأطفال، ومعيداً مجداً.

السياسة تريد منه مناضلاً ثورياً تقدماً، مقتحماً خطوط النار غير المرئية. اما المجتمع فيريد منه منافقاً مرئياً، متلوناً، يكذب المرة تلو المرة لدى كل منعطف للشوارع التي يجتازها.

بينما يريد منه ضميره الأديب اديباً مخلصاً يحترق بلا دخان، ويضحى في

صمت..

أما البطالة فتريد منه صابراً، معتاداً على الذل، قانعاً بأدني الاجور اليومية.. بينما أطفاله يريدون منه الدمى والحلويات والأحذية الجديدة في كل عيد. وما أقرب اعيادنا من بعضها!

وظل صديقي يأكل نفسه^(٢) الى ان تمزق، وظل يتمزق الى أن جن وظل يجن الى ان اتهمه الناس بالشعوذة.

ثم تسألونني: لماذا يجن صديقي الاديب؟

(١) هذا صديق آخر غير من ذكرت قبل الآن ... وقد جنَّ فعلاً.

(٢) تعبير كوردي، كناية عن العذاب الداخلي الشديد.

المدار الاخير العدد (٧٨٣) الثلاثاء ١٣ تموز ١٩٧١

كلمات نادرة تلك التي تومض

١

اكتشفت في قريتنا نسمة أرض يابسة، نشرت عليها كلماتي.. كلمات الناس.^(١)

عرضت للشمس.. المفاهيم والكلمات، كي تتبخر منها رطوبة الأوهام والمخاوف، ريثما تموت الجراثيم الفتاكة.

ونبشت في النسمة اليابسة عن الوميض الضائع.

معظم كلماتي أسنان مسوسة، وأمعاء ملتهبة، تعرشها الديدان وما تبقى منها تبان اصفر عاث فيه الفطر السام والرطوبة، بعد الخزن المزمّن في المتابن.

البقية المتبقية أقماط ممزقة، وقطع فخار قديمة زرقاء، منشورة حول القبور، واوراق باهتة عديمة اللون..

كلمات نادرة تلك التي تومض، وتعلن عن ضرورة مشتعلة تحت كثبان التبن الاصفر.

وما زال التبان غافلاً عما يعمل.. اذ يبيع التبن القديم بسعر الجديد.

٢

طفلتي! ستكبرين. لاتتسرع في تقمص شخصية الأم منذ الآن. اود لو كذبت تنبؤاتي حين تكبرين. هل اطالع كفاك؟ حسناً! تعيشين معذبة، فيزداد عدد المعذبين واحداً!

وما دام الأمر كذلك.. فلا تهتمي.. سيكون لك في الحالتين نظير ونقيض.

(١) من وحي نشر الناس في القرى للملابس والأثاث المنزلي وبعض الاغذية والحبوب أمام أشعة الشمس للتخلص من الرطوبة والبلل والحشرات.

رسالتي اليك للذكرى:

ان لا تسعدي بوحدهك اذا كان لك نقيض في السعادة وان تفهمي رسالة
المعدين -سويه- في تحرير أنفسهم، اذا كان لك نظير في الشقاء..
لاسعادة في مجتمع يداه من عذاب، وقلبه من جوع.

المدار الاخير العدد (٧٨٥) السبت ١٧ تموز ١٩٧١

الكلمة، قدرة على التذكير

ملايين الكلمات لم تبني عش كناري.. والسنونو ادري ببناء عشه، بالطين والعشب وشعيرات صبية قروية.. فماذا ابني بالكلمة؟

منذ فجر الصوت الانساني والكلمة تهدم. تهدم الحواجز بين البشر. تهدم وتمزق حُجُب اللامعرفة، وتهتك اقنعة اللاوعي..

تهدم اسوار التجاهل والنسيان واللامبالاة، وتثير الرغبة في الغناء والضحك والغضب والاحتجاج. هل سمعت؟ الكلمة تثير.. الكلمة تحفز، ولا تتحرك.

تقصر مسافات البعد والفرق، والتميز، والتكسب.. والتزمت، وتهدم الأنظمة - القمقم، بكشف دروب الخلاص منها.

الكلمة تكتشف، تضيء، تثير.. ولم تبني يوماً.. شيئاً.

تضع ايدينا على مواطن الداء، ولا تشفي. وتساعدنا على اتخاذ القرارات. ولا تنفذ. أما القرارات الفعالة، والمنجزة، فهي التي تبني حين تمشي الأقدام، وتعمل الأذرع فينتصب مسرح ومنتزه وملعب للترحلق على الجليد ومستشفى.

الجانب البناء في الكلمة هو القدرة على تذكير الانسان بعمله.

الكلمة تذكير، ونداء، ومنازة.

أما الجانب الأجل فهو وجهها المشرق.

المدار الاخير العدد (٧٨٦) الاثنين ١٩ تموز ١٩٧١

اوركسترا قريتنا

اوركسترا قريتنا هي: جوقة ضفادع تنفق ليلاً في الغدير الأسن، ومجموعة ثعالب وبنات أوى تحاصر بساتين البطيخ والرّي وإذا ما اقتحمت خطوط حراستنا فسوف لاتكتفي بما تأكل، بل تهشم أكبر عدد ممكن من الرّي والبطيخ قبل ان تولي هاربة او تقع في مصائدنا المخبوءة في سواقي البستان. الثعالب وبنات اوى تعوي طوال الليل فترد عليها الكلاب بالنباح، وتنهق الحمير.

أوركسترا قريتنا هي: نقيق وعواء ونباح ونهيق.

اسمحو لي كي احلم:

احلم بقرية ترفل في ضوء الكهرباء ليلاً، والى يسارها مسرح صغير ودار متنقلة للسينما، ومكتبة صغيرة يهرع اليها الفلاحون المتعلمون مساءً ليقروا الصحف والمجلات.

وحين يحل الليل يجتمع الاطفال امام شاشة السينما او امام الشاشة الصغيرة في نادي القرية المتواضع.

كان شاعرنا الكوردي -يره ميرد- يحلم ايضاً. بأن تضاء الجبال بالمصابيح، وان تشق الانفاق بطون الجبال لتمتد خطوط السكن الحديدية عبر كوردستان، فتربط المدن والقرى ببعضها^(١).

كان -يره ميرد- يحلم بكوردستان اجمل. وحين مات استعرت انا حلمه. وحين أموت ستحلم طفلي. وقريتي على انغام الاوكسترا الازلية: النقيق والعواء والنباح فاسمحو لي كي احلم طويلاً.

(١) كتب الشاعر عن ذلك بتعابير جميلة.

المدار الاخير العدد (٧٨٧) الثلاثاء ٢٠ تموز ١٩٧١

الطمأنينة.. والقروي!

لاعتاب! فانا قروي أحب الألوان الصارخة، وأرى جانباً واحداً من الحياة في أغلب الاحيان.

اشعر بالألم وتنتقل عدوي الكآبة الى قلبي في سرعة البواشق.. لأنني قليلاً ما نعمتُ بالفرح والسعادة..

وأشعر بالمطاردة والنفي والغربة في وطن شيدته محاريت ومعاول ومناجل آبائي الاقدمين، لأنني لم انل المطأينة.

على طول الدروب الترابية.. طاردي الاقطاع والمرابون والكلاب والجوع..

انا مؤمن بأنكم ستعيدون الأرض لي، وتوفرون الماء لها.. والبذار.. ويمكنكم منحي ارضاً أخصب، وماء اوفر وبذاراً احسن..

اما الطمأنينة فأمر مختلف جداً، انها لن تمنح. ولايمكن تسليفها.. هذه معضلتي..

لاعتاب! فأنا قروي يحب الألوان الصارخة.

واحب الكلمات الثقيلة الواقع في الأذان، كصوت الطبل والمزمار وحوافر البغل والصراخ الوحشي ازاء الموت والفرق!

المدار الاخير العدد (٧٨٨) الأربعاء ٢١ تموز ١٩٧١

هل من جديد؟

لماذا تفلت منا كلماتنا نحو المستقبل غالباً، فنتكلم عما سوف يحدث وعما سوف يتحقق وعما سوف يكون؟

أو من بحدوث أمور كثيرة وأتوقع استمرار الحياة الى الأبد.. ومع ذلك أو من بأن اموراً قليلة جداً ستحدث، يكون فيها شيء من الجدة. ما الذي سيتجدد؟ اذا كان الجديد هو تحررنا من الكذب والأساطير والخرافات.. فان هذه الخزعبلات لم تتكامل الا في عصرنا!

وإذا كان الجديد هو عودتنا الى الطبيعة.. فقد كنا وما زلنا هناك منذ البدء.

اما اذا عدنا الى الواقع.. فهكذا كان ينبغي ان يكون منذ زمن بعيد.

اما اذا كان الجديد هو التحرر من الاستغلال نهائياً، فان الحياة لم تعرف الاستغلال في البداية. لقد خلقت الخلية البسيطة الاولى فالاحياء الدنيا فالعليا.. مكتفية بذاتها وبالطبيعة. وما نسميه بالاستغلال قد وجد في عهد حديث نسبياً.. قبل عدة آلاف من السنين فقط!! حين تمزق المجتمع البشري الى طبقات. لذلك اذا عدنا الى مجتمع بلا استغلال، فاننا نعود الى ما كان.. والى ما ينبغي أن تكون عليه الحياة كما هي.. وقد يكون هناك تحول جديد طفيف جداً في نوعية الحياة اليومية.

وما عدا ذلك.. فلا شيء يستحق الذكر..

الأسرار التي نكتشفها في الطبيعة.. موجودة بمعزل عنا، ولايغير اكتشافنا شيئاً منها، بل قد يغير بعض معالم دهشتنا وعلاقتنا اليومية.

لاشيء يذكر.. لاشيء يذكر.

المدار الاخير العدد (٧٨٩) الخميس ٢٢ تموز ١٩٧١

الكلمة الغائبة

نستهلك يوماً مئآت آلاف العبارات في احاديثنا العامة والخاصة..
ولايسجل الأدباء والكتاب الا جزءاً يسيراً مما يقال ويحدث..
ومن هذا الجزء الضئيل، لانرى نصيب الحقيقة الا شيئاً قليلاً جداً.
أكاد ان اقول: انقضى العصر الذي تعيش فيه الكلمة. حل عصر الأدوات
البلاستيكية.

هل تعيش الكلمة وتعمر طويلاً في عصر الاسفنج والبلاستيك والاستهلاك
السرير؟

مصيبتى هي ادراكي المفجع لهذه الحقيقة.. حيث لم تعد تولد الكلمة المعمرة.
ومع ذلك أكتب.. وانضم الى جوقه الثرثارين. ادري كم تعمّر كلماتي. انها تموت
في يومها. وتستهلك ليومها فلا يبقى منها ما يغذي غداً. فحديثي عن الغد لعبة
اخرى.. او هكذا يبدو.

انها لفجيعة.. يعيشها فنان شاعر.

فجيعة عصر الكلمة الغائبة.

المدار الاخير العدد (٧٩٠) السبت ٢٤ تموز ١٩٧١

النقد الصحيح

عزيزي:

رسائلك الاخيرة تعدد مساوئي ومحاسني.. او كما يقال بلغة اهل السياسة: سلبياتي وايجابياتي. تارة تقول: اسلوبك غامض! ثم تقول: انه واضح. وتقول طورا: اسلوبك ركيك. ثم تقول: انه جميل. وتقول ايضاً: مواضيعك تافهة. ثم تقول: انها مواضيع مثيرة.

عزيزي: كل ذلك صحيح. وانا مثلك اشعر بالتنوع، والصعود والهبوط، وبالمد والجزر.. واحس بالعمق حيناً ثم بالضحالة حيناً آخر، وعرضت الامر على صديقنا، فقال:

- لابس. انه أمر طبيعي. لأن الذي يعطي الكثير قد يعطي القليل ايضاً. والذي يعطي الجيد قد يعطي الرديء ايضاً. والذي يكتب التافه يمكنه ان يكتب الرائع الممتع ايضاً.

أخي وصديقي: نقدك لي رائع. واتمنى ان يظل سائلاً كما يسيل الثلج المذاب. الا انني انتظر منك تجاوز هذا الموقف الانتقادي الاحادي الجانب، والتحول نحو العمل الخلاق.

اعتقد بان اقوي نقد يمكن ان نوجهه الى العمل الرديء.. هو الاتيان بعمل طيب احسن^(١).

العمل الطيب، العمل البناء المنتج هو اصح نقد وابلغه ازاء العمل الفج المهزيل.

(١) مازلت أؤمن بذلك، ورسخت الأيام قناعاتي بأن العمل الطيب المبدع أفضل نقد للرداءة والسلبية.

المدار الاخير العدد (٧٩١) الاحد ٢٥ تموز ١٩٧١

السبات.. والفئران

غمرني شعور بتعب شامل.. وانتابني وضع تمنيت فيه الا اعمل شيئاً.. ولا اتحرك لقضاء أية حاجة. كان التعب كلياً.. غامراً كياني ووجداني وشعوري. شكوت ذلك لصديقي فقال:

- لا بأس. انت الآن في دور السبات الفكري. نمر جميعاً بحالات كثيرة.. وبدا لي أن الاسلام والاصوب هو ان انغمر في هذا الانهيار لأرى الى اين يصل بي الأمر، ففي بعض الاحيان نجد الاستسلام هو احسن ما يمكن عمله لنجمع قوانا ونتبين دربنا..

قلت لنفسي: لا تكتب شيئاً. ثم اكنف بالنوم.. والشرود.

ما اغرب هذا الاستنتاج!

ومع ذلك.. بدا انه المنفذ الوحيد. وتذكرت الفئران. انها اذكى مني. لأنها حين تحفر حفرتها.. تفتح في نفس الوقت منفذاً او منفذين، كي تنجو عن طريقه كلما دنا الخطر.

لم افكر يوماً بالمنفذ.. منفذ الخلاص.

فمن علم الفئران هذه الفكرة، او الاصح.. هذه الغريزة الملهمه؟

المدار الاخير العدد (٧٩٢) الاثنين ٢٦ تموز ١٩٧١

عش طبيعياً:

اعلنت عن سخطي حول أمر ما.. اعلاناً صاحباً مشويماً بالأنفعال العنيف. قال صديق معاتباً:

- لم ارك هكذا قط.

قال آخر:

- كن طبيعياً.

وقال ثالث:

- اريد ان اراك غداً.. هادئاً.. وحليق الذقن!

واضاف رابع:

- عش طبيعياً. وواجه الامور بشجاعة اعتيادية!

ثم قال شيخ عركته سنين العمر:

- اراك شاحباً هزياً، بصورة استثنائية.

قلت: صدقت.

قال: لماذا يا ولدي؟ انظر. كنت مثلك اعذب نفسي بهموم لاطائل وراها. اعتن

بنفسك. واعلم انك في النهاية سوف لا تري من هو أعز عليك من نفسك.

ولما كان اليوم التالي.. رأيتني اطلق ذقني وادندن بلحن اغنية..

ولكنني تذكرت عبارات اصدقائي في الظهر. وتبين ان قوة احياء الآخرين قد

اعادتني الى المسرح بطريقة لا ارادية..

نلهو بالزمن

طفلتي: تعالي نلهو بالزمن.
فنبني ثم نهدم. نبني ثم نهدم. نبني ثم نهدم..
ومادام الطين هو مادة بنائنا
وما دام الطين رخيصاً رخص اللحم والدم الانسانيين،
فتعالي -يا بنيتي- نبني ونهطم. نبني ونهطم
لنجيد لعبة التسلية واللهو بالزمن،
فنضحك على نقتن العصر قبل ان يسخر بنا ويخلفنا شامتاً
اننا -يا صغيرتي الوفية- قد فقدنا الاحساس بما هو جدي وأساسي،
وتخلصنا من معضلة السؤال: كيف نعيش؟
محكوم علينا أن نقضي زمننا.. هذا الزمن الذي نعيش..
ولايهم -سوى ذلك- كيف نقضيه.
المعضلة الأساس هي ان نواصل العيش زحفاً على البطون،
أن نعيش.. نعيش.. وان نتنازل عن حقنا في -كيف نعيش؟
وان لانسأل أحداً: كم سنعيش؟
تعالي. تعالي. نلهو بالزمن..
ونبني ثم نهطم. نبني ثم نهطم. نبني ثم نهطم.

المدار الاخير العدد (٧٩٤) الاربعاء ٢٨ تموز ١٩٧١

الأسر و المشاعر

تتساوي المشاعر في الاسر..
سواء كان الأسير معتدياً أو معتدى عليه..
فيتنامياً بوذياً يؤمن بالتناسخ فيقدم على الموت في شجاعة،
أو زنجياً أمريكياً قادوه رغماً عنه الى أحراش يجهل حدودها ولغة سكانها..
ففي الاسر تتساوي الاشواق والرغبات، لأن كل الاسرى يستبد بهم الحنين
الى حياة طليقة، والى الحب..
وتتساوى أهات الزوجات الشابات.. المهجورات في اعشاشهن المهدة
بالفناء..

الذين يؤسرون هم الشباب.. فلن يؤسر الشيوخ والعجزة..
والذين يقاثلون هم الشباب الذين تزوجوا قبل شهرين، وخطبوا قبل يومين..
وفي الاسر تتساوى لوعة الحنين والذكرى وحب الحياة..
وتتساوى المشاعر الانسانية الاساسية..
ليست هناك مشاعر صفراء وشقراء وسوداء وبيضاء..^(١)
كلها مشاعر.. من لحم ودم وعصب وارق،
مشاعر الانسان الذي خلقته قوى غريبة ثم تخلت عنه ليصارع مصيره وحده..
اسرى الحرب. اسرى البؤس. اسرى الاستغلال. اسرى الارهاب^(٢).
اسرى في كل مكان، والمشاعر تصب في نهر واحد.. لونها لون الماء.

(١) اشارة إلى تنوع الأعراق البشرية.

(٢) كان التحساب بوطأة الأرهاب طاغياً منذ تلك الفترة.

المدار الاخير العدد (٧٩٥) الخميس ٢٩ تموز ١٩٧١

طبال من أنغولا

تعري الزرافات الاغصان من اوراقها،
وتفتح التماسيح اشداقها في قلب افريقيا..
ورغم الحيتان والغراب وضجيج الغابات العذراء،
اسمع الطبل يدق في وجداني.. يدق في قريتي، وتعقد حلبات الرقص في
أعراس الشباب.

انه نفس الطبل، يقرع هناك في عرس، او تحذيراً من اقتراب خطر الغزاة..
نفس الطبل يا صديقي الطبال. ونفس العصى الرفيعة والرغبات والالحان.
وحين يقلت الجنون المارد من جلد الطبل، تتردد الدقات عنيفة قاسية خشنة،
وتسترجع الافاق البعيدة اصداعها الهادرة..

دق. دق. ايها الطبال. لتستمر الثورة الانغولية، في الاقل^(١)!

دق مع كل فجر فأنا هنا مستيقظ.. اسمعك بخشوع.

لتستمر الثورة الانغولية، في الاقل!

علمتني الحياة كيف اطرب لجميع الالحان الآتية من كل غابة جرداء وخضراء..
يقولون: انك اسود، من أم افريقية سوداء كانت تحملك على ظهرها عارية
الصدر، وتطعمك عصير الجوز.

ولكن الحانك ساحرة، عنيفة، بيضاء..

تفعمني بالشوق والجنين،

وتعيدني الى فجر الخليفة، الى الفجر المشرق الناصع البياض. للرقص
والغناء.

(١) كلما ورد اسم شعب أو ثقافة ما، أنظر إلى تأريخ نشر القطعة المعنية. فكانت أنغولا
في أفريقيا مهداً لأحدى الحركات التحررية في تلك الفترة. وأستقلت فيما بعد. كانت
تلك الأيام مرحلة التحرر الوطني والأستقلال للشعوب المظلومة والمستعمرة.

المدار الاخير العدد (٧٩٦) السبت ٣١ تموز ١٩٧١

الحظ نضال دؤوب!

يا نادبي الحظ العاشر.

كان الحظ، ثورة قد اجهضت. ثم قامت ثورات.

وكان الحظ، انساناً باسلاً سقط صريع الاستبداد، ثم قاوم وشب أطفاله.

وكان الحظ.. انتفاضة انتكست، ثم اندلعت وثبات.

وانتصرت ثورة تموز^(١). ورغم ذلك ضاعت حظوظ كثيرة.

والحظ -يا نادبي الحظ العاشر!- واقعي ووهمي في آن واحد، لتحقيقه، وهمي

لغموض منشئه

فحين نفتت اجزاء الاشياء نرى ان الحظ غير مرئي على طول الخط..

لذلك نجعل السر الذي يملأ عيني بعضنا بالحظ السعيد، بينما يبخل على

بعضنا بالعقم المر!

ويا نادبي الحظ العاشر! لانتهموا احداً. بل اتهموا الحظ وحده.

وما زال الحظ ثورة، وانساناً باسلاً، وانتفاضة، فاعلموا ان حظوظكم المرتقبة

تكمُن في مواصلة العمل اليومي الدؤوب من اجل حياة انسانية كريمة.

تمسكوا الى النهاية بالمطالب والحقوق التي تؤمنون بشرعيتها، هذا هو الحظ.

(١) في العراق، ١٤ تموز ١٩٥٨.

المدار الأخير العدد (٧٩٧) الأحد ١ آب ١٩٧١

الأمنية الأخيرة لرائد الفضاء

١

فولكوف^(١).. هو احد الرواد الثلاثة، رواد؟ سيوز ١١ ؟ الذين وجدوا متوفين في سفيتتهم^(٢). وذكرت الصحف فيما بعد ان آخر كلمات فولكوف- في مكالمته له مع المحطة الأرضية هي:
- انني أرى المحطة وهي تشع في ضوء الشمس.
ثم ابدي رغبته في رؤية الأرض والوطن ومن ثم التنزه في الغابة.

٢

امامي الآن حقل صغير .. نبت فيه الخيار والبطيخ والقطن والباامية وعدد من أزهار عباد الشمس.
أمامي الآن هذا الحقل الصغير في باحة مسجد.. وأعود الى قراءة الخبر..
فأمنية فولكوف- الأخيرة هي التنزه في الغابة. تطلعت الى زهرة كبيرة لعباد الشمس، تشمخ فوق حقل، متطلعة الى السماء في تحد عجيب.
اسمع ثرثرة بين عدد من الأصدقاء وزقزقة عصافير تطارد بعضها على شرفة المسجد الصغير، ثم عدت الى قراءة الخبر.. فأمنية فولكوف- الأخيرة هي التمتع بخضرة الغابة وضجيجها.. وأخيراً عدت الى نفسي:
يا هذا .. سيأتي يومك أيضاً رغم انك لست رائد فضاء، فسوف يأتي يوم لن ترى هذا الحقل الصغير أيضاً. ولن تسمع تلك الثرثرة كذلك، ثرثرة؟، بدت لي

(١) أحد رواد الفضاء السوفيت آنذاك.

(٢) كانت مأساة هزت الرأي العام العالمي آنذاك، فقد سافر الرواد السوفيت في مهمة فضائية مهمة لأجراء التجارب وكشف الفضاء الخارجي.

الآن نعمة حلوة. أسمع، فسوف لن ترى شيئاً. لن تسمع شيئاً. لن تحس بأي
أحاسيس.
أية أمنية لفولكوف! أية أمنية للأحياء!.. وأية أمنية!

هذا العجز

يطن الذباب حولي، عبثاً يبحث عن شيء يمتصه من جلدي الضامر..
وضعوا الذباب في العطر فمات. وحين أطلقوه في الأوساخ تكاثر، وعن
الطويات وايادي الأطفال القرويين، والمقاهي والأفواه الفاغرة للكسالى النائمين.
والأوساخ تكثر حيث الأهمال وفقدان الوعي الصحي.
أما الوعي فينبثق من شروط الحياة المادية.
إذا كانت هذه الشروط أقل من أدنى مستوى مفروض، فسيعيش الناس في
صراع وحشي من اجل البقاء.
وحين يصير هذا الصراع قانوناً أساسياً، لايبالي الناس بوساخة العيش
ونظافته.

فيتقلص الوعي الصحي وتموت النظافة ويكثر الذباب..
كنت أفكر:

- لو اقدر يوماً على تنفيذ واحد من قراراتي:
وأن الأوان لذلك، وأن أوان طرح مشروعي القديم: الممكن تحقيقه حالياً...
وهو:

- تشكيل جمعية هواة قتل الذباب.
شعارها: من يسمع طنين الذباب ويتكاسل عن ابادته، غير جدير بالأحترام.
واليكم عنواني:
أنا ؟ ربيب التراب والماء.
هوايتي قتل الذباب بالمضرب البلاستيكي أو المبيدات.
مأواي ؟ حيث أسكن.

يا هواة قتل الذباب^(١).. جاء في الأنباء الأخيرة ان الذباب في ايطاليا اُكتسب
المناعة ضد المبيدات المستعملة حالياً. فهل تزورونني لبحث الموضوع، وادراج
مادة جديدة في نظام الجمعية؟

(١) بعد نشر هذه اللوحة في الجريدة شعرت بالندم والخجل من هذه النزعة الفاشية في
نفسي أزاء هذه الحشرة الجميلة... الذباب! لكن الأمر فات، ولات ساعة مندم.
وأعيد الآن نشر اللوحة كي اضيف إليها هذا الهامش ولو بعد فوات الأوان ...
فالكلمات مطبوعة في جريدة قرأها آلاف الناس!

المدار الأخير العدد (٧٩٩) الثلاثاء ٣ آب ١٩٧١

صليبي يحترق

أصبحت والخشب والمسامير وصليبي المغروس في الطين، تمر المواكب لاعنة.
ترميني بالنار. يحترق الخشب، وتذوب المسامير، ويصعد الى السماء دخان
أبيض يرسم مثل بيكاسو رسوم المجون والعبث والخرافة.
وخلف الرسوم الدخانية، تتلوى دوامات هوائية وأعشاب وأوراق مهملة
ورسائل العشاق الغابرين والشهداء^(١).

تتعانق الدوامة والدخان، وصليبي يحترق .. فاشتموني أحبتي - وأرجموني
بالنار كما يريد الرجال الضفادع!

لن تزيدوني لهباً. ففي صوتي من اللهب مايكفي لأذابة التراب واعادة الأرض
الى قطعة جمر ساخنة كما كانت قبل ان تصير أرضاً تزهى بالحياة.
وعلى شفتي أغنية تكفي لإضرام النار في القواعد الذرية، وأجهزة الرادار
والطائرات التائهة بأجواء القرى المهجورة حيث حروب الإبادة.
وفي عيني من المشاعل مايكفي لأضرام الحريق في المكاتب المرصعة بالنجوم
الصفراء، وقطارات الموت والأسلاك التي تحمل أنباء الجوع والعري.
ارجموني بالبزنين. أقذفوني بالكبريت. فلن تزيدوني احتراقاً وفي ضميري
جحيم فيها ملوك البترول والمطاط واليورانيوم ويغرق في أفرانها التي من قير
مهربو الأصفاة والقنابل.

صليبي يحترق ويستحيل الخشب فحماً.

وتذوب المسامير فتسيل على جروحي،

أعيش النار في النار.

وأنتظر من يأتيني صيفاً - الى عرس النار..

(١) لقطة حلاجية مفاجئة، من لقطات تجفلي كثيراً.

ولايلتجىء الى الفيء والتلج.
الرجل من يحتفظ صيفاً- بالمشعل حاراً في ضميره، والا.. فالكل يحيطون
بالمواقد التي من فحم أو غاز، حين يتجمد الصقيع ويعوي الشتاء حول الدار.

مجهول محل الإقامة:

جاعني صديقي ضاحكاً، وأخبرني بحكاية قاريء مشتاق لا يورقه ما أكتب بل يورقه انه مجهول من أكون واين يكون محل اقامتي^(١)... والا أأناي متلهفاً ليسألني عن ماضي وحاضري وثقافتي والكتب التي قرأتها وقرأها.. لكي تعينه تجربتي الأدبية في أن يصير اديباً.

قلت: أخير صاحبنا، انه لو أطلع على الثمن الذي به صرت اديباً لأقشعرت روحه من ذكر كلمة الأدب والاديب والتأدب!

بلغه عني السلام. ودعه يستعين بتجربة ومعانة اي اديب آخر.. الا تجربتي ومعاناتي.

أما من أكون أنا واين أكون .. وهل انني احب واعشق كما كان القاريء العزيز قد تساءل ايضاً؟

فانني احيه الى هذين البيتين اللذين تشدو بهما أم كلثوم:

اراك عصي الدمع شيمتك الصبر أما للسهوى نهى عليك ولا أمر؟

نعم أني مشتاق وعندي لوعة ولكن مثلي لا يذاع له سر^(٢)

(١) قصة حقيقية كثيراً ما كانت تتكرر وتواجهني.

(٢) لم يكن أي سر في الأمر، والعديدون كانوا يعرفون من أنا. إلا انني كنت أحتمي بالأسم المستعار لممارسة الحرية في التعبير على قدر ماتسمح به الجريدة، التي كانت تتحملني بشجاعة وتصبر على شطحاتي ووخزاتي.

ولم أر شيئاً بعد

فجأة أكتشفت أنني لم أعش، ولا أعرف شيئاً.

لا أعرف شيئاً عن الأكتشافات المدهشة في حقول الطب والفيزياء والتكنولوجيا. وأجهل كيف يعمل الجهاز الإلكتروني. وأعجز عن تشغيل أية آلة فنية.

أجهل كيف يطلق الصاروخ الى مداره خارج الأرض. ولا أدري شيئاً عن تأثير الاسمدة الكيماوية في مكافحة الآفات الزراعية، وعدد هذه الآفات والحشرات المسببة لها.

لم أر أشياء كثيرة. لم أر متاحف العالم المعروفة، ولا دورة اولمبية..

لم اركب متن طائرة بعد. لم امخر على ظهر سفينة تعمل بالذرة. ولم أتعلم التزحلق على الجليد، ولا أعرف شيئاً عن الإنتاج السينمائي.

لم اشاهد رقصة باليه-حية، ولا معرضاً لبيكاسو، ولا كومونة صينية. ولا أصطيافاً هادئاً على البحر.

الحياة القصيرة تمضي هاربة. ولم اشاهد قطارات المترو، ومهرجاناً عالمياً للسلم والتضامن بين الشعوب.

الست ابالغ؟ كيف امنح لنفسي كل هذه الحقوق ثم اعود لأتالم بسبب حرمانني منها؟ لماذا لا يطالب غيري بها؟

احاول تحليل ذلك، ولو لمجرد حلق الأعذار لنفسي.. فأنتني لم أمنح حقاً نفسي، ولم احتكر الأدعاء بأي حق دون سائر الناس. وكل ما في الأمر هو ان للناس جميعاً حق الحياة، على أن تكون هذه الحياة مستوفية لشروط أشباع حاجات الأنسان الروحية والمادية، فاذا كنت أنا الذي أشكو وأتألم من الحرمان فذلك لكوني أعرف بأن لي كل هذه الحقوق التي لم أنلها بعد.

أما إذا كان غيري لايتكلم ولايشكو، فلأنه لا يعلم كم هي كبيرة حقوقه التي لم يمارسها والتي لم يحلم بعد بممارستها^(١).

(١) هي حقوق الأنسان الطبيعية... حقوق الكائن الحي الواعي.

تأويلات وأشاعات

منذ كتابة حقولي المختلفة^(١) قبل عدة أشهر، وكلماتي تتعرض للملاحقة بسبب محاولة بعض القراء تأويلها بأوجه مختلفة، وربما مناقضة لمضمونها، وكأنهم يقرأونها مقلوبة.

هل ينبغي أن نحمل الكلمة عدة معان في آن واحد؟ وهل ينبغي الأستمرار في تفسير أحاديث الناس على طريقة الذين يقولون ان لكل كلمة ظاهراً وباطناً في نفس الوقت؟

واضافةً الى حب التأويل، وتحميل الكلمة مافوق طاقتها، هناك أيضاً من يقول انني أفسف- الأمور، وأطرح الغازاً فلسفية. في حين ان ذهني أبعد ما يكون عن الفلسفة والفلاسفة.. ويقدر مايتعلق الأمر بي شخصياً، فانني اسجل شواهد جزئية من حياتنا اليومية الظاهرة والخفية. ويشهد القراء بانني لم استعمل كلمة فلسفة- مرة واحدة ولو.. خلال هذه الأشهر. اما ان تتضمن الكلمة موقفاً فلسفياً، فهذا الامر آخر تماماً قد يأتي عفواً وتلقائياً في أغلب الأحيان.. ولا بد أن يكون الأمر كذلك. اذ اننا بدون أن نتحدث عن الفلسفة نتصرف يومياً بوحى من نظراتنا ومواقفنا الفلسفية.

ان الفلاح الكوردي في اقصي قرية جبلية، لم يسمع بكلمة الفلسفة طوال حياته، ولكنه غالباً مايكرر حكمة كوردية تقول:

- الخبز هو- مايوجد اليوم. في الخوان!

رغم جهل هذا الفلاح بمدلول الفلسفة، فإنه يفسر موقفه من الخبز- من الحياة اليومية ومشكلاتها واحتمالات الغد، تفسيراً فلسفياً مبنياً على الشك والخوف

(١) ان التأويلات والأشاعات حول كلماتي لن تشيها عن الرقص على أنغام الطبل والمزمار.

مما قد يحمله الغد معه، لأنه لا يشعر بالأطمئنان وحياته ليست مضمونة. فهو يحكم على الأمور من وجهة نظر المجتمع القبلي المتخلف الذي لا يعرف شيئاً عن التخطيط الاقتصادي والتنمية والمشاريع ذات السنوات الخمس. بل يتصور الحياة كما كانت في المجتمعات البدائية، حيث الفرد يصرع الطبيعة بقواه الخاصة وحيث مصيره مجهول تقررته اقدار غاشمة عمياء. لذلك لا يطمئن الى اي وعد من الوعود، ولا يهتمه سوى ما يوجد اليوم في الخوان على اساس ان ماهو موجود، موجود، أما ما لم يوجد بعد فليس من المؤكد تحقيقه.

١٩ قبلة

الذي يقبل الناس في كل لقاء وفراق، قبلاً غزيرة، يقبله الناس كثيراً أيضاً، فالعادة الجارية هي أن اصداقاه يكونون على شاكلته. هكذا رأيت -ع- يغرق اصداقاه في قبلات لاعد لها. وخطر لي ان أسجل عددها حين عاد صديق له من رحلة قصيرة. ورحت اسجل عدد القبلات على طريقة كتابة نتائج -الازنيف- و-الدومينو-! قبلا بعضهما يساراً ليمين، ثم يميناً ليسار. بعد ذلك تبادلنا الخدين يسار اليمين، واخيراً شفة لشفة ثم يميناً ليسار. وكانت النتيجة هي ١٩ قبلة سجلتها ودفعت بها اليهما مازحاً وقلت:

- هات الحساب!

ضحكا. فعادا الى قبلاتهما عناداً، لانهما سبق ان تلقيا مني انذاراً مماثلاً بشذوذ هذه العادة. والمعروف ان معظم اللبائن ذات الدم الحار، والطيور كذلك، تتبادل القبلات. فالطيور تبادلها متقاراً لمنقار. اما الفيلة فتلف خراطيمها ببعضها. والحشرات ايضاً تتبادل القبلات بملامسة المجسات. في حين ان الخيول تمارس شتى انواع القبل، اجملها حك رقبة بعضها، الا ان جميع هذه القبلات جنسية.

فمنشأ القبلة جنسي اذن.

لكن هل ابتكر الانسان قبلات غير جنسية؟ ربما، اذ ان الشعراء والأدباء اخترعوا كلمات عديدة من قبيل -القبلات البريئة- والقبلات الأبوية والاخوية واخواتها!

ومن بين جميع الفكريات ذات الدم الحار، برز الانسان في ابتكار طرق جميلة شتى لتبادل القبل، ويبدو ذلك طبيعياً اذا كانت الساعة ساعة غرام وهيام! أما ظاهرة تبادل القبلات الغزيرة بين رجل ورجل، وبين امرأة وامرأة، في أي لقاء وفراق... فأمر يحتاج الى بعض التفسير.

لما كانت القبلة جنسية المنشأ، فان غزارة القبلات عندنا تعبير صارخ غير مباشر من الحرمان الجنسي.
انه استنتاج خبيث! لكنه كل ما امكنا استنتاجه في هذه العجالة..

المدار الاخير العدد (٨٠٤) الاثنين ٩ آب ١٩٧١

المكياج وفلسفة شكسبير

من النزوات الطفولية المبهجة لطفلي أنها كلما سنحت لها فرصة اللعب معي تقوم بفحص أسناني، انها تفتح فمي وتقوم بعد أنيابي واضراسي واحدة واحدة ثم تقول في اطمئنان:

- كاملة. انها كاملة. لم ينقص منها شيء.

ذات مرة كان على ان اقتلع ضرساً منخوراً. فلما جاء دورها للفحص بعد مدة، صاحت:

- سن واحدة ناقصة. ناقصة. اين هي؟

قلت: سرقتها غراب.

عانقنتني ضاحكاً وهي مدركة انني أمزح، ثم راحت هذه المرة تتفحص شعر رأسي، صاحت جذلي تنادي أمها:

- انظري انظري، ابي عمل مكياجاً!

كانت تشير الى الشعيرات البيضاء التي غزت رأسي من اليسار واليمين.

عزاء كبير. انه مكياج اذن، وليس علامة الكبر، أو سوء التغذية أو القلق. هل انني امثل؟ وهل طفلي تمثل؟ هل كل ما نحن فيه تمثيل؟ هكذا تفكر طفلي، ليكن الامر كذلك اذن. فالفكرة رائعة، انا أمثل، لأبأس، رغم انه خداع ذاتي. الا أنه شعور مخفف لوطأة الأسي، وذكرت فلسفة شكسبير عن الدنيا، حيث قال ما معناه:

الدنيا مسرح، وما نحن سوى ممثلين عليه.

ان طفلي لم تسمع بشكسبير، ومع ذلك توصلت الى فلسفته. رأت بأنني أمثل فحسب، فتالقت عبقرية شكسبير بعبقرية طفلة مرحة.

المدار الاخير العدد (٨٠٧) الخميس ١٢ آب ١٩٧١

كيف دفعوه للجنون

قال لي في لحظة ندم: هكذا دفعناه الى الجنون
كان (ن) منقبض المزاج، انعزالياً، يستفزه ذكر اسم مقروناً بأسم والدته التي
تركته في صباه لتتزوج مرة ثانية بعد وفاة والده.

كبر (ن) وكبرت معه عُقدُهُ، لكننا بقينا نناديه بأسم والدته، فيثور ويلعن
ويطاردنا حتى يتعب فينزوي ليزداد انكفاءً على نفسه وعزلة. ثم أصبح لا يثور
سريعاً، بل يكبت غيظه ليفجره فجأة حين يتسنى له الامساك بأحدنا لينال منه
عضاً وركلاً ولطمأً، ظلت أوضاعه تسوء وبقينا نمارس معه هذه التسلية اللا
إنسانية. ثم ظهرت عليه علائم جنون واضحة، وأخيراً جن وسبق الى دار
المجانين.

انه الآن هناك يدفع ثمن استغلالنا له: استغلالنا لضعفه وعقدته ووحدته
وبؤسه.

قلت له مُسراً كل مستغل -بفتح الغين- في المجتمع يمارس الاستغلال بشكل
أو بأخر فقد كنا نستغل (ن) كما تستغل أية طبقة استغلالية الطبقات
المسحوقة. اذ كنا نضحك ونتسلى على حساب شعوره الانساني الجريح وكرامته
المهانة. يبدو ان المسحوقين حين يشعرون بوطأة الاختناق في ظل الاستغلال
يبدأون بنهش بعضهم، فيأكلون بعضهم البعض ويستغلونهم.

هذا هو ما فعلناه بحق التعيس (ن) .

ان الطبقات الاستغلالية ايضاً تفعل بحقنا ما فعلنا نحن بحق (ن).

انها تستغلنا اجتماعياً واقتصادياً، وتتسلى في نفس الوقت على حساب
شقاؤنا، بل وتضحك على حساب مفارقات حياتنا المتناقضة، ينعكس ذلك في
كثير من التمثيليات والمسرحيات حيث يقوم المؤلفون بتقديم مفارقات هزلية
ومتناقضات بائسة من حياة الضعفاء، يتسلى بها الجمهور ويبدد سأمه وضجره.

قمنا نحن باستغلال عقدة (ن) بدلاً من تحريره منها، وهذا ما تقوم به كل طبقة استغلالية أخرى حين تظل لاهية على حسابنا، على حساب جهل وأمية الكادحين وتقاليدهم المتخلفة.
انه الاستغلال في اشكال متعددة.

بحر الأمطار على القمر

١

برقية من القمر تقول:

لم ازل حياً.

لم تزل الحياة متزوجة مني، ولم يفتر حبي لها رغم المعاشرة الطويلة.
أضاجعها يومياً فتحيل مني بجنيات ساحرات، يرقصن في البحر. ينزلقن
على الثلج. يرحلن مع -سيوز- و - أبولو- ويرفضون العودة.
هبطت برقية مستعجلة من القمر:

الرواد هنا بخير، يتسلقون سفوح الجبال القمرية. أما جنياتي اللعينات
فأصابهن الغرور، يخشى ان يتمردن نهائياً.

تقول البرقية الأخيرة:

نحن الآن قرب بحر الأمطار. قررنا السكن هنا. بياننا الأول يعلن عن
استقلالنا عن مجتمع الأرض البشري. هنا جمهورية القمر الاولى^(١).
لن نعود. لن نعود.
فماذا يقول سكان الارض؟

٢

الوفاء سيد القيم، ولعل التشديد على قيمة الوفاء في هذا العصر، يكمن في
أن التغيير السريع في العلاقات الاجتماعية، يشنق الوفاء.
لن نؤكد على شيء الا حين نكون في أشد الحاجة اليه^(٢).

(١) جمهورية جزر القمر على الأرض نشأت متأخرة في أفريقيا.

(٢) مامعناه أننا أصبحنا نفتقد القيمة الأخلاقية للوفاء.

انتهى الحصاد منذ شهر. واقترب موسم حصاد الشلب^(٣). وتعلمت فراخ القطي فن الطيران. وهاهي تهاجر الى المشتى، لكن رسائلي لم تزل أشواقاً وحنيناً.. وتمنيات في اللقاء.

(٣) الشلب: سنابل الرز ومزارعه. ففي صباي وشبابي كنت أشارك الأهل في حراسة الشلب من العصافير وفي جني المحصول ونقله الى البيدر. ولحقول الشلب روائح رطبة زكية منعشة ما زالت حية في ذاكرتي.

المدار الاخير العدد (٨٠٨) السبت ١٤ آب ١٩٧١

نار لاتلسع

رفيقتي: ليكن نهاري موشحاً بالنار.
ليكن دربي جدولاً من نار..
ليكن مايكون.. دعيني أرحل.
ان النار لاتحرق عبدة النار^(١).
عذر الأعشى الذي لا ييسير الا في النهار هو انه أعشى..
عذر الاعشى الذي ينام الليل مستكيناً هو انه اعشى..
اما انا -يا حبيبتى- فلا عذر لي.. لاختيار..
- انا ملزم أمام الناس ونفسي بألف قرار-
دعيني اخوض النهار والليل..
والنار،
فان النار -يا بهجة فكري-
لن تكون عبدة النار.

(١) كناية عن عشاق النور، أو الأشراقيين الذين ينتظرون ومضة أشراقية من وجدانهم.

المدار الاخير العدد (٨٠٩) الاحد ١٥ آب ١٩٧١

لغة رائعة...

لغة العلماء بسيطة وواضحة وممتينة بل وشاعرية أحياناً. واتحمس للعلماء أحياناً أخال انشتاين أكثر شاعرية من ناظم حكمت، وأتصور رواد الفضاء أعظم موهبة من راقصي الباليه.

حين يطلق العلماء مركبة فضائية يقولون:

- تم اطلاق المركبة بنجاح.

ثم حين تأخذ المركبة مدارها.. يقولون:

- اتخذت مدارها. وكل شيء فيها يجري على مايرام.

وبعد جهود مضيئة من التصميم والتنفيذ والمراقبة تعود المركبة الى الارض، فيقول العلماء:

- تمت العملية بنجاح..

هكذا وببساطة. فما أجمل وأفصح هذه اللغة! انني في كل يوم ألعن نفسي لأنني لا أعرف غير الثرثرة.. وأحاول ان انحس من ثرثرتي لغة قريبة من هذا التواضع الجم الذي تتميز به لغة العلماء الا انني أفضل. واتطلع الى أن احقق مشاريعي الأدبية لكي أكتب^(٢) بعد ذلك: عشت بنجاح.

(١) بمعنى حشو التعابير بكلمات زائدة عن الحاجة بما يشبه التزيق احياناً ... وذلك لمجرد الكتابة.

(٢) لم أنجح بالطبع بعد... فأشعر كوني بعيداً عن النجاح حتى الآن.

المدار الاخير العدد (٨١٢) الاربعاء ١٨ آب ١٩٧١

البكاء في السرّ

تقول إحدى الأغنيات الشعبية أو على الاصح يقول احد المطربين العراقيين
مردداً كلماته مرات متوالية:

- أبكي على كفي

- ابكي على كفي

وبحجة الحلمان.. أبّي على كفي

ولكي لايبوح مطربنا بسر بكائه فانه يصطنع النوم كي يوهم الناس بأنه يبكي
نائماً أو يحلم بالبكاء..

وخلاصة هذه العملية الطويلة الشاقة من -تقطير- الألم والحزن والعذاب
المكبوت.. هي البحث عن حجة كي نبرر بها بكاعنا.

ان أجواء فكرنا متغيرة فعلاً، فبأمكان المطرب والشاعر والحلمان والصاحي
ان يبكوا في المقاهي ايضاً.. ولكن مطربنا مازال يفضل البكاء سراً، سواء كان
لشوق الى حبيبة، أو لعارضة نفسية لايجوز البوح بها..

والأئين المكتوم في أغانيها، والحزن الكئيب في أدبنا، والثرثرة الباهتة.. سمات
عصر القهر والاستبداد والعسف، لن تزول بسرعة، ولنزلم لتبديدها جرعات
متوالية من الانفتاح الذهني والاجتماعي والاقتصادي.

ذاكرة الجوع

ثريدُ صمونة واحدة هي حصتي، في مرق الباذنجان، وفصوص البصل النيء، هذا هو غذائي، فاليك يا معدتي العزيزة!

صعد البصل الحار حرارة لطيفة في صدري، والأرجح في معدتي، ثم عنقي فصدغي فرأسي.. واحتقنت جبهتي ووجنتاي بالعرق الذي كآني به حزني المكبوت. اذ انشرح ذهني حين ساح العرق على صدري وبلبل شعيراته، فاشرق في وجداني ضياء صاف. هل انه بشير الشبع؟

لم أتعلم الشراهة في الأكل منذ الصغر لأن التقشف زاملني رغماً عني. يكفيني الآن ما انا عليه من سلطان على وحش الجوع في معدتي.. هذا الوحش الذي غفا مخدوعاً ببصل نيء ومرق و صمونة!

هل للجوع ذاكرة؟ تذكرت اليوم شاباً كان مندفعاً بحماس قبل تسع سنوات. هذا الشاب هو انا.. استعيد فجأة ماضياً مطموراً.

هاأنذا قبل تسع سنوات، يلاحقني الارهاب اللعين الى الريف، ليأويني صديق لي، فلاح أجير في قرية مغمورة كوردستانية. ويصادف ان احل عنده في بداية شهر الصيام، شهر رمضان، فيسألني مضيقي المغوار:

- هل انت صائم لنعد لك الفطور؟

- أنت اعلم بذلك! احزر.

يضحك رفيقي الباسل، ويفهم ما أقول وينشرح بذلك -مع انه صائم- لخلاصه من مأزق يحرجه. ماذا سيقدم لي لو كنت صائماً؟ اما هو.. فينتظر اذان الفطور من مسجد القرية. ثم حين يحل الفطور يتوضأ ويصلي، وتمد زوجته الصائمة خوانهما فيفطران بالخبز والبصل النيء ثم رشقات من الشاي المر الثقيل. تشاء ظروف الارهاب ان تطول اقامتي عنده بامتداد شهر الصيام، فاراه يسحر بالخبز والشاي، او بالخبز والتمر، ويفطر بالخبز والبصل.. ومع

ذلك يعطي الصيام حقه كالآخرين. وأصوم معه بطريقتي الخاصة رغماً عني
لأنني أكل مما يأكل هو.
ذكرى جائعة توقظها ذاكرة الجوع.. ويصل كبير يملأ الأرض بقشوره
ورائحته الحادة التي تدمع لها العين، وخبز نظيف خارج من التنور الطيني قبل
هنيهة (هذا الخبز)، يزور الجوع في أحلام ما قبل الغسق..
فاهجعي يا معدتي العزيزة!

المدار الاخير العدد (٨١٦) الاثنين ٢٣ آب ١٩٧١

أرخميدس: اعطيني مكاناً... أحرك لك الدنيا

عاش أرخميدس قبل اثنين وعشرين قرناً في جزيرة صقلية حيث كان يعيش ملك ظالم يسمى -هيرو- الذي سمع بمقدرة أرخميدس العلمية فقربه اليه. ويقال عن أرخميدس انه كان كثير الاعتداد بنفسه ومتبجحاً حتى انه قال للملك على مسمع من رجال البلاط:

- اعطني مكاناً أقف عليه وانا احرك لك الدنيا.

قال الملك في سخط:

- يا لك من متبجح ثرثار، هلا برهنت على صدق قولك هذا ولو بتحريك وزن ثقل على الارض؟

صمت أرخميدس وتذكر بأن -هيرو- قد بنى للملك بطليموس سفينة كبيرة عجز عن انزالها للبحر لثقلها بالرغم من اشتغال جميع رعيته بذلك، فقال بهدوء: - سأنزل لك يا مولاي سفينتك الى البحر بمفردتي! وذهب حالاً يصنع مجموعة من البكرات والروافع وصل أطرافها وجمع بينها بطريقة عبقرية مبتكرة. ثم دعا الملك وافراد حاشيته وسلم طرف الحبل اليه ورجاه ان يجذبه بلطف وماكان اشد دهشة هيرو عندما رأى السفينة تنزلق نحو البحر بهدوء وأمان! يقال ان الملك اصدر منشوراً لرعيته يقول على كل صقلي بعد اليوم ان يصدق أرخميدس في كل ما يقول ويدعي.

نعود الى هذه الرواية لقراءتها مرة اخرى، يستوقفنا نعت أرخميدس بالتبجح من قبل كثير من المؤرخين الذين ظلوا ينظرون اليه من وجهة نظر الملك هيرو. أما الواقع فان أرخميدس كان متواضعاً، واعتداده بنفسه امر طبيعي طالما انه يشعر بمقدرته، ثم انه كان يطلب طلباً متواضعاً.. وهو -المكان- الذي يقف عليه كي يحرك الدنيا. ان جميع العلماء يطمحون الى ان تكون لهم امكنتهم، فارخميدس كان يعبر عما يخلج في ذهن كل عالم طامح الى تحقيق مشاريعه

العلمية. ان المكان الذي يريده العالم هو توفر حرية العمل، وحرية العالم لها شروطها المادية، وهي الأموال والوسائل والأدوات التي تمكنه من اجراء تجاربه وتحقيق نظرياته. ان مكان العالم هو المجال الذي يمارس فيه مواصلة الاكتشافات، انها نشوة الاكتشاف والابتكار والخلق وهبتها الطبيعية لبعض أبنائها، لكن التمتع بهذه النشوة يحتاج الى -مكان- ملائم يقف عليه العلماء. والارجح هو ان الملك هيرو كان يشعر بالغيرة من اعتداد ارخميدس بنفسه، هذا الاعتداد الذي جعل أرخميدس يرى نفسه ارفع مقاماً من الملك. وهذا أيضاً حق طبيعي للعالم الوثائق من قدرته العلمية تقول قياسات الذكاء التي يجريها علماء النفس، أن الفلاسفة ثم العلماء فالأدباء والفنانون أذكى من رجال الادارة والسياسة الذين يأتون في الدرجة الرابعة حسب تلك القياسات، ومع ذلك ظل رجال الادارة والسياسة يضطهدون الفلاسفة والعلماء والمفكرين منذ أقدم العصور ويجردونهم أحياناً من حق التمتع بأمكنة خاصة يقفون عليها ليجرؤوا الدنيا. نخلص من ذلك الى أن ارخميدس كان محقاً في الاعتداد بنفسه ولم يكن متبجحاً حتى ولو تكابر أمام الملك واستصغر شأنه، وليس جميع الحكام في الدرجة الرابعة من الذكاء، فهناك حكام فلاسفة. وهناك حكام شعراء ومتقفون، واعتقد ان كل عالم سيجد المكان الملائم لممارسة شغفه بالأكتشاف والابتكار، اذا تحققت نبوءة الفيلسوف الالمانى ماركس في بناء مجتمع يصير فيه العمال فلاسفة والفلاسفة عمالاً، بمعنى آخر -حسب نبوءة افلاطون- يصير الحكام فلاسفة، والفلاسفة حكاماً.

غريزة فلاح

مام قورباني، فلاح من قرية عشت فيها عامين.
مام قورباني، رعم شيخوخته، ظريف ونشيط، لايرتاح الا في بستانه الذي يزرعه سنوياً بالباقلاء والرشاد والفجل، بالبطيخ والخيار والركي.
وهو كفلاح كوردي قديم، يجيد التنبؤ بالموسم منذ البدء، بغريزة عجيبة اشبه ما تكون بالأنواء الجوية!
ومام قورباني مناضل، مناضل كبير على طريقته الخاصة، ولأنه لايملك ارضاً فقد انتقل في شبابه بين خمس وعشرين قرية متحدياً ملاكي القرى الظالمين الى ان استقر به المقام أجيراً لدى احد الملاكين الصغار.
مام قورباني المناضل بطريقته لخاصة يحب النكتة الممزوجة برائحة التراب والخيار والركي. لذلك لاتهمه لسعات الدبابير والنحل. وحين ينام في كوخه الصغير وسط البستان، تطن حوله عشرات الدبابير راقصةً حول قشور الركي والبطيخ، مطمئنة الى نسمات كوردستان شأنها شأن صاحب البستان.
الا ان مام قورباني المناضل على طريقته الخاصة والذي انتزع من الارض مئات الاطنان من الحبوب والخضراوات، قد جاوز السبعين عاماً بدون أن يملك حتى بستانه الصغير.. لذلك سيظل مناضلاً على طريقته الخاصة ويموت بطريقته الخاصة.

مرطبات

١

الكذب سلوك يومي للمجتمع البرجوازي، حتى ليبدو أن الشذوذ يكمن في الصدق. الاستغلال يستر واقعه القبيح بالغش والخداع والتضليل، لذلك كلما تعقدت العلاقات الاجتماعية ازداد الكذب تقنعاً، وارتدى اشكالاً براقية اشد سحراً.

٢

الوعد الحقيقية هي تلك التي نمنحها أنفسنا في لحظات التأمل الذاتي، ولكنه ما أكثر ما ننسى هذه الوعد! ان عدم التزامنا بها خطأ كبير نفتقره يومياً.

٣

اخيراً..

اكتشفني أحد القراء، قيل: انه قال عني:

– علمت بأن له شاربين.

عجياً.. هل هناك رجال بلا شوارب؟. عفواً! اقصد: هل هناك رجال لاتنبت لهم

شوارب ان تركوها تنمو على هواها؟

المدار الاخير العدد (٨١٩) الخميس ٢٦ آب ١٩٧١

عن رائحة الجنس

طرح صديقي سؤالاً مهماً حين قال لي:

- لماذا لا أرى الجنس موضوعاً في أدبك؟

قلت: هل ان ذلك ضروري؟

قال: اعتقد ذلك طالما أنني أرى الجنس يعبر عن نفسه في اسلوبك.

قلت لا افهم.

قال: بل أشم رائحة الحرمان الجنسي في اسلوبك، ولكنك حاولت دائماً ان

تتجنب الخوض في الجنس كموضوع. هل تعتبر تناول الجنس فعلاً رجعياً؟

قلت: كلا! اعتقد بأن كل موضوع يصلح أن يكون مادة أدبية. والجنس حاجة

طبيعية في حياة الانسان يمكن تناوله كموضوع ادبي. اما كون ذلك رجعياً او

تقديماً، فتقرره طبيعة التناول وطريقة التفكير.

قال: الا يمكنك اكتشاف جانب آخر من العلاقة بين الجنس والفعل التقديمي؟

قلت: لم افهمك بعد.

قال: ان التعبير عن اي حرمان فكري او سياسي أو اقتصادي هو فعل

تقديمي. لذلك فالتعبير عن الحرمان الجنسي فعل تقديمي ايضاً، والظاهرة

الواضحة في أدبنا اليوم -حسب رأبي- هي أن الادبيات المعدودات اللائي

يوصلن الكتابة شعراً وقصة ونثراً هن اصدق تعبيراً عن الحرمان الجنسي من

الأدباء، رغم انهن -ايضاً- يتجنبن الخوض في الجنس بصورة مباشرة.

ولدي: لا تناطح السماء

١

الهُويات والاهتمامات تعكس خلاصة الثقافة السائدة، رغم ان موجة المصارعة الحرة^(١) قد انحسرت عن بغداد، مع تصاعد القيظ اللاهب، فانني لا أرى غضاضة في تناولها من زاوية علاقة المصارعة بطفلي، اذ جاعني يوماً تمازحني فأمسكت بذراعي. ثم راحت تلويها فاستسلمت لها ولما نجحت في اللوي تماماً قفزت -وأنا جالس- فضربت كنتفي بكفها، قالت:

- صرعة!؟

- نعم. صرعة! يا بنيتي..

منذ تلك اللحظة وأنا افكر في ضرورة انشاء مدرسة لتعليم النساء مصارعة -الجلود-. ذلك أحسن من المصارعة الحرة على أية حال. ولعل طفلي على حق.. فالمستقبل لا يبشر بأيام أمانة للنساء اذا استمرت الحروب والمجازر وتزايد عدد الصرعى من الرجال!
انها لصرعة! يا بنيتي.. صرعة يومية.

٢

عاش تعيساً. شب فقيراً، وظل يكدح حتى أضحي جلدأ ضامراً.. وخالصة فلسفته التي يردها كلما سنحت له فرصة التعبير:

(١) المصارعة البهلوانية المعروفة آنذاك، والتي تبين ان النظام السياسي السائد كان يشجعها ضمن سياسة إلهاء الناس وتضليلهم عن مطالبهم الأساسية. وكانت هذه المصارعات تبث بأهتمام من قبل التلفزيون الحكومي (الوحيد آنذاك) فينقل بها الكثير من الناس كباراً وصغاراً، حتى الأطفال.

- ولدي! لاتنطح السماء، فأنت انسان فان. هذه مشيئة الله تعالى. والا كانت حياتنا مختلفة لو شاء ذلك فاذا لم ينخدع جدنا آدم بجذتنا حواء، لبقينا في الجنة حتى الآن، نعيش بالهواء ولاشيء غير ذلك، هل رأيت سر مصابنا يا ولدي؟؟

بأس يبزر بؤسه. سجين يقف سجاناً على نفسه.

رسالة مفتوحة الى الأدباء

عاد الأديب السجين^(١) (...) الى مستشفى الشماعية مرة اخرى.. انتقل من ردهة المجانين بعد أن عادت اليه نوبات الانهيار العصبي التي تنتابه منذ اعتقاله وسجنه بتهمة قتل زوجته.

لقد افرجت عنه المحكمة في البداية لأنه ثبت ارتكابه للفعل في حالة من حالات اللاوعي. ثم اعيدت محاكمته حتى استقر عليه الحكم بالسجن سبع سنوات.. ايها الادباء والشعراء من أصدقائه.. ان صديقكم (...) يعيش في مستشفى الشماعية^(٢) منذ عدة اسابيع. وجميع الشرائع والقوانين لاتقر ان يبقى في السجن من لايرجى شفاؤه. وهو ليس أكثر ايغالباً في الذنوب من الأديب الفرنسي -جان جينيه^(٣)- الذي كان مرشحاً لنيل عقوبة السجن المؤبد لولا تدخل سارتر وغيره من أدباء ومفكري فرنسا الذين سعوا حتى أطلقوا سراحه تقديراً لموهبته الأدبية.. فقط، لاغيرها!

ماذا عملتم من أجل السياب؟ لقد صلبتموه في تمثال.. وصفقتم له طويلاً وهو ييلق بعينين برونزيتين جامدتين. الا انكم تركتم أديباً آخر يصرع الجنون بوحده! هل تحبون السياب وشعره وذكراه؟ انقذوا -اذن- بعض رفاته الذي

(١) هذا الأديب (...) اطلق سراحه فيما بعد. فضلت حذف أسمه الصريح كي لايتأثر اذا ماكان حياً حتى الآن. وقد شكرني كثيراً أثناء نشر هذه المقطوعة وهي تحمل اسمه الصريح.

(٢) مستشفى للمجانين في بغداد آنذاك.

(٣) جان جينيه كاتب فرنسي ارتكب منذ شبابه أعمال السرقة وغيرها وسجن عشرات المرات حتى أصبح محترفاً وكادت المحاكم الفرنسية تحكم عليه بالسجن المؤبد لولا نداء جان بول سارتر والرأي العام الفرنسي الذي أستجاب للنداء، فاعفي عنه واعيد له الاعتبار وعاش بقية عمره محترماً ومقدراً من قبل المجتمع واشتهر عالمياً.

مازال ينبض.. انقذوا هذا الذي يصارع ذاته الى حد الانتحار، في جلد الأديب والشاعر -ناظم توفيق الحلي- وهو انسان قبل كل شيء. ثم.. السنا نبالغ حين نتهم المجتمع بالتنكر للأدب والاديب؟ ثمة حقيقة بسيطة تقول: من لم يحترم نفسه لا يحترمه الناس. فاحترموا الادب في شخص الاديب كي يحترمكم المجتمع. دافعوا عنه. انه انسان. وكل منا مرشح للجنون، ولأرتكاب أية هفوة. يا اصدقاء (...) ان طفله ينتظر دعوتكم من اجل اعفائه واطلاق سراحه!

المدار الاخير العدد (٨٢٢) الاثني ٣٠ آب ١٩٧١

رضاب الثلج

في الصيف أحاول أحياناً ان أكتب كما لو كنت انثر رضاب الثلج على ذهن القاريء.

أريد ان انعش ذهنه المتعب. وبمعنى آخر: أن اربط ذهنه بكلمات وصور أشبه ما تكون بالمرطبات الصيفية المنوعة: موطا، تَ تَو، دوندرمة، ومنعشات اخرى لاحصر لها.

أريد ان ألقى بالقاريء في خضم بحر واسع عميق ليسبح حتى تنهك قواه ثم يعود الى الشاطيء يتفياً في ظل مظلة. ولو قلبنا الجانب الآخر من الامنية الاخيرة لتبين بأنني انا بالذات أحلم أحياناً ببحر أرمي نفسي فيه فأظل أسبح حتى الغرق.

أحياناً يبدو الغرق في البحر نعمة اذا كان ذلك هروباً من القيط اللاهب. مهلاً! ليس هذا النوع من الكلمات-المرطبات، ارضاءً فكرياً ونفسياً لصنف معين من القراء.. القراء الذين يتعاطون المرطبات بادمان ولايتحملون حر الصيف؟! الا يبدو أنني أحاول انتاج ادب مرطب يضاف الى المتع الاخرى التي يلتذ بها الناس؟

هل يجد العامل المكود، والفلاح الاجير وأطفالهما.. فرصة لمجره التفكير في الهروب من القيط الذي ينتجون تحت رحمته؟ هل يحلم اطفال الكادحين بأي لون من الوان المرطبات؟

حسناً! لمن أكتب؟ هل أربط الازهان ام الهبها؟

انسجماً مع اختياراتي الصعبة.. فلتتهب الازهان!

المدار الاخير العدد (٨٢٣) الثلاثاء ٣١ آب ١٩٧١

سجيتان

انجيلا ديفيز^(١):

اختاه! أنت سجينة.. هناك في كاليفورنيا^(٢).

وفي قريتنا جارة عزيزة هي الأخرى.. سجينة لم تركب قطاراً بعد، ولم تشاهد فلماً سينمائياً. دعيك عن الثقافة والسياحة والميني الجرب والاصطياف. انها تجهل من هي^(٣).

حين اتخذ -غاغارين^(٤) -مداره الاخير حول الأرض كانت جارتنا العزيزة تمشي حافية وهي تجلب العشب لبقرتها الحلوبين. ثم عاد غاغارين الى الأرض وصدقت له البشرية و(فيما بعد) تحطمت طائرته فمات، وتيتم طفله ويكت له البشرية.. كل ذلك وجارتنا غير عليمه به.

زفوها الى ابن عمها حين اتخذت -تريشكوكا^(٥) -مدارها في الفضاء الخارجي. ونقلوها الى دار العريس في عربة خشبية لنقل المحاصيل الى البيدر. ثم هبطت تريشكوكا.. وتزوجت ايضاً.. فهل فعلت هي ليلة الزفاف أكثر مما فعلته جارتنا التي صبغت كفيها بالحناء؟

انجيلا ديفيز! اختاه! جارتنا العزيزة لاتعرفك، فان قلت لها: ان لك اختاً تعاني

(١) أمريكية من اصل أفريقي سجتت لنشاطها النسائي الاجتماعي دفاعاً عن الحقوق

المدنية للفئات المحرومة مثل الزنوج والأسويين والعاطلين عن العمل...

(٢) أما ولاية كاليفورنيا الأمريكية فلم يتسن لي زيارتها إلا عام ٢٠٠١.

(٣) اعتبر حرمان المرأة خاصة في الريف سجناً آخر ربما أبشع.

(٤) يوري غاغارين أول رائد فضاء سوفيتي، وهو ايضاً أول رائد على نطاق العالم،

طار بسفينة فضائية إلي خارج الجاذبية الأرضية ودار عدة دورات، فكان طيرانه بداية لغزو الفضاء.

(٥) تريشكوكا أول امرأة رائدة للفضاء، هي ايضاً سوفيتية (روسية).

السجن في كاليفورنيا لأنها ضد الاستغلال، هزت رأسها قائلةً: أن اختي
الوحيدة قد تزوجها راعي القرية وهو يضربها صباح مساء بسبب وبدون سبب.
سجينة من قرينتنا هي جارتنا العزيزة.
وسجينة من كاليفورنيا هي انت يا انجيلا.. العزيزة.
حائر انا.. اتطلع الى قرينتي المغمورة تارةً والى زنزانتك الانفرادية تارةً
اخرى.
حائر انا.. بين سجينتين: ايكما اولى بأن يطلق سراهما قبل الاخرى: انت
التي تشعرين بقسوة السجن والاضطهاد، أم جارتنا التي تجهل انها سجينة؟

الغيرة على الصنعة

الغيرة على الصنعة طال العمل بالهلاق وهو يقص شعيرة زائدة هنا وأخرى هناك ثم يعيد تمشيط شعري ويتأمل من امام ومن الجانبين ومن الخلف حتى شعرت بألم خفيف في ظهري وارتدت أن ينهي الهلاق عمله فقلت له: - احسنت. اعتقد انه يكفي، اذا كانت ثمة شعيرات أطول فتستسوي بها الاخريات بعد يومين. ثم انني لست على موعد في كوكتيل دبلوماسي! أجاب في عناد: - ليست المسألة كما تتصورها. انها الغيرة على الصنعة يا عزيزي.. حين أحسن حلاقتك فانما أفعل ذلك احتراماً لسمعة صنعتي. أنا احب الانسان الذي يغار على عمله. يغار؟ يا للهالاق الطيب. لقد ذكرني بصنعتي التي لا يغار عليها أصحابها. صنعة الكلمة او الكتابة. ان الغيرة على المهنة تعني احترامها. والاحترام هنا يعني الانتقان والعناية والجدة في العمل وتحسب باستمرار. فكيف يمكنني تطوير امكانياتي الكتابية؟ أشعر بالحاجة الى مزيد من المعلومات العامة وخاصة تلك التي تتعلق بمجتمعات أخرى. ينبغي ان أقرأ كثيراً. افكر كثيراً، ثم أكتب. ينبغي تطوير امكانيات التصرف الفني باللغة، واثراء مفرداتي الشحيحة بمفردات جميلة جديدة، وتبسيط اسلوبي، وتوضيح المعاني توضيحاً أشد صفاء. وهنا تبرز مسألة هامة. اذ كيف نفكر تفكيراً أوضح؟ انها مسألة الفلسفة. فينبغي تعميق وتطوير ايدئولوجيتي. وبمعنى آخر تصحيح تصوراتي عن الحياة والانسان والكون. ماهي الفلسفة؟ الفلسفة هي مفهوم الانسان عن العالم. فان الدراسة والمطالعة والتمحيص والتدقيق والتحليل، سيثري مفهومي ويوسع آفاقه. كل ذلك يدخل في باب الغيرة على صنعة الكتابة، هذا اذا أردنا أن نكتب عن الحب والجمال والحقيقة، مخلصين وهادفين.

المدار الاخير العدد (٨٢٦) - السبت ٤ ايلول ١٩٧١

خبية العلم أمام الحب

خبية العلم أمام الحب قال صديقي بخت: تصور نفسك رائد فضاء على أهبة السفر لأول مرة الى القمر، فماذا ستكتب الى زوجتك؟ قلت: لكنني لست رائد فضاء، بل رائد ارض جرباء.. قال: لنفرض. قلت: حسناً.. لنفرض أنني أمارس تدريبي الأخير قبل الأطلاق من الأرض بعدة ايام، ثم لنفرض أنني اجيد كتابة الرسائل.. فسأهني حقائبي استعداداً للانسحاب من حقي في ريادة الفضاء وأكتب هذه الرسالة قبل وصولي الى داري.. زوجتي الحبيبة: عدلت عن فكرتي. سأتنازل عن طموحي في ريادة الفضاء أبقى هنا لأكون رائد ارض قاحلة استصلحها، أو رائد مظاهرة شعبية، رائد قصيدة جديدة أنشرها.. على ان لا أكون رائد فضاء سمعت ان زوجات رواد الفضاء الأمريكيين يطلقن ازواجهن الواحدة بعد الاخرى. ويهجرنهم هم الذين ارتادوا الفضاء البعيد حاملين شهادة عصر يدوس فيه الانسان القمر بقدميه، ويسقط على ترابه وينهض ويسرق منه الحجارة والغبار. يهجرنهم.. هم الذين تحلم به بعض المراهقات قبل الفجر. فان متاعب الرحلات الفضائية خلخلت قواهم الطبيعية فلم يعودوا صالحين.. زوجتي الطيبة: أتنازل عن ريادة فيها خسارتي لك. وسيقولون عني جبان وأناني وما يحلو لهم القول من نعوت. الا ان ذلك يهون امام خسارتي لحبك. عزيزتي: قد يتقدم العلم فيبتكر الانسان ما يحمل رائد الفضاء الى القمر ويعيده سالماً، ويشجع طموح زوجته الى الحب فلا تهجره سيكون آنذاك من يحمل راية الريادة. أما خسارة عمرنا فلن يعوضها لنا شيء. ولن يعيد لنا العلم هذه الأيام القليلة التي سلخناها من زمن الكون لنعيش معاً. عائد أنا الى عشنا. انتظريني مساء غداً مع القطار النازل.

نكتة فضائية

نكتة فضائية لم ترسل أمريكا لحد الآن رائد فضاء زنجياً، خطر لها يوماً أن ترسل أحد الزوج مع رائد أبيض^(١)، فاتفقا في طريقهما الى القمر على أن يقدموا للبشرية نكتة مبهجة. ما ان هبطا في العجلة القمرية حتى اتصل الرائد الأبيض -جون- بالمحطة الارضية: جون: ألو. كل شيء على ما يرام، لكن زميلي تمرد. يعلن عدم العودة الى الأرض الا بشروط. (من الأرض): ماهي؟ جون: ايقاف الحرب في الهند الصينية فوراً، سحب القوات الامريكية فوراً^(٢)، منح السلم والاستقلال لهذه الشعوب. (من الأرض): ألو! جون. عد الى ابولو^(٣) - بوحدك. عد سريعاً. جون: وماذا عن زميلي؟ وشروطه؟ (من الأرض): انه زنجي. كنا ندرى انه سيمتد. دعه يا جون يدفن نفسه هناك. تهباً. سنهيء لك الاقلاع فوراً للعودة الينا بوحدك. جون: لكنني متفق معه، متفق معه، ولن اخونه. (من الأرض): ألو. ألو. جون! ماذا دهك؟ هل أغواك الشيطان الأسود؟ جون: لا شياطين هنا ولا ملائكة. نحن الآن على القمر. ألو. ألو. هل اهتف بسقوط الارض ام ستنفذون شروطنا؟ (من الأرض): أه! يا جون العزيز. زوجتك سوف تتألم كثيراً. جون: ليس اكثر من ارملة اي قتيل لنا في فيتنام. (من الأرض): ووطنك؟ جون: وطني الان هو القمر. (من الأرض): وشعبك؟ جون: من اجل شعبي لن اعود.. الا إذا... (من الأرض): حسنا. سنتصل بالرئيس، ألو. قرر الرئيس اعلان السلم فوراً. القوات الامريكية تستعد للعودة الى الوطن. هل تسمعون جيداً؟ جون: اسمعوا. اسمعوا. زميلي يغني اغانيه - بول روبنسن^(٤)-. ألو، ألو، انتظر- بعد نصف ساعة -بول روبنسن-. الى اللقاء.

(١) قصة من نسج الخيال.

(٢) صورة عن الوضع العالمي آنذاك.

(٣) أسم القمر الصناعي.

(٤) فنان للغناء اشتهر في تلك الفترة، وهو زنجي.

المدار الاخير العدد (٨٢٨) - الاثنين ٦ ايلول ١٩٧١

يزرقونني بالوهم

يزرقونني بالوهم فحصني الطبيب ثم قاس ضغطي الدموي، قال: - ان ضغطك أعلى من الضغط الاعتيادي بثلاث درجات. هل تشكو من قلق ما؟ أم أن الشيخوخة ادركتك قبل الأوان؟ عدت اليه بعد يومين فتبين انخفاضاً في ضغطي عن المستوى الاول بدرجتين. ثم عدت اليه بعد اسبوع فاذا بضغطي اعتيادي. انشرح الطبيب وقال: - اذن، انك كنت في قلق عصبي طارئ. صدق الطبيب. فقد كنت طوال اسبوعين فريسة قلق دايم، غارقاً في التفكير بأمر لاقدرة لي على تغيير مجراها، فتسبب القلق في اضطراب فلسجة جسمي مما نشأ عنه ذلك الارتفاع المفاجيء في ضغطي. ثم ان قلقاً جديداً قد نشأ، القلق من المستقبل اذا صحت شيخوختي المبكرة، حين احاطني الطبيب علماً بحالتي. كان القلق الاخير من نتائج القلق الاول. وكم هو طريف حين اجلس الى نفسي لأناقش بواعث انفعالاتي الكامنة فاذا بي امام وهم كبير.. كبير. وتبين كم كنت اعلق أهمية استثنائية على أمور لا تستحق التفكير فيها. اتساءل الآن: كم من حياتي كانت وهماً وكم منها حقيقة؟ يبدو ان النتيجة ليست مما يشجعني لأن الوهم يغطي مساحة واسعة من حياتنا. ولست اتحمل مسؤولية الضياع في هذا الوهم. ان الآخرين ظلوا يزرقونني بالوهم منذ الصغر. يزرقونني بأمر مثالية مترتبة، ثم بأحلام الشباب البراقة والحماسة المنفعلة.. ثم بأحلام حياة رغيدة ما تزال بعيدة التحقيق. وهكذا كان الوهم يحبل بالوهم، والقلق يحبل بالقلق.. والكذب يحبل بالكذب.. حاولت النبش في قاع المسألة ولاحظت أن هؤلاء الاخرين الذين اتهمهم انا جوراً، هم أيضاً ضحايا اوهامهم التي زرقتها فيهم مجتمعهم، فانتبهت الى النتيجة التالية: ان أوهام مجتمع متخلف قد تحولت الى ارتفاع في ضغطي الدموي وقلق وصداع لعدة اسابيع.

حنين الى المههد أماه!

أتذكر.. خبز الذرة وطريق البيدر^(١) والمهد الذي نام فيه اخوتي وأنا جميعاً^(٢).. أتذكر.. حتى الأقماط والجلجل.. وخضرة الباقلاء ومساحات الفجل والرشاد وخضرة القصب والصفصاف والموقد الطيني والرماد والقحط والحمي والجفاف.. اتذكر.. فلم اعش لك.. عيداً! ولم اصنع لك.. عيداً. وأنا اليوم أب لطفلة تنتظر مني عيداً وتنتظر قبلة.. كنت تقبليني كل يوم الف قبلة.. مع صياح الديك فجرأ.. قبلتان فقبلة ومع عودة الغنم مساء.. عشر قبلة.. طفلتي اليوم لاتظفر مني حتى بقبلة^(٣).

(١) يقال لي... انه نظراً لفقرنا أثناء طفولتي فقد أظفروني عن حليب الأم، بخبز الذرة الصفراء، الذي كان خبزاً جافاً صعباً على المضغ والبلع... فذكروا لي كيف كنت أمدد عنقي حتى أبتلع اللقمة!

(٢) ذكروا لي أنني وأخوتي العديدين نمنا في نفس المههد حتى تركناه لنحبو على الأرض. كان المههد الخشبي الجميل باقياً حتى بلوغي العشرين عاماً، تقريباً.

(٣) كنت بعيداً عنها فترة ما لأسباب أضرارية (ليست عائلية)...

المدار الاخير العدد (٨٣٠) - الاربعاء ٨ ايلول ١٩٧١

كيف وجدها.. أرخميدس^(١)

كنت أدري بأن أرخميدس اكتشف قاعدته المشهورة في حوض الحمام، لكنني لم أعرف لماذا ذهب الى الحمام بالأمس فقط قرأت ان أحد الصاغة صنع للملك هيرو، ملك صقلية آنذاك، تاجاً ملكياً جميلاً الصنع دقيق التركيب، فسرّ به الملك كثيراً. لكن أحد الوشاة اوصى اليه ان الصانع عبث بالذهب وان يتفصح الصائغ التاج، التاج دون ان يتلفه، واعطي له مهلة عدة ايام والا فمصيره الموت. كانت المهمة صعبة. وكان يصعب التحقيق في التاج دون اتلافه، ومرت الايام وأرخميدس يفكر بينما الملك الظالم ينتظر بفارغ الصبر، واخيراً صمم على ان يواجه الملك بتفسير ولو كان فيه حتفه. كان من عادة اهل صقلية آنذاك الاغتسال قبل مواجهة الموت، لهذا قصد أرخميدس احد حمامات البلدة وهو ساهم واجم. وعندما دخل الحوض وكان مليئاً لحظ امرين بسيطين خطيرين: اولاً: ان الماء فاض عندما نزل الى الحوض. ثانياً: ان الماء يدفع جسمه بقوة ملحوظة الى اعلى. رأى أرخميدس في هذه الملاحظة البسيطة حلاً نهائياً لمشكلته فغمره السرور المفاجيء، وخرج من الحوض مسرعاً عارياً الى الشارع يصيح بصيحه المشهورة: وجدتها! وجدتها! لكن ماذا وجد؟ وكيف؟ وجد ان يأخذ قطعة من الذهب الخالص تساوي وزن التاج ويغمرها التاج في اناء مليء بالماء. فاذا فاضت نفس الكمية من الماء كان التاج طبعاً من الذهب والا كان مغشوشاً. وبنتيجة التجربة اكتشف بأن التاج خليط من الذهب والفضة! ثم تابع أرخميدس بحوثه في هذه الناحية حتى اقتنع العالم بقاعدته المعروفة. - كل جسم مغمور في سائل يفقد وزنه بقدر وزن السائل المزاح. - هل يمكننا القول انه لولا التاج المغشوش لما اكتشف أرخميدس قاعدته؟ مهما كان فاننا لانستطيع نكران دور التاج في هذا الاكتشاف. ثمة سؤال آخر: لماذا للتاج مثل هذا الدور؟ ان قيمة

(١) عالم رياضي مشهور في التاريخ.

التاج ليست في ذهبه وصياغته، بل في قيمته الاجتماعية باعتباره رمز السطوة والجاه والملك. وإن الملك هيرو كان يصبو الى التباهي بسيطرته عن طريق تاج اجمل وادق تركيباً وبتعبير آخر انه كان يريد مواصلة الاحتفاظ بملكيته المطلقة التي هي حكم الرعية، مما يذكرنا بالقول ان للاكتشافات العلمية جذوراً طبقية. ان التاج كان دافعاً لكنه دافع طبقي بحث في أساسه، بدليل ان مصير عالم مثل ارخميدس كان معلقاً بالتحقيق في مدى نقاوة ذهب التاج.

المدار الاخير العدد (٨٣١) - الخميس ٩ ايلول ١٩٧١

من حرية الفكر أن تخرج بألوانك الى الشمس

هناك عالمان يعيشان لصيقين معاً، فالمسجد الصغير عالم، وحقله الأصغر عالم ثان^(١). وفي المسجد ناس، يسجدون، في صلاة خاشعة، ويغمضون أعيناً ليتأملوا الله في ضمائرهم. وفي حقل شاردد.. انا بحواسي وشعوري، لا أغمض عيناً، ولا أغيب عن يقظة. بل أوسع صدفة لأروي ظمأً البصر الى خضرة نضرة تحكي طراوة الطبيعة كما كانت منذ ملايين السنين.

ومن بين ألوان نباتات زاحفة بعضها مزهرة، وبعضها مثمرة واخرى صولية سامقة تستوقني زهرة عباد الشمس في تيجانها الليمونية واوراقها العريضة المنبسطة في حال الابتهاال الى السماء تشبه اكف راقصات الفراعة. اعشق هذه الزهرة لأنها تخرج بالوانها الى الشمس في عزم وحرية وعناد. ومن طبيعة اللون، اي لون، ان لايستطع في الظلال، وان يختفي في الظلام بينما يشع بهاءً في ضوء الشمس، فانادي نفسي مشفقاً: - قاتل دون الوصول الى الشمس بالوانك، استشهد من اجل ذلك، على ان تستشهد تحت الشمس في ضيائها ، وليس في الظلام. إذ حتى الدم كي يدفق قرمزياً زاهياً ينبغي ان يراق في ضوء الشمس، لأنه سيظهر غامقاً.

فأخرج بالوانك الى الضياء، اخرج بافكارك ومطالبك وهوامك الخفية الكامنة التي تخالها اساراً لن تنتهك. لاتظن ان في الطبيعة سراً، ما تظنه سراً هو واحد من اثنين: اما مجهول لم تدركه بعد، او تافه وضيع، تشعر بدناغته - حسب تصورك ربما تستحي الاعلان عنه وعرضه للنور.

ان لم تك جاهلاً، وان لم تك الوانك تافهة باهتة، هيا -اذن- واخرج بها الى الشمس، وليست الألوان سبعة في طيف، ولا مائة أو ألفاً بل ملايين

(١) كنت في هكذا مكان ذات يوم.

ملايين، لكل انسان لون، لكل فعل انساني لون، لكل فكرة لون، لكل رغبة لون. لا
اجمل من ان تسخو الحياة بملايين الوانها الانسانية تحت الشمس^(٢).

(٢) كنت مغرماً بالتنوع في الطبيعة والأفكار والأذواق وكنت أتمنى ان تتاح للجميع
حرية التمتع بما هم عليه.

للنضال معنى

في النضال من اجل الحرية، معانٍ معانٍ جميلة ترتديها العلاقات الانسانية الرائعة التي تنشأ بين مناضلين لم يعرفوا بعضهم سابقاً، حتى جمعهم النضال المشترك. وهنا لا يكفي مقولة سقراط: - اعرف نفسك! بل تولد حاجة ماسة الى معرفة المناضلين بعضهم لبعض، والى ان يفهموا ويتفهموا حاجات ورغبات بعضهم، حتى هواياتهم، بل واكلاتهم المفضلة ايضاً، وهمومهم اليومية الصغيرة، وأمراضهم. كلما ازدادوا معرفة بذلك ازدادوا بأساً لتذليل الصعاب اليومية، لأن صعاب المناضلين تصير صعباً امام رفاقه ايضاً.

سرد لي أحد رفاقي تجربة ممتعة قال: - وعهدوا الي برفيق مخلص، مستعد للتضحية بلا حدود، مثابر يواكب تثقيف نفسه باستمرار يواظب على العمل بدقة وعناية، لكن تعوزه روح المبادرة.. فهو ينتظر من يحفره ويدفعه ويحمسه، بل انه كسول احياناً. تساءلت: اي رفيق مقدام سيكون لو نجحت في تحريره من عادات كسله! بدأت بدراسته ومعرفة ميوله وماضيه وهواياته.

أرى دائماً -من تجربتي الطويلة- ان ابدأ النصح والتعاليم المباشرة. والارشاد المتعالى غير مفيد، بل مضر غالباً، لأن فيه ما ينم عن الاستعلاء والأمرية، خاصةً حين يكون المقابل حساساً شاعراً بأن الاوامر تلقي عليه من فوق. اما في النضال فتستبدل علاقات الامرية -وهي علاقات متخلفة اقطاعية- بعلاقات صداقة أصيلة وحقيقية. كانت أمامي مهمة الاندماج مع رفاقي وجدانياً، ليس في المهمات النضالية اليومية فحسب، بل ايضاً في هواياته المحببة اليه، حيث من هنا يمكن اختراق عالمه الصغير لتحريره- مما هو فيه من كسل. بعد لقاءات قصيرة اكتشفت شغفه العجيب باخبار الممثلة الفرنسية -بريجيت باردو- ادوارها.. عاداتها، أكلاتها، أزيائها.. عشاقها.

فقررت فوراً خوض تجربة معه، وفي الفترة التي سبقت لقائنا التالي جمعت

عدة اخبار عن (ب.ب)^(١) حتى اذا ضمنا اللقاء رحت استدرجه الى الحديث عنها فتألفت عيناه بالفرح وسرد لي فيضاً من أخبارها الطريفة. ونحن كذلك مندمجان، اخرجت من جيبي ورقة صغيرة مكتوبة بها اربع مهمات كلفوه بتنفيذها خلال اسبوع. فامتقح لونه وامتعض قائلاً: - اربع؟؟ اليست كثيرة. قلت: كلا! نحن نعرفك جيداً. انت تستطيع تنفيذ أكثر من ذلك لوبادرت جيداً. بعد شرح موجز لمهامه، عرجت بالحديث نحو مفضلته (ب.ب) حتى اذا انتهى اللقاء ذكرته مرة أخرى بمهامه ومدة تنفيذها ثم قلت: - تذكر ان بريجيت باردو تنفذ قراراتها فوراً! ضحك كثيراً وعانقني فافترقنا.. وكم كانت دهشتي كبيرة وبهيجة حين جاءتني منه رسالة بعد اربعة ايام تقول: - نفذت المهمات الاربعة!^(٢) وتكررت لقاءتنا على هذه الوتيرة، ابدى خلالها استعداداً واضحاً للتخلص من الكسل ثم رأيتة يفقد حرارة الاهتمام بشاعلة ذهنه -ب.ب- ويتحول فجأة الى هواية ذات جانب تثقيفي متمتع في نفس الوقت. فقد راح يقص من الصحف والمجلات كل صورة لمظاهرة او ثورة شعبية في أي مكان بالعالم. استلذت فيه هذا الانعطف واندمجت معه بحماس، وأصبحت مساعداً له في جمع الصور حتى ملأنا البومين ثم جاءت الأيام وراحت الأيام كان رفيقي خلالها يتأجج نشاطاً وحيوية ومبادرة. وفصلتنا ظروف النضال كما جمعتنا ومرت سنوات، سقطت انا خلالها سقطة كبيرة نهضت منها بصعوبة، فتخلفت عن النضال مؤقتاً.. لكن حينياً غامضاً ظل يشدني الى رفيقي.. فاستفسرت عنه يوماً، فقيل لي: - أحد ابرز صفاته هي التحلي بروح المبادرة! غمرتني السعادة بذلك.. سعادة الأبوة، ابوة النضال فرغم تخلفي مؤقتاً.. هاأنذا أواصل النضال في شخص رفيقي ومبادرته المبدعة.

(١) بريجيت باردو، التي كانت آنذاك نجمة الشباب في العالم.

(٢) كانت مهمات صغيرة (مضحكة أحياناً) من قبيل نقل نشرات سرية الى أماكن معينة، والصاق بعضها في الشوارع سراً، أو الأستماع الى الأذاعات لجمع وتلخيص الأخبار المهمة، وتعلم أساليب الأختفاء والتمويه للنجاة من ملاحقة رجال الأمن والشرطة.

المدار الاخير العدد (٨٣٤) - الاثنين ١٣ ايلول ١٩٧١

تهرب بهمومها الى القمر وماذا عن أوتادها

تهرب بهمومها الى القمر.. وماذا عن أوتادها كاني بأمریکا تمارس -التعويض النفسي- حين تبالغ وتتطرف في ارسال روادها الى القمر كلما اشتد بأس ثوار فيتنام ومقاومتهم وبأس الحركات الشعبية والنسائية التقدمية داخل أمريكا حتى صار ارتياد القمر -على أهميته العلمية- نوعاً من الاعلام غير المباشر لأهلاء البشرية عن مهمتها الاجتماعية الاساسية في عصر الانتقال الى المجتمع المتحرر. حولت أمريكا رحلات الفضاء الى قدر من التبجح والكبرياء والاستعلاء على الشعوب.. ففيها بعض زهو، وبعض خيلاء.. وروح عسكرية للمنافسة، وتكاد تصير وسيلة الهاء وتسلية، اذ غالباً ما يجري توقيت اطلاق مركبات الفضاء مع اعنف الحركات الشعبية من أجل السلم واستقلال الشعوب. هذا الملحوظ ينبؤنا أن امريكا تهرب بهمومها وقلق ازمتهما الاعمق، الى القمر، متمسرة على تناقضاتها المتفاقمة بنجاحات رواد الفضاء، حتى كشفت ازمة الدولار^(١) عن اتساع الأزمة الداخلية..

ان اوتاد الراسمالية مهزوزة منذ عقدين، ألم يأتك نبأ المناضل الذي ضمه السجن مع فلاح ساذج قبل أكثر من عقدين في هذا العراق فسأله الفلاح عن جدوى المظاهرات التي كانت تقوم ببغداد بين فترة واخرى، فقام المناضل يعلمه فائدة ذلك بتجربة حية. كانت في باحة السجن خيمة صغيرة يستظل بها عدد من المعتقلين لأكتظاظ الردهات بنزلاتها، فقاد المناضل صاحبه الفلاح الى واحد من اقوى وأرسخ الاوتاد الحديدية للخيمة فقال: - هل بإمكانك اقتلاع الحديدية؟ عبثاً حاول الفلاح، ان كانت الحديدية طويلة ومغروسة الى عمق عميق. عندها قال صاحبنا: - سأقلعها بمقدمة حذائي.. انظر. ضربها بمقدمة الحذاء ضربة ثم تركها ومضى يتمشى في الباحة مع صاحبه. عادا بعد ذلك ليفعل ما فعل، وانه

(١) تعرض الدولار الأمريكي لأزمة مالية آنذاك زعزت موقعها الدولي بعض الوقت.

لكذلك حتى غابت شمس اليوم - وفعل مثيله في الليل مرات، حتى اقبل يوم ثان، فتألت فرابع، ثم قال للفلاح: اقلعها الآن. ما اسهل ما انزلت الحديدة الى اعلى كأنها مدهونة، فضحك الفلاح مبيداً أعجابه.. قال المناضل: - هكذا فعل المظاهرات التي تقوم بها، انها مقدمات احذية الجماهير، احذيتك واحذية ملايين مثلك، تظل تدق اوتاد الخيمة، خيمة الاستغلال، وتظل تخلخل ثبات ورسوخ هذه الأوتاد مرة، مرتين، عشرأ. حتى يأتي يوم يصير اقتلاعها أسهل من اقتلاع هذه الحديدة.

المدار الاخير العدد (٨٣٥) - الثلاثاء ١٤ ايلول ١٩٧١

حسد أزلّي

احسد الطفل الذي ترضعين احسد الطفل الذي تحضنين أحسد الطفل الذي تتأغين، أحسد نوراً ينسكب في عينيك أحسد صوراً تطل من عينيك، احسد ماء يرش وجنتيك، أحسد التراب والهواء والرفير.. أحسد العرق يجري في درب العبير.. والظل الذي يتبعك مثل خوفي، أحسد ظل قدميك.. والرصيف، وعيون المقهى الجائعة وواجهات المخازن الزجاجية، أحسد نظرة مختلصة إلى يديك والجبابة.. وسعاة البريد يسلمونك بطاقات العيد. حبيبتي: تحياتي.. أحسد بطاقة عيدي، أحسد فيك حبي وشوقي وأحسد لحداً.. غداً.. يحضنك ابداً.

المدار الاخير العدد (٨٣٦) - الاربعاء ١٥ ايلول ١٩٧١

يا ذئاب الليل ابتعدي حين يبكي الطفل الكوردي في الليل جوعاً أو ألماً أو برداً
أو من عضات البعوض، وهو لا يملك القدرة على التعبير عن احتجاجه، سوى
البكاء.. فان امه تهدده بترنيمة كوردية تقول: - يا ذئاب الليل! يا ذئاب الليل!
ابتعدي عن طفلي! اذهبي وافترسي لصوص الليل^(١)! وقد ينام الطفل، وقد يظل
باكياً.. الا ان الأم نفسها تنام احياناً على هدهدة ترنيمتها هي، بينما يظل الطفل
باكياً.. وآلام شعبنا ومشاكله، وآثار تخلفه وجروحه.. لن تنام بالترنيمة الحلوة،
والهددة المخدرة.. وستظل جروحه تؤرقه الى أن تعالج علاجاً نهائياً حاسماً..
ان الجماهير الكوردية الكادحة هي التي تحملت أفظع أعباء الاضطهاد القومي
وبالتالى.. فانها هي التي دفعت ضريبة الثورة من دمها ولحمها وكدها وتعبها.
فالمسألة الأساسية هي أن الشعب الكوردي يريد حياة كريمة حقاً.. اما هدهدة
أحلامه ومخاوفه وقلقه وآلامه وبؤسه.. فلن تجدي. ولئن نامت متخدرة حيناً،
فستستيقظ صارخة مرة اخرى. فيا ذئاب الليل! يا ذئاب الليل! ابتعدي عن
شعبنا.. واذهبي لتفترسي طغاة الليل!

(١) ترنيمة شعبية تقول للطفل ان الذئاب ستبتعد عنه، فليمن قرير العين.

الوجه الآخر للوطن

لست وثنياً كي احب الوطن لحجره وطينه وشجره ومائه. لست طوطمياً كي أحب الوطن لطيره ووحوشه وثعابينه وحشره.. لست عذرياً كي أعشق جمال الطبيعة في ذاته.. لست مسكوناً بهاجس من يتمسح بأضرحة الاقدمين والقباب.. يسكن الوطن غير هذه الاشياء.. يسكنه الناس. ومن أجل هؤلاء أحب الوطن. بل ان الناس هم الوطن الذي اسكن والعب وافرح. ومن الناس من يبني وينتج ويغير فعلاً. من الناس من يكدح ويعمل، لهؤلاء وبهؤلاء يوجد الوطن بأشياءه الجميلة. وطني انا.. هو الشعب الكادح. ولذلك عشت أحياناً شاعراً أنتي بلا وطن حين كان هذا الشعب يتعذب أليماً. والوطن بمعنى التربة والخضرة، لم يصنه سوى الفلاحين والرعاة ممن لم يبرحوا تخوم قراهم يوماً، رغم عشرات القرون من الغزو والمجاعات والابوة والقحط. لم يكن القادة والحكام والخلفاء حماة الوطن يوماً. هؤلاء كانوا يخربون. أما الكادحون فهم الذين كانوا يبنون السدود والمدن والمخازن والطرق مرة أخرى. هم الذين تحملوا أعباء الدفاع عن الأرض بالعمل الصامت المتأبر. وطني أنا.. هم هؤلاء البناة الحماة، وليس اولئك الذين اضطهدوهم وشلوا حواس الحياة فيهم. وطني.. هم المبدعون الصديقون. هنا قلب يخفق بحب الوطن من أجل هؤلاء الناس، وبدونهم لايشعر بالانتماء الى أي وطن. هنا قلب مشرع الابواب بوجه كل الناس.

تذكر من هو أسوأ منك

يقول مثل كوردي: ليس يرضى أحد بدينياه^(١)! انه الشعور بالغبن، الشعور الذي يغشي ذهن انسان حين يدرك انه ليس في موضعه الاجتماعي اللائق به، ولم ينل حقه الذي يستحق. يعاني معظمنا شعور الغبن هذا، مع تفاوت في الشدة، رغم أن ذلك لايعني كوننا على حق دائماً. وليس الشعور بالغبن همنا الوحيد، إذ ما أكثر ما نعاني من هموم اجتماعية ناجمة عن علاقاتنا مع الغير. يقول مكسيم غوركي^(٢) ما معناه: كي تخفف عن نفسك وطأة الهموم تذكر دائماً أن هناك من هو اسوأ منك في نفس اللحظة.. حين نعاني هموم مشكلة ما يجدر بنا التفكير في عدد الذين -حولنا- يعانون آثار نفس المشكلة، ولتكن المشكلة -كما ذكرنا- مشكلة الشعور بالغبن.. ينقسم الناس الى قسمين في طريقة حل هذه المشكلة: اقلية تفكر في حل أي مباشر يخفف الهموم الذاتية للفرد من الافراد، ويرضيه.. واقلية تفكر في حل أكثر جذرية وارسخ، بعيد المدى، غير مباشر، ببناء مجتمع متحرر من ظروف الاستغلال، ظروف انعدام الفرص المتكافئة امام الجميع. ان الاقلية، هي التي تفكر في الحل الأرسخ، الأكثر جذرية، الذي لا يتحقق بتطلعات ونضالات فردية، محدودة المدى، بل بالأنخراط في النضال.

نرى ان نتساءل يوماً: - لماذا كان هناك من هو أسوأ منا، فلماذا -اذن- هذا الواقع السيء؟ وكيف نتجاوزه؟ من هنا يبدأ الانتقال الثوري من المعاناة الفردية الى المعاناة الجماعية انتقالاً ليس سهلاً بل مخلصاً، فولادة جديدة للانسان يلج بعدها عالم الكفاح الجماعي للكادحين من اجل حياة أحسن.

(١) تعبير كوردي.

(٢) الكاتب الروسي المعروف.

قانون التطور الحلزوني

بدأت بسيطاً واضحاً متواضعاً، في الأدب والحياة.. لكنني كنت مثقلاً ببعض العادات والأوهام المتخلفة، قلبية أو ناتجة عن فجاجة التجربة.. أعود الآن الى نقطة البدء.. أعود أبسط وأشد وضوحاً وتواضعاً وزهداً، متحرراً في نفس الوقت من كثير من العادات والأفكار المتخلفة القديمة. هذا درس في قانون نفي النفي، او ما يسمى -قانون التطور الحلزوني-، نعود أحياناً الى نفس نقطة البدء، هذا ما يبدو ظاهرياً. ولدى التمعن نرى اننا تجاوزناها بعيداً، لان عودتنا ظاهرية فقط. انظر الى حلقات السلسلة الحلزونية كيف أن الحلقة الاعلى تنحرف لتعود الى نقطة تبدو في اسفل الحلقة السفلى، رغم انها -في الواقع- قد تجاوزتها. نشعر أحياناً، او نستيقظ فجأة لنكتشف ان نقطة البدء كانت صحيحة، ولأسباب عديدة انحرفنا في منتصف الدرب، فهل نعود اليها أم لا؟ هنا نصاب بالحيرة بسبب وهم فكري يوسوس في اذهاننا: ألن تكون العودة موقفاً رجعياً؟ لكننا متيقنون في استمرارنا في الخط الخاطيء هو الموقف الرجعي بالذات. فكيف نقتنع أنفسنا؟ هناك -اذن- عودة تقدمية أيضاً.

المدار الاخير العدد (٨٤٥) - الاحد ٢٦ ايلول ١٩٧١

انتظار...

انتظار يشرب دمعي الانتظار، ويعطش.. يمص شرياني فوريدي.. ثم ريقى.
يذبحني الانتظار، يثرد كبدي افلاذاً^(١)، تنعقد في سيخ من نار... تنشوى، تملأ
فمي دخان.. وانتظار.. انتظار.. انتظار. العالم القديم حولي يهزل.. وينهار.
يطفيء شمس مائة نهار، الف الف نهار كم يطول الانتظار! انتظار في انتظار.
في انتظار رهمة^(٢) تنعش في جدي حبيبتي تمسح عن جبيني الغبار طفلي
المطر.. طفلي النهار.. وانا الطفل احبو خلف الامل الافق أبتعد عنه فيرتعد ادنو
منه فيبتعد، اطارده يبتعد، اغيب خلفه واغفاء الارض هو الافق. يبتعد، ويبتعد،
ويبتعد. جحدت الانتظار. جحدت الانتظار. جحدت الانتظار. عاد الامل طائراً.
يحط على كفي يستسلم في كفي ويخشع مستغفراً.. يهمس ان مات الانتظار.

(١) افلاذ: جمع فلذة وهي قطعة من الكبد.

(٢) الرهمة: المطر الخفيف المنعش الذي يرش الارض في اوائل الخريف.

المدار الاخير العدد (٨٤٦) - الاثنين ٢٧ ايلول ١٩٧١

مقاومة المتاريس الاولى هزيلة. بنيت رخوة، فالخوف كان طارئاً، فجائياً، سينهار شيء كثير.. سنتنهار متاريس. نفضح، نكشف، ننقد، نهول نحو مشرق الشمس حيث تنبت حمراء، ثم تركض نحو مغربها حيث تغوص في البئر الظلماء، ونعود خائئين.. اين ما كنا نبنيه؟ هدفنا الكثير الكثير الكثير. وبنينا القليل القليل القليل، واثناء الهدم انهدم الجميل والقبيح، الكوخ الوضيع والقصر المنيف، وجاع الطفل والأم، عطش النبع والغنم. لن اخشى اللعبة. وما ينهدم أكثره منخور، مارن، مسكون، وثمة شيء خطير يتقوض، هذا فقط يربع. الانسان. الانسان نفسه يتقوض مع ما يتقوض.. نجدة! نجدة! لينهدم كل شيء الا الانسان يا احبتي.. تماسكوا، صونوا الانسان في جلودكم. انت في جلدك، وانا في جلدي، لن يرتدي احدنا جلد الآخر، لن يعيره، مع ذلك فكلانا في جلد واحد، جلد الانسان المهدد بالانهيار تحت ضغط الانهيارات الهدامة حولنا، بنينا قليلاً على أنقاض كثيرة كثيرة. لنهدم! هذا حسن. لكن، لبنن ايضاً، من يبني؟ لبنن الانسان الذي يبني.. احدى مهماتنا الملحة، أحبتي، ان نبني البناة. بناة عالم نستعيز عنه بالعالم المقوض.

المدار الاخير العدد (٨٤٧) - الثلاثاء ٢٨ ايلول ١٩٧١

مطالب مهمة

شمس.. كلمة.. حب.. هاهي حياتي تختصر ذاتها ومطالبها في مطالب ثلاثة.. الشمس بمعناها الحقيقي.. فدعوها تشرق علي كما هي.. هل تقمصت - يوجين^(١) - في عصر الكهرباء؟ لأدري. والكلمة نبغ يتدفق، صافياً صافياً.. صافياً.. من تحت صخرة ملساء، ويسبح على وجداني.. فدعوها تدفق كما هي.. هل تقمصت - الحلاج - في عصر غوران^(٢)؟ لا أدري. والحب ارتعاش يعيدني الى الاحساسات الساذجة للخلايا البسيطة الاولى.. فأشعر بقرابة الطحالب والأشجار السامقة، بقرابة الامييا والمحار وخيار البحر، الفيل.. والانسان. كلنا أقرباء في الطبيعة^(٣).. هل تقمصت - غاندي - في عصر تشريح قلب الانسان واستبداله؟ لا ادري. لا ادري. الا ان جهلي ليس مبرراً كي تمنعوا عني مطالبيني الأساسية.. شمس.. كلمة.. حب.. هل انتميت الى - البيتلز -؟ لا ادري. الا انني أحبهم.. هل انتميت الى العجرب.. الى اللاجئين^(٤) من أخطار الفيضان والزلازل والحرب والمجاعة والعنصرية؟.. ممكن ذلك، الا انني أحبهم. ادري جيداً بانتمائي الى الكورد في كل مكان. والى البشرية جمعاء.. ومطالبيني الثلاثة هل تتحقق؟

(١) فيلسوف يوناني كان يحب البقاء وحده صامتاً تحت أشعة الشمس.

(٢) شاعر كبير بدأ منذ الأربعينيات حتى ستينيات القرن العشرين.

(٣) لحظة يقظة تعيدني إلى جذوري في الكون والطبيعة بأعتبار كل الكائنات أقرباء
واشقاء لي.

(٤) صرت لاجئاً بعد ذلك بثلاث سنوات!

قصص قصيرة جداً

١

قلت لي: بابه! أنا جائعة يا بابه! لم يكن عندي ما أقدمه لك فرحلت عني وصوتك الملائكي يرتعش في ذهني، جائعاً.. بنيتي! حين تجوعين فان ثورة الجياع تجوع في داخلي..

٢

عصافير فكري تفرزق في رؤوس الآخرين. قال: انت تطيل الحديث أحياناً حتى يصير مملاً، فلا نقدر على متابعته. وقال: أما بعض حديثك فيسري في الذهن بطيئاً، لكن عميقاً راسخاً. ثم طلب أن أدله على سبيل ينفذ به الى فكري، حراً من أسلاك الغموض. قلت: يا صاحبي! اغتسل صباحاً بعد رياضة بدنية خفيفة، ثم تأمل السماء. سماء الخريف، فكر ان ليس هنا سوى أجرام لا نهائية. ثم تأمل الارض وفكر: ان ليس فيها سوى مادة في حركة.. مهلاً! ليس هذا طقساً.. ميزتي الوحيدة هي انني بلا طقوس.

٣

رجل مستقيم من الجيل الأول يتأفف من أيامنا ويفسر الأحداث حسب مفهومه الخاص قائلاً: - تنهار العلاقات الاجتماعية طردياً مع مرور الأيام، سابقاً كان المعارف الأصدقاء قليلين لكنهم كانوا صادقين حقيقيين. وكنا نستشعر قوة الصداقة في المصاعب. اما الآن فقد تزايدت معارفنا وزادت علاقاتنا بأناس أكثر ولكن ندر الأصدقاء الحقيقيين، وغالباً ما يرى المرء نفسه وحيداً.

الانسان غاية أم وسيلة؟

لا تعني اسئلتنا شيئاً بالنسبة الى الطبيعة، انها تعمل وكفى. فالأسئلة هي ابتكارات انسانية، نطرحها على انفسنا كصيغ تساعدنا على التوجه نحو العالم وكشفه. هل الانسان وسيلة أم غاية؟ ليس وسيلة ولا غاية، بل هو نتاج طبيعي للتطور العضوي على الأرض. فيه تكمن القدرة على التساؤل بفعل وظيفة دماغه الذي هو أعلى شكل من اشكال تطور الطبيعة على الارض. فالتفكير صفة من صفات المادة المتطورة. اما الكمال او ما نتوهمه من النزوع نحو السمو، فأمر ثانوية لاحقة نشأت نتيجة وجودنا، وليست سبباً لهذا الوجود^(١). أي: اسئلتنا ومطامحنا هي نتائج الوجود وليست سببه. فنحن لسنا وسيلة لأي شيء، لتحقيق أي شيء، كما لسنا غاية بحد ذاتها، ولا غاية مسبقة.. ولكن تطور الوعي الانساني الى المرحلة الراهنة جعلنا نفهم بعض جوانب وجودنا، وولد ما نسميه بالوعي الذاتي. فصار بإمكاننا أن نعي اهدافاً معينة نضعها امامنا باختيارنا ورغبتنا، بناءً على دراسة واقعنا وامكانيات تطور هذا الواقع. سنبقى نحن من نحن، حتى تظهر أشكال أخرى من الحياة العضوية أجمل أو اقبح.. أحسن أو اسوأ.. مع اتخاذ الحيطه والحذر من هذه المقاييس لأنها نسبية، ومن مبتكرات الوعي الانساني فحسب.

(١) أراني هنا مازالت أنكر كون الوجود قد وُجد، للوصول الى الكمال... فصورة هذا الكمال لم تتضح عندي بعد.

المدار الاخير العدد (٨٥٤) - الاربعاء ٦ تشرين الاول ١٩٧١

صفر - صفر = ؟ (كفلسفة المعدمين)

قريتي الصغيرة: ايلول ١٩٦٢ صديق لي، فلاح فقير يقترب مني كلما يراني اقرأ فيبتسم قائلاً: - انت اناني! - كيف؟ - تقرأ لوحك، ولاتعلمني شيئاً مما تقرأ. فيشعرني بالخل بمنطقه البسيط الحاسم، فأشرح له بعض ما قرأت. كان على ذات يوم أن اشرح له المفهوم القائل ان العامل حين يناضل فانه لا يفقد سوى قيوده^(١). لم يفهم صديقي رغم تبسيطي الموضوع ما أمكن. فابتكرت مثلاً صغيراً من حياته، قلت: - انت الآن فقير، لا تملك أرضاً ولا أدوات حرث وحصاد وتعمل أجييراً لغيرك. انت غارق في البؤس. فاذا طالبت بحقك في الارض، سيكون أمامك سبيلان: اما ان يخيب الطلب وهذه الحالة لن تفقد أرضاً، لأنك اصلاً لم تملكها.. او يتحقق الطلب فتكسب أرضاً.. صاح جذلاً: فهمت! فهمت! قلت: أما شأن العامل فلا يتعلق بقطعة ارض صغيرة، بل حين يكسب طلبه فانما يكسب حياة انسانية حقة. ومن الطريف انني جويته يوماً لأشرح نفس المفهوم لمجموعة من الطلاب فتعذر عليهم فهمه في البداية، كنت عاملاً آنذاك، فتذكرت تجربتي مع الفلاح فقامت معهم بتجربة مماثلة مع تغيير بسيط، قلت: - انا الآن عامل صفر اليدين. لنقل: انا صفر في الحساب. ان لم اناضل فسأظل صفرًا وتظل ايامي اصفرًا. وازافة اصفار الى اصفار تساوي الصفر وان ناضلت شجاعاً مقداماً فسيكون امامي احتمالان: اما ان افشل، فأعود الى الصفر.. وفي هذه الحالة لن افقد شيئاً. او ان انتصر فأكسب الحياة الجديرة بان تعاش.. فماذا افعل في هذه الحالة؟ صاحوا مرحين: تفقد الصفر. قلت: اما العامل فيفقد قيوده.

(١) مقولة لكارل ماركس.

المدار الاخير العدد (٨٥٧) - الاحد ١٠ تشرين الاول ١٩٧١ (٢)

في النضال متسع للجميع

١

في النضال متسع للجميع.. اجل! طفلي، يا رفيقتي الصغيرة. النهار مخملي شفاف. - النهار الأول السجين افرج عنه البارحة- حتى العاقول والخرنوب والطرطوحة^(١) الخضراء.. تبدو عوالم طفولية زاهية.. ونزلت الى الميزل. أحفر. ادوس التراب الرطب النقي مجرفتي تسلق الحفرة من الداخل كالخيار.. ينبس ماء تحت قدمي.. ها قد بلغنا عمق ثلاثة امتار سنعود الى المدار. فأعود الى ردهتي في ضاحية المدينة.. حيث المزبلة المحروقة تحوم حولها كلاب وخمس صبايا ينبشن كومة جديدة ملقاة^(٢).. اعقاب بامية، وفتات صمون، واوراق.. صغراهن -حافية.. تلبس من الوحل الأسود نعلين- قلت لها: ماذا تعملين بالبامية.. صغيرتي؟ - تطبخه أمي لأخوتي! اجل! طفلي.. حتى انت اسعد حالاً حتى أنت انعم بالأ.. وفي العالم صبايا اشد تعاسة وحرماناً.. جائعات الى أعقاب بامية وفتات صمون.. ينبشن المزابل.. مزابل يطرحها بعضهم. يعيش عليهم بعضهم. يمني قدمي صغراهن مجروحة. تعرج.. طريقها: بقايا زجاج مهشم.. وتك وحديد. وشوك، ووحل، وجوع. اجل! -يا طفلة الشوق- خمس صبايا على المزبلة. تقول لي ذلتهن: - لو اجتمع جميع مناضلينا، جبهة واحدة. تصوري! جميع مناضلينا من كل دار وعنوان. لبقيت -رغم ذاك- متاريس خالية من مدافعين. خنادق بلا مناضلين.. سيظل في النضال متسع لآخرين. آخرين.

(١) نبتة برية في مناطق شبه صحراوية تختزن الماء في اوراقها وأشواكها، تتغذى منها الاغنام والجمال، وهي نبتة فصلية.

(٢) مشاهدة واقعية.

المدار الاخير العدد (٨٥٨) - الاثنين ١١ تشرين الاول ١٩٧١ (١)

في النضال متسع للجميع

٢

في النضال متسع للجميع.. بنيتي أشواقى.. يا طفلة الشوق.. وحبى محرقة
المزابل في ضاحية المدينة، محجة كلاب. وخمس صبايا ينبشون أكوام الخرق
والعلب، والضمادات المريضة الروائح. شاهدتهن يملأن زنابيهن فتات صمون..
وأعقاب باذنجان.. شاهدتهن -حبيبتي الصغيرة- بعيني هاتين. عيني اللتين
تقبلينهما في الوداع عيني اللتين -غداً- يأكلهما الدود بعيني شاهدتهن، يلبسن
عار البشرية. يملأن الزناويل اعقاب باذنجان. - يا خجل الانسان على المزبلة-
ما اوسع جبهة النضال! العالم المزبلة.. فسيح ملء امتداد البصر. بحيث، ان
لكل مناضل مكانه ومتراسه ليناضل ملء الهدف والرغبة ملء الحب والشوق
والحنين. ومهما ازداد المناضلون غداً.. سيظل في النضال متسع لآخرين.
ساحات مهجورة تنتظر آخرين^(١).

(١) اشارة الى احتكار "النضال" من طرف واحد يمنع الآخرين من ممارسة حقل العمل
والنضال ضد الفقر والبؤس... هذا الأحتكار الأناني شكل للدكتاتورية، مثلما
يحاول البعض منع أي انسان آخر للأبداع في مجال ما...

المدار الاخير العدد (٨٥٩) - الثلاثاء ١٢ تشرين الأول ١٩٧١ (٣)

في النضال متسع للجميع

٣

أحرق العمل كسلي وخمول السنين اذ نزلت الى المبزل أدوس التراب النقي الرطب؟ وانشوتاه^(١)! - أصارع التراب العدم وجهاً لوجه يغوص معولي في جوفه ويجرفه الى أسفل يتكوم تحت قدمي مستسلماً، ويسيح العرق ممتزجاً بالطين. اخرج الى السطح.. الى هواء نقي يهب من البستان انزع القميص المبلل فالفانيلة، وأشرب ماء ثم كوب شاي ويهبط الآخرون.. يطرحون التراب خارجاً تصمت حولي السماء، النهار المخملي الشفاف وأشجار كثيرة غير مشذبة انهر عديدة تنتظر الكرى. ادغال. عاقول. خرنوب أراض تعانق الأفق، حبلى بالانتظار كم؟ وكم من مناضل سيشذب كل الأشجار؟ سيكري كل النهار؟ يضاجع الأراضي العذراء؟ مائة؟ ألف؟ ألف الف؟ أليس جميع مناضيلنا - طفلي - جميع رفاقنا الثوريين، التقدميين، أعجز - حتى مجتمعين - عن المهام الكثيرة جداً، مهام الكرى والحفر والعناية بالأشجار؟ فكيف ببعض الرفاق.. منفردين؟

(١) يوم من عمل يدوي.

المدار الاخير العدد (٨٦٠) - الاربعاء ١٣ تشرين الاول ١٩٧١ (٤)

في النضال متسع للجميع

٤

نهاري مخملي شفاف، وغنم يسرح قريباً، وراعية تكتسي عباءة سميكة. وقرى
واطئة الاكواخ -طينية- تحاصر المدينة. تصوري -يا أبنتي- ان بنايات
السجن الحديث أجمل من القرى- وخمس صبايا ينبشن المزبلة المحروقة، بحثاً
عن بامية وضمون. -من أجلهن واثت سأعيش- وأجبل النظر في النهار الشفاف
واري -يا طفلة الشوق.. رفيقتي!- كم هي واسعة جبهة نضال الطيبين، بحيث
ان ما ينبغي عمله، ما ينتظر الولادة، ما ينتظر البناء.. هو دائماً أكبر من قدرات
مناضليتنا. اعظم من استعداد مناضليتنا أعمق من تصورات مناضليتنا وبعض
الرفاق -يا بنيتي- يحتكرون النضال عن طيبة.. عن رغبة في تحقيق كل أمر..
منفردين واستباق الآخرين في ايصال الماء للزرع. يحسبون المسافات القصيرة
امامهم هي الجبهة الوحيدة.. كل جبهة النضال. وان نظروا من مرصدي سيرون
عن يمينهم متاريس خالية من مدافعين وعن يسارهم خنادق على من مقاتلين
وخلفهم جبهات لا مقاتلين فيها^(١) وتمتد أمامهم جبهات لا نهائية، جبهات تنتظر
آلاف آلاف المناضلين كي تجري الحياة عذبة في نهرنا الذي كريناه اليوم
سيقولون آنذاك: يا رفاق! يا -رفاق النضال من كل دار وعنوان يا رفاق النهار
المخملي الشفاف اليكم معاولكم، بنادقكم، خنادقكم. لنعمل معاً. لندافع معاً.
لنملاً الجبهات الخالية مناضلين. أجل، طفلي، يا شوق مناضل. سيكون هذا
النضال^(٢) محرقة للمزابل.

(١) تعبيراً عن ان جهة واحدة، مهما أوتيت من قوة، عاجزة عن تحقيق الأهداف في
الحرية، وهكذا كان بعد بعض الوقت وتبين مدى عمق هذه المحاولات الفردية
الأحتكار للعمل!

(٢) المشترك الجماعي الحر.

المدار الاخير العدد (٨٦١) - الخميس ١٤ تشرين الاول ١٩٧١

لمن أكتب؟

١- قراءة: أكتب لمن لا يقرأ. أكتب لمن لا يجد وقتاً للقراءة.. بمعنى: ان الذين أحبهم واكتب لهم واتمنى ان يقرأوني.. يجهلون القراءة^(١) فهلا يصلهم حديثي. والذين يقرأونني غارقون في أوهام لاحدود لها. والذين يتأففون من العمل بينما يجنون كل ثماره..انما يستغلون جهل اولئك وغفلة هؤلاء. ماذا يجدي ذكر هذه المتناقضات البديهية؟ هل نرى فيها صورة من التناقض بين العمل الفكري واليدوي؟ بمعنى: ان المنتجين لا يتمتعون بثمار الفكر والعمل. والمتطفلون غير المنتجين يتمتعون بأشهى الثمار!

٢- المرأة سيدة طيبة تقدم مجلة تلفزيونية للمرأة. تخاطب الأم والزوجة والمرأة، أية امرأة. لكن أي امرأة بالضبط؟ التي تمتلك جهاز تلفزيون، والتي - بالبداية- تملك امكانية التمتع بالكهرباء وخدماتها. وماذا يجدي ذكر هذه المفارقة؟ هل نستشف منها حرمان آلاف النساء؟ أم الفقر الذي يحول دون شراء جهاز تلفزيون؟ أم تحريم النظر الى البرامج التلفزيونية^(٢)؟ أم كل ذلك مجتمعاً؟

(١) هم بسطاء الناس من كادحين ومعذبين في الأرض، وهم المحرومون من القراءة والتعليم والمعرفة.

(٢) هذا التحريم كان موجوداً في بعض الأماكن... وربما مازال بعض الشيء.

انتهاك براءة

١

براءة العالم تنتهك. أفترقد اشياء عزيزة كثيرة. انا انسان بريء يصعب تدجينني. فنقاوم. -يزحف الحديد والبلاستيك والدخان-(^١) اقاوم تحول العالم في ذهني الى سماء ملوثة بالدخان، والصديد، والمياه القذرة. والمدن المكتظة ذات الأحياء التنتنة. ويظل جليد الحديد والبلاستيك زاحفاً. التجيء الى البرية. للمرة الاخيرة اتمررد. يستحيل تدجينني هذه المرة. هل ارتد الى الكهف؟ ماتزال اقماطي هناك. أماه! التجيء الى ظلال مهدك العتيق.

٢

حصار يحاصرني الخوف.. ضغط خاطيء على الزر الاحمر(^٢). وتنتهي اشياء انسانية عزيزة. لحظاتي مشنوقة. مهددة، مطاردة والخوف لايرحم ادري ان الانسان في جلدي. في جلدك. في جلود الجميع. يقاوم، يتمرد. الا ان جدتي قالت في حكايتها الاخيرة: يموت التنين بالقبض على روحه، وروحه عصفور حبيس في قفص، والقفص وراء سبعة ابواب. أمام كل باب غول او ثعبان بسبعة رؤوس. ولايخترق الأبواب سوى الشجعان.

(١) كانت بداية عصر تلوث البيئية.

(٢) الزر الاحمر، هو الزر السري الذي كان، ومازال، يملكه زعماء موسكو وواشنطن، حيث يمكن لأي منهما الضغط على هذا الزر لتدمير الكرة الارضية بحرب نووية ماحقة!

مسألة امكان

هناك دائماً ما ينبغي تعلمه.. وما ينبغي عمله.. هناك دائماً ما يمكن تعلمه.. وما يمكن عمله.. وما -ينبغي.. يختلف عن ما- يمكن.. وبينهما مسافات قصيرة الا انها مهمة. اجتيازها قفزة نوعية. ال-ينبغي- قد يكون مفروضاً من الخارج ايضاً. اما -الامكان- فهو ماكتشفه بأنفسنا في ذواتنا. الامكان هو الانسجام مع الارادة الانسانية.. فينا كلنا قابلية امكان رائعة.. وما لم نستخدمها تذوي وتموت، فمن يمنعنا ويحاصرنا؟! الكسل وعادة الخمول والاتكال؟ أم تصوراتنا؟ أم جهلنا بقدراتنا؟ أم مشاغلنا اليومية؟ أم.. كل ذلك مجتمعاً؟ هل هناك سلك طويل عال شائك يحيط بنا محاصراً؟ احدنا يقول: هناك من يفكر عني فأقرأ، واجني ثمار فكرهم. ويقول آخر: هناك من يصنع ويبني، فاستمتع بما ينتجون. وينتظر كل منهم الآخر.. عينه على أيادي الآخرين.. وسالوفة الكسالى معروفة. حين ابوا ان يعملوا. قالوا لهم: حسناً! نضعكم في دار للعجزة وما عليكم سوى ان تاكلوا فقالوا: هل نثرذ الخبز بانفسنا؟ قالوا لهم: طبعاً! قال الكسالى: هذا ايضاً عمل متعب. فجمعوهم الى البحر والقوا بهم في الماء واحداً واحداً. وحين اشرفوا على الغرق صاح احدهم مستنجداً. قال احد اصحابه: بالله عليك! اصرخ عوضاً عني كذلك! مسألة السباحة ونثرذ الخبز والعمل وبناء مدن جديدة. مسألة امكان لاغير.

تابوت

قال: هل ترى ذلك الماشي؟ قلت: من؟ - ذاك الذي يمشي على رسله. لا يلتفت
يمنة ولايسرة. - أجل! تبينته يمشي مشية هندسية بزوايا ومسافات محددة.
سعيد، وجريء. ثم انه حر لا يخاف شيئاً. - كيف؟ كيف! - لا يحمل أفكاراً. -
افكار؟ حقاً.. لا ارى شيئاً منها على ظهره.. - لست أمزح. اعني: هو لا يتحزب
لأحد. ولا يتدخل في أي أمر. - تدخل؟ لم أفهم معنى ذلك. - أعني: هو لا يدعو
الى أي شيء. لا يريد شيئاً. يكتفي بما هو فيه. - أه. أظنك تعني انه لا يفكر.
لا يتكبر. لا يدعو الى جديد. ولا يبحث، فهو خائف من الخوف. - ومن المشاكل
ايضاً. - ارى ذلك. تابوت محكم الاغلاق يمشي. - ماذا قلت؟ - لاشيء. - بلى!
سمعتك تشتمه. - من يجروء على شتم الميث؟ - ام م م! ام م! انت. انت الذي لم
تزل مريضاً بجنونك. - ليس على المجنون عتب.

المدار الاخير العدد (٨٦٧) - الخميس ٢١ تشرين الاول ١٩٧١

تفسير أحلام

الحلم الاول، أراني في بستان، تلتف سيقان الكروم حول جذوع وأغصان اشجار التوت، وتتدلى عناقيد عنب بحبات كبيرة حلوة.. وأراني اقطف العنب فاكل وأطعم آخرين. قال صديق مفسراً حلمي: تكسب خيراً وفيراً يعم على الآخرين ايضاً. وقال آخر: العنب فاكهة الجنة.. ستصيب حياة سعيدة. والله اعلم! الحلم الثاني: هانذا في قريتنا الطيبة. يزرعون عباد الشمس على جانبي الطريق الطويلة المارة بالقربة. رحح ابذر البطيخ بين كل نبتتين لعباد الشمس. ثم في نهاية الطريق غرست غصني زيتون. قال احدهم مفسراً: منذ طفولتك تعيش لغيرك. انت تزرع وغيرك يأكل. لم تجن بعد ثمرات ماغرست. سيكون لك امران مفرحان في النهاية. وقال آخر: الزيتون شجرة مباركة. والله اعلم! سيصير لك فألان حسنان. والزيتون من اشجار الجنة. انت طيب. تحب ان يسعد الناس في ظلال اعمالك. والله اعلم! الحلم الثالث: كلب ينبج. اطرده بعصاي. الحلم الرابع: ثعبان اسود هائل يقطع الطريق على قافلة. اتناول صخرة كبيرة واقصم ظهره. ثم اتناول مساحة واثرم رأسه في ضربات متتالية. ادفنه في اساس كسور قديم لبستاننا الصغير. الحلم الخامس، السادس. العاشر. احلامي واضحة، شفافة. واستفسر عن مغزاها، هل تنبيء عن شيء ما؟ هل تعني فالاً أو، ماذا؟ اشياء عزيزة نمارسها. اشياء عزيزة لانريد فقدانها. يقول الوعي عن الاحلام: انها الحياة اللاواعية. ويقول اللاوعي فينا: الاحلام انواء وجدانية. ومازلنا بين بين... نتلجى الى مفسري الاحلام ونفرح ان كانت معانيهم جميلة ومشبعة لبعض الحرمان فينا.

المدار الاخير العدد (٨٦٩) - الاحد ٢٤ تشرين الاول ١٩٧١

وجد

١

وجد يمرق القطار^(١) يلهث بلا دخان.

يقول: دعني. اسرع. قد يفوت الأوان. تهرب الحقول والاشجار والصلبان،
تنفلت الاعمدة، راقصة، تمرق الارض، بل يمرق القطار، سريعاً. سريعاً يلهث
بلا دخان. لو يتوقف لحظة. أعانق الأشجار والثم الأحجار وتمسح بالنسيم
واضرع الى الشمس وأسجد للتراب، فارقص ملء جسمي واغني ملء الرغبة،
واغيب ملء النشوة، وتدور بي الارض. ترتعش بي الارض. تميل السماء وتنقلب.
تطير الاشجار والاحجار، ويدور بي الرقص والغناء والنشوة يقتلعني الدوار،
اسقط غائباً عن لهاث القطار..

(١) سكة حديدية للقطار كانت تمر بالقرب من قرينتا حتى ان صفيير مرورها اليومي
مرتين كان بمثابة ساعة لضبط الوقت. كنا نتمتع بمشاهدة عجلات القطار وهي
تدور سريعة.

وجد

٢

هاجس يغويني، ينفخ في الكون. يرعشه، ويوقظ في جلدي المجهول، أطيّر
رائداً بلا مركبة بلا مظلة أمان.. يحفر الهاجس النداء الحميم عمق المجهول ينقب
في القاع، يفتت الصخور، يفجر القبور، يبحث عن نبع العذوبة، ويعبث باعماقي،
بالأرض العذراء.. يستنطق فيها صورة، ينحت عليها وجهاً حبيباً غائماً يجلو عنه
الضباب، يطل وجه رقيق يبسم لي: لاترهب، انا طفلك الثاني.. تعال نلعب! الهي!
كم في جلدي من انسان!

المدار الاخير العدد (٨٧١) - الثلاثاء ٢٦ تشرين الاول ١٩٧١

وجد

٣

تعانقني أشواق، تحاصرني أحداق. - تعال الينا. - لا، بل الينا ارحل والنداء
ابداً من كوردستان. اسكب القطر الشافي في عيون الأطفال. أضخ الشهد في
الوديان ويخطفني النداء: - اسرع. اسرع. فات الأوان ينتفض في جناحي
الريش. اطيير عبر البحار: الحروب والمجاعة والدمار ارش عليها السلام املاً
البحار خبزا اطعم الاسماك خبزا اهبط في افريقيا الخضراء الطبال يرعشني.
وتخف بي قدماي اغزو البحيرات السوداء امسح عن الوجوه سواد المجاعة
والحرمان واجلو عن جمال السواد عن طيبة السواد في لون الشعر والخوف..
في جلد الانسان.

وجد

٤

اسراب زاغ وكناري ويمام تسبح في الشفق البرتقالي والغيوم والسماء،
ميعاها الشفق وبساتين عذراء.. نصف دائرة من غيوم، قطرها الافق.. شفافة
هي الغيوم، وردية، بيضاء، رمادية.. ميعادي الشفق. - جناح طاووس برتقالي
الريش - تسرع بي الارض تقربني من النور. تعرضني للضياء. - اشريقي يا
شمس. اشريقي يا شمس تتورق الغيوم.. يتورد الشفق ويصير اصفر اصفرار
الام في اخير المخاض. اصفرار الخجل امام عار الاستغلال. - اشريقي يا
شمس. اشريقي يا شمس^(١) تسرع بي الارض نحو الضياء.. ليموني هو
الشفق.. وسفع بالبياض تصمت الغيوم والاسوار، وتنقطع انفاسي. - اشريقي
يا شمس. اشريقي يا شمس تطل اترجة شديدة السطوع. شديدة اللعان..
فاستيقظ.

(١) التطلع الأبدي نحو موطن النور.

المدار الاخير العدد (٨٧٣) - الخميس ٢٨ تشرين الاول ١٩٧١

قبضة الجوع

قبضة الجوع يمر بآع الحلوى، فيسيل لعاب الأطفال، فيبكي طفل، يطلب الحلوى، قطعة حلوى، نفاخة، دمية، فماذا ينال؟ تقول أمه: اسكت يا ولدي. ثم يبكي الطفل ويحك قدماً يقدم ويصر، فماذا ينال؟ تنهال الام بقبضتها على رأسه: اصمت. من اين لي بالثمن؟ يعاود الطفل البكاء، ويتكي على الجدار، يمسح لعابه، ومخاطه بظاهر كفه، فماذا ينال؟ تضربه الأم بقبضتها على كتفه وظهره، فأية قبضة هذه؟ انها قبضة الجوع. الجوع يجعل حتى الأم بوليساً، وذنباً، يطارد رغبات الطفل الذي يبكي حرمانه، يقمع أمنياته الصغيرة بالسوط. في قبضتها سوط الاستغلال. علمها الفقر، كما علم جدتها الأتعس، قال لها: - هاك السوط اضربي واقمعي كل رغبة جامحة. علمها الجوع الاستبداد بمطالب الطفل المفطوم منذ شهرين. باب جديد يفتح على لحد الانحطاط، حدث الفساد الذي تهوي اليه الروح الانسانية وماذا تبقى في هذه الأم التي تعذب حبيبها؟ ضربته بقبضتها، قبضة التقاء المتكلس في الوجدان وكأن هذه القبضة تقول: - اعذبك يا ولدي، لفرط حبي لله ادري انك جائع وعلى حق. الا انني يا حبيبي احبك فاخشى عليك من الغد حين تصير صبياً ففتياً ثم شاباً فتجروء على طلب اشياء أكبر من الحلوى والدمية والنفاخة. اعلم يا ولدي يا قلبي، ستنهال عليك - حينذاك- ضربات لاترحم، وستذكر ارق الضربات، ضربة أمك الحنون، لأنني - يا ولدي- لا اريد موتك مهما كان ومضطرة -مع ذلك- الى تنمية الاستعداد فيك لتحمل ضربات اشد واعنف. اياك ان تطمع في الشبع والرغد اذا كنت ترغب في ان تنجو من العقاب!

المدار الاخير العدد (٨٧٤) - السبت ٣٠ تشرين الاول ١٩٧١

أشواق ملوثة من كردستان

يهوي الحطاب بفأسه على غصن بلوط ويئن.. تجمع الصبايا الأغصان المقطوعة ويحملنها حطباً على ظهورهن. ايتها الشعاب الجبلية المنزلة على السفح نحو القرية يا كردستان الخير والمطر والأغنية تغني الصبايا لنايات الرعاة، وطلقة بندقية صياد بتربص بالأيل، والقبج والغزاة. يا كردستان السحر والجمال والفداء والسلام، تغيب وراء القمم الشامخة غيوم بيضاء تحتزن للشتاء زرقاة العذوية في السماء، خضرة أعين الحطابات يغنين لقبرة المساء، للقبج الصداح على أعلى صخرة، لموعد دبكة العرس والحناء... سيعود الحطاب مستحماً في عرقه. ويدبك مع شيرين يدق الطبال جذلاً. وتشعل الفوانيس وتكتحل الحطابات لموعد في دبكة -شيخاني^(١) - يا كردستان الشوق والحب والرغبة.. ترفع الجبال اكفها بالدعاء ان تعرس -شيرين^(٢) - في خريف مقبل... ان يعود الخريف بالرجاء، ان لايجوع صياد. ويدفأ الشتاء. كل شتاء وتمطر الغيوم - وحنان تغسل رضيعها - تهطل طوال الليل، ملء الشتاء ملء الشتاء.

(١) دبكة شعبية كردية، كثيراً ما يؤدونها في الأعراس.

(٢) أسم شائع في كردستان، كناية عن العاشقات، منتظرات فرسان الخيال.

عذر شاطر

من السهل جداً اقناع البسطاء الطبيين بأسباب عدم تحقيق مطالبهم. كأن تقول لهم: الله كريم! هذه قصة قديمة لفلاح تردد على القصبه للحصول على دفتر نفوس ولده كي يسجله في المدرسة. قال مأمور النفوس: عد غداً. جاء الغد فقال المأمور: عد بعد شهر. ستحصل عليه انشاءالله! مضى الشهر وفات العام الدراسي على الولد البريء، فعاد الفلاح، قال المأمور: - ليست السجلات عندنا اليوم عد بعد شهر، الله كريم! اقتنع الفلاح فعاد بعد الشهر الاخير.. فقال المأمور: - عد يوم الجمعة المقبل. اجلب معك ديكاً الى بيتنا واستلم الدفتر. الى هنا لم يعلم اهل القرية بالقصة بعد. ها هو يوم الجمعة في مقتبل الشتاء ونحن على كنبه طينية طويلة امام الباب الواسع العالي للطاحونة. واذا بصاحبنا (.....) يسلم علينا، ماراً بنا، ويمسك بديك مقلوباً من رجليه قلنا: خيراً؟ سرد لنا الحكاية بفرح. قلنا هل انت واثق من حصولك على الامنية؟! قال: الله كريم! لما اخبرناه ان اليوم جمعة. وفي الجمعة تتعطل الدوائر. ولئن ذهب اليوم بالديك يجب ان يعود غداً ايضاً لأستلام الدفتر في الدائرة، فليؤجل السفر الى الغد - اذن- ليصطاد عصفورين بحجر واحد!! لما علم ذلك قطب جبينه ويصق على الارض، قال لنفسه: - يا للحمار، كيف لم افهم كل ذلك؟ ثم تأمل الديك الوديع، قال أمن أجل ديك واحد فانت الدراسة ولدي؟ رفع الطير المسكين الى اعلى ما تصله ذراعه ثم ضرب به عنيفاً الارض.

ويقال: العذر شاطر. وينهض كيفما ترميه ولايسقط. بسط خلق الاعذار وتفسير البؤس، لايحتاج الامر سوى قليل من الشجاعة للكذب والتمويه. فالجهل عامل مساعد فعال لتمرير الاكاذيب والاعذار الشاطرة.. حين لا يكون بإمكان البسطاء الناس فهم وكشف الاسباب الحقيقية لتعرقل وتعثر مطالبهم صغيرة وكبيرة. تتفاعل احياناً تفاؤلاً وهمياً، مفترضين في الناس وعياً كبيراً بشؤونهم. والواقع اننا نجهل الكثير من أمورنا وشجوننا.

في حب العمل..

كنت اشق مبدلاً ضمن عمل كلفنا به -أنا وعدة زملاء- كانت مسحاني جديدة، تنزلق الى القشرة الرطبة للأرض بسهولة، فنهيل التراب على نفسها، قال أحد الزملاء: - انت مفخرتنا في العمل، اراك تعمل كأنك تعمل لنفسك. استوقفني المديح، ليس لكونه يكال لشخصي، بل لأن فيه تقيماً لميزة انسانية هامة.. لو صح ترسخها في سلوكي اليومي، لكان اشباعاً لأحدى حاجاتي الروحية. هل صحيح انني أعمل، وأتناول كل مهمة، كما لو أعمل لنفسي؟ بمعنى آخر: هل أحب العمل الذي يكلفونني به؟ أتمنى ان تكون لي في العمل رغبة الهواة في هواياتهم وشغفهم. انظر اليهم كيف يعشقون مواضيع الهوايات وينغمرون فيها، فيغيبون عن الوجود، فالأنسان يجيد ما يحبه. والواقع الراهن بعيد عن ان يمنحنا جميعاً تلك الأعمال التي نحب ممارستها. متى يتحقق ذلك؟ الانسان والعمل.. شيء واحد. اذ بالعمل تطور الانسان وصار ما صار، والعمل هو توجه الانسان نحو العالم، نحو خلق شيء ما، مادي أو روعي، لأشباع حاجاته الانسانية. وبمعنى أوضح: العمل هو تجاوز الانسان لنفسه باستمرار.. ومتى تنتهي ظروف الانتفاع من الملكية العامة لوسائل الانتاج، يصبح العمل جماعياً، والانتاج والتوزيع جماعيين كذلك.. فتحرر المجتمع من الاستغلال يحرر الفرد من عبودية العمل، عبودية التوزيع الطبقي للعمل وللمرة الأولى يمكنه العثور على العمل الذي يعشق ويرغب. بذلك تنشأ علاقة جديدة بين الانسان وعمله، ويتم انسجام بين ما يبذله من جهد وما يأخذه من منفعة. يصبح هو والعمل شيئاً واحداً حقاً، فتسود قيم الانسان.

صوت لفجر جديد

لايحق لنا أن نحزن، بنتي، حتى ان كنا جياً فقد تعلمنا كيف نتحرر من الجوع وهذا يكفي كي نناضل بدلاً من أن نكتئب
لايحق لنا ان نحزن يا بني، حتى أن كنا محرومين من الفرح. فقد عرفنا كيف نجعل العالم سعيداً وهذا يكفي كي نناضل بسعادة بدلاً من الانطواء على الأسي. لايحق لنا أن نحزن يا رفيقتي حتى أن كنا بؤساء، متخلفين، أميين، مرضى. هذا البؤس مؤقت زائل الفرح هو الباقي. هو الخالد لايحق لنا أن نحزن في عصر تحتفل فيه البشرية بالانتقال الى دار جديدة^(١). تتجدد فيها أصواتنا، وتنتعش كلماتنا بعد ذبول وخفوت. ومن خريف العالم القديم، يولد الربيع. ويتجدد اللهوة واللعب.

(١) هكذا كنا متفائلين رغم المعاناة...

عودي معي إلى التراب

أيها الجزائر السكران من دم يدفق...! أيها الجريح المغمى عليه من نزيف، أيها الحجر شاهداً على قبر بلا جثة أيتها الجثث الملقاة في الليل بلا أسماء أيها النهر والدغل والحشر أيتها المقرضة الطاغية. ايتها الأشلاء أيها العطش الى ماء أيها الجوع الى سماء الى سفرة مفروشة بأكلة شهية وفواكه من فردوس أيها الارق الى حبوب مهدئة -ولاداء- ايها العري والمشى الحافي والرمد والتيفوس أيها السل العاوي في صدور القرى ايتها القرى الفقيرة الدم ايها الوعي الجديد في ذهن فلاح معدم في ذهن راع وعامل وعاطل وخدم! ايها الظلام في شتاء الأحياء الموحلة ايها النور في الضمائر التواقه الى النضال ايها الحرمان من مدفئة ومهد جديد وفراش ايها الطفل المريضة امه بالمalaria والسعال ايها الحمام يهدده عقاب ايتها الصور التي يرونها قاتمة لأنهم لا يرون ايها الثبات، ايها الموت والخراب! ايتها الحقائق الموجودة ستظلين جديدة كل يوم.. وكما ناديتك تصبحين أكثر جده. لست اعبد وثن الخلود الوهمي للكلمة.. الكلمة من تراب أريدها ملء الحقيقة وحسب والحقيقة من تراب. ايتها الحقائق الميتة.. لتقبر معك الكلمات القاتمة. ايتها الحقائق الحية.. ايها الوعي والنضال، أيتها الكلمة التي يحنطونها في جمجمة وكأس ايتها الكلمة التي قدمتها لي جدتي معجونة مع الطين ايتها الكلمة.. انت من تراب.. فالحياة لك مع التراب، والموت لك مع التراب. عودي معي الى التراب.. الى التراب.. الى التراب.

المدار الاخير العدد (٨٨١) - الأحد ٧ تشرين الثاني ١٩٧١

لقاء المبدعين الخلاقين

لقاء المبدعين الخلاقين كلمة حلوة منك. كلمة حلوة مني، وتنطلق قوانا المبدعة وتتخفف أثقال كثيرة عن روحينا. كلمة جميلة منك. كلمة جميلة مني وينقشع عن اعيننا ضباب الشك، ونرى بعضنا جيداً ونفهم بعضنا أحسن.. كلمة مخلصه منك.. كلمة مخلصه مني، ونملك العالم في أكفنا ونعيد بناءه بارادتنا. كلمة طيبة منك. كلمة طيبة مني ونقترب من بعضنا ونلتقي في النهاية.. نستصلح ارضنا معاً.. ونبلط الشوارع معاً.. ونقيم -معاً- اعياد أيار ونوروز.. فنغرس اقدامنا في تخوم الوطن.. ويعود الينا الوطن كله.. ثرواته.. ربيعه.. نفضه.. ونصطاف جميعاً.. حين نخطو الى الأمام.. خطوتنا الأكبر.. حين يزدهر هذا الوطن.

نمل

نمل ينتشر نوع من النمل الأسود الصغير في أرض الغرفة. ويتوزع على الجدران وتحت الأفرشة وحول القدور والأواني. خطوط من النمل.. مواكب لاتنقطع. تعمل بلا ضجر. هل تفهم الضجر؟ قال أحد اصحابي: انه قدر. وحمل مكنسة. يبعد النمل عن نفسه عبثاً. قال آخر: دعه يجمع مؤونة شتائه. قال الأول: لكنه مزعج. قال الثاني: لا يضر. ولا يمر بأماكن قذرة فهو نظيف. قال الأول: يفتت صموننا ويأخذ منه. قال الثاني: ليأخذ قسطه. قال الأول: ما هذا التصوف؟ قال الثاني: سمه ما شئت. الا انني أجد ما يدفعني الى حب النمل ايضاً.. ليأخذ قسطه مادام يعمل. واحب منح الحرية للسمك في الماء. الحرية لكل حي. قال الأول: ساكتشف قريته؟ وأصب عليها النفط. وطال النقاش.. ولم يكن دوري سوى الاصغاء الى هذه المسرحية الحية. خطوط من النمل تمر أمامي مباشرة فقال لي الاول: - اكنسها.. اكنسها. لم أحرك ساكناً.. كانت احدى النملات تسحب ذبابة قتيلة، انضمت اليها نملة اخرى.. فاخرى.. وسحبت الذبابة مليمترًا.. مليمترًا. وفي هذه اللحظة كنت افكر بشكل آخر تماماً: فالنمل عندي رمز واسطورة.. وقصة. تذكرني ابدأ بالحقيقة القائلة: اعمل، اعمل ثم اعمل. وان فشلت كرر العملية ذاتها: اعمل، اعمل ثم اعمل. الست هنا اتحدث عن نفسي. وعن أي انسان آخر؟ هكذا فكر الانسان.

يختزل الأشياء الى رموز. ويستعين بالرموز ليفهم نفسه والعالم. والنمل تأريخ وقصة واسطورة. يعمل ابدأ. يذكرني بحقيقة الحياة وهي تتقدم ابدأ.. بحركة الانسان. حركة الجماهير. حركة المنتجين. حين ظلوا يبنون الحياة الانسانية ويرفدون هذه الملحمة الكونية وهم لا يملكون ما نملك اليوم من وعي. كانوا يعملون فحسب، بدون أن يعوا تماماً ما يعملون. فاذا بهم قد خلقونا نحن.. هم. الذين خلقوا بصورة عفوية كالنمل. فكيف بنا اليوم، وتعيش في كل مكان

قوى واعية تقود البشرية جمعاء بصورة منظمة؟ نحو حياة أفضل.. تقود العمل في كل قطر. كل مدينة.. كل قرية؟ هذه الحياة الانسانية الفضلى قادمة حتماً. القرية مأوى النمل.

كما الحياة

كما الحياة.. أن نعيش كما الحياة.. لاترى الشمس في منح الورق نورها اي فضل، ولايرى الماء في ارواء الجذور أية منة.. كما الحياة.. لاتسأل الأم طفلها ثمن الحليب.. كما الحياة.. يناضل البيشمركة^(١) ويضحون.. ويصمد المناضلون مع شعوبهم الى النهاية.. كما الحياة تماماً.. يصمدون.. كالجبال والبحار.. كما البحار.. يجري العرق الغزير على الصدر المشعر وتقلب المحارث الحقول الجرداء وتبنى العقول والسواعد المنتجة محطات كهرومائية.. لاجزاء ولاشكورا.. على أن تعود الحياة كل الحياة الى البشر جميعاً.. ويسعدوا.. كما الحياة.. ان يعيشوا.. وأن يبدع الفنان والشاعر والعالم ويعم النور جميعاً.. كما الحياة.. يأخذ كل كائن حاجته من الحياة.. وحاجته عن الشبع.. وحاجته من الفرح.. وكفايته من العالم.. أن يكون طول العمر وقصره فقط.. مقياس التمايز بين كمية السعادة.. كما الحياة.. ان تسيل السعادة.. كالفراشة وشلال كئي على بك.. كما الحياة نناضل.. بوعي وفرح رغم الحصار.. رغم الاحباطات.. اول من نعمل.. آخر من ناكل.. وكما الحياة ان تنزير كوردستان بالحضارة.. ويعيش شعبها مع شعوب الأرض في سلام.. أتمنى أن أكون.. وأن أكون ابداً..

(١) البيشمركة: مصطلح للفدائيين في كوردستان منذ ١٩٤٦ في مهاباد. وقد أصبحت الكلمة اسماً عالمياً مثل (الفيتكونغ في فيتنام)، وهي عندي كناية عن أي مقاومة ضد الاستبداد ومن أجل العدل. كان البيشمركة محبوبين لدى الناس خاصة فلاحي الريف حيث كانوا يتجولون، لأنهم كانوا نماذج للخدمة العامة مجاناً.

المدار الاخير العدد (٨٨٤) - الاربعاء ١٠ تشرين الثاني ١٩٧١

عائد

١

حجر ملقى في قعر قريب مني يرفض أن يظل حجراً فيستعيد صوته الأول:
صوت الانسان المنتمي الى الموطن الأزلي،
كيف ستصغون الى الصوت العائد؟ كيف تستقبلون العائد؟ حجر ملقى في
ظلمة محيط مني، يجمع أشلاء الممزقة ويبيث انساناً ينتزع قدراته المسلوية ثم
يحتل موقعه الاول في خط النار ويدفع بالقذيفة الى بطن المدفع الهائل المصوب
نحو الضحاك الاستغلال. كيف تصافحون المحارب العائد؟

٢

العائد الى العتبة... أيها الفجر. ايها الشجر ايها الحجر.. وصل موكب
المحارب العائد. أيتها المدينة الباسلة.. أيتها الشوارع التي من أعمدها يلتهب
الفجر! اطل المحارب من الأفق وحطم السور.. أيتها القرية الشجاعة..
عاد المحارب يسحب وراءه انهاراً من عسل وحقولاً من زيتون، والف جرارة
والف الف مصباح كهربائي.. انهضي ايها القرية التي تحرث بالخنجر، لتحفلي
بابنك العائد الى أكوأخك وأطفالك ومواشيك وأساطير شيوخك.. وأعشاش
السنونو المهاجر.. والمحاريث القديمة، والمناجل العتيقة التي حصدت الطاعون.
والأعراس والأدغال.. وشرارات الوعي الجديد.. ومواكب البناء الاوائل الذين
مروا من هنا وآثار أقدام الرعاة والصيادين والباعة المتجولين والعشاق
التائهين.. والثوار.. انهضي ايها المدينة.. انهضي ايها القرية.. انهضي ايها
الاجداث احتفلي بالعائد الذي غاب وما عاد الى الابد.

المدار الاخير العدد (٨٨٥) - الخميس ١١ تشرين الثاني ١٩٧١

التعصب أنانية

امس.. قبل النوم سجلت ملاحظات يومية عديدة منها: انني اصابني الغرور يوماً.. وتميزت بالمبالغة حيناً. وانعكس ذلك في اسلوبي باشكال انشائية.. وشاعرية رومانسية محقة.. ونزوع نحو التزويق والتفخيم. من الضروري ان نكتب الكلمة بحجم الحقيقة. ولا تتعلق هذه الضرورة بالأسلوب الفني فقط. بل انها اعمق.. تتعلق بالفلسفة. أشعر الآن بوضوح كم كنت مخطئاً حين استبدلت أشكال بدائية موروثة شائعة في المجتمع.. أشكالاً للتعصب.. استبدلتها بتعصب عقائدي. ومن آثار هذا الخطأ هو جعلى للفلسفة عقيدة جامدة بدلاً من جعلها مرشداً للعمل ونظرية خلاقية. منذ مدة أشعر ان ليس هناك ما هو مقدس بالمعنى الشائع^(١)، كنت أظن أنني لا أطيق العيش بدون -مقدسات-.. وبدون أن أشعر بالأهيار.. أنهض اليوم متماسكاً.

مؤمناً بمواصلة العيش متحرراً من أية عقيدة متعصبة.. وباحتاً في الوقت نفسه عن قوانين حركة الواقع بهدف الاستفادة من معرفتها لصالح تغير الواقع من أجل البشر. فالحياة تجري مرنة.. رشيقة والجمود العقائدي كقضبان السجن.. أجل! سجننتي اخطاء كثيرة أخرى. والتعصب أنانية، اذ لا بد ان تكون في سلوكي أنانية ذات جذور حين أندفع متعصباً.. وحدث ذلك فعلاً أحياناً، والأنانية تولد الغرور والاستعلاء. وحدث ذلك أيضاً. فبدلاً من جعل الفلسفة اداة في يدي استرشد بها في العمل وحل المسائل المطروحة.. جعلتها قيداً.. عصباً يمنعي عن الرؤية.

هذه هي جذور بعض أخطائي.. وأظن أن الواقع لا يحتاج الى ما نتعصب له. فلن نسيطر عليه هكذا. بل نسيطر عليه بمعرفة. يقول أحد الفلاسفة بأن قوانين العلم -سواء منها قوانين الطبيعة أو قوانين الاقتصاد السياسي- هي انعكاس

(١) مراجعة ذاتية للنفس ونقد ما كنت أتعصب له عشوائياً.

لحركة التطور الموضوعية التي تحدث بصورة مستقلة عن ارادة الناس. وفي
وسع الناس اكتشاف هذه القوانين ومعرفتها ودراستها وأخذها بعين الاعتبار
في أعمالهم واستخدامها في مصلحة المجتمع ولكن ليس في وسعهم تعديلها او
ابطالها.

المدار الاخير العدد (٨٨٦) - السبت ١٣ تشرين الثاني ١٩٧١

بقايا جليدية من حرب ساخنة

اتفاقية برلين الاخيرة.. والمحاولات الأشد الحاحاً، لتشويه قضايا قديمة تؤرق البشرية.. واتساع نشاط حركات السلم والصدقة بين الشعوب، مع تزايد وتعمق الوعي الاجتماعي العالمي -الاممي- بضرورة الحفاظ على النوع البشري^(١)، ودرء خطر حرب ماحقة..

هذه وتلك أشعة ساخنة تذيب بقايا جليدية قديمة موروثه من الحرب العالمية السابقة.. ومن التقسيمات الاستعمارية للعالم، ثمة بؤر مضطربة عديدة، كثير منها تعمدت الدول الاستعمارية خلقها بعد انسحابها من هذا البلد او ذاك، لأبقاء النزيف مستمراً..

كانت تخلف وراءها الغماماً عديدة على الحدود بين الأقطار المجاورة، وبين الطوائف والقوميات والأجناس، لتفجرها فيما بعد^(٢).. قال المفكر البريطاني - بالم دات- في بداية السبعينات أن سنوات السبعينات ستشهد ايجاد الطول السلمية لكثير من القضايا المعقدة الملتهبة كالزائدة الدودية، هنا وهناك، في جسم الشعوب.. وتبرز عبارات جديدة في الحديث السياسي، من قبيل عصر التسويات الكبرى^(٣) تحت ضغط الامر الواقع! الا أن هذا الامر الواقع هو ارادة البشرية. كثير من القضايا الملتهبة مجرد وسائل الهاء وتبييد لجهود الشعوب..

(١) الحفاظ على النوع البشري كان هاجساً متزايداً الألاح، وأصبح اليوم أشد حضوراً، لأن تلوث البيئة والاحتباس الحراري والارهاب... اضافة الى بقاء خطر الحرب النووية في أية حرب عالمية مقبلة، كل ذلك كابوس ثقيل يجثم على صدر الواعين الصادقين المستنيرين منذ الآن والى ان تحل هذه المشكلات.

(٢) كما هو الحال حتى الآن في العراق (٢٠٠٩).

(٣) بدا منذ ذلك الحين (عصر التوافق الدولي) الذي أنكشفت معاملة نهاية سبعينيات القرن العشرين.

ان حل مثل هذه القضايا سيمنح الشعوب امكانية أوسع لتشديد الصراع ضد الطغاة والتخلف والبؤس، وبناء حياة كريمة حرة. ان البشرية تشهد تحولاً نوعياً في شن كفاحها ضد الاستغلال.

١

قصيدة

انا مثلك -يا بنيتي- انتظر ويدي على قلبي والقلب على اليسار.. خقلتنا
الحياة بقلوب تنبض في اليسار..

٢

رواية

جدتي الان غائبة عني الى الابد. كانت في حياتها وأنا اكتب وأكتب بقربها..
تتأملني قائلة: - ساعدك الله يا ولدي.. الكتابة عمل شاق.. مثل حفر البئر
بأبرة.. - كيف ذلك يا جدة؟ - هكذا تماماً. انت تحفر بئراً بآبرة.. كانت أمية
وعلى أميتها كان تصويرها ممتازاً وشيقاً وكأنها تقول ان الصفحات -مهما
كثرت- تكتب حرفاً حرفاً ونقطة فنقطة.. ومهما طالت السطور لابد أن نرسم
جميع اشكال الحروف. يا لها من ابرة فولاذية! وقد يتعد قعر البئر لكن الأداة
تظل ابرة صغيرة.. نفس الابرة الاولى التي صنعها انسان، الفخار والنار
والطين للتعبير عن نفسه بالرموز. ويمكن أن يهون الأمر لو اكتفيت ببئر خاصة
أمتح منها لنفسى فقط.. لكنني بعد حفر عدة امتار رحت أتطلع الى بئر أعمق
وأوسع وأغزر ماء يكفي للناس أيضاً.. وتتسع جبهة المعركة.. جبهة تفجير
الينابيع العذبة.. حين نصبو الى كنس الأحداث التي أفسدت حياة جدتي واجيال
جرارة خلفها وأمامها.. فلو كانت الجدة الطيبة حية وسألتها: - بماذا أوصل
الحفر؟ لما ترددت في الرد كعادتها وبهدوئها: - بالآبرة^(١) يا ولدي.. انها
نصيبك!

(١) تقصد به القلم.

المدار الاخير العدد (٨٩٠) - الاربعاء ١٧ تشرين الثاني ١٩٧١

حياة تجري

.. جاء بستاني بحزمة من ثيل وغرسها في حقل صغير.. وحرث الى جانبه حقلاً أكبر زرع فيه بذور الباقلاء. ثم سلط الماء على حقله من خرطوم من بلاستيك أخضر ووضع تحت مسقط الماء صخرة.. صخرة! كم تناقلتها الارض وماؤها وعواصفها.. ربما! حصة صغيرة كانت وكبرت كما يكبر طفل يتيم. خطوطها الكثيرة المتماوجة رسوم بيانية عن الأنواء والعوامل العديدة التي ساهمت في سيرورتها هكذا منذ أن كانت حصة.. وربما ذرة رمل أو ضرساً. حطمت صخرة يوماً فكانت نواتها ضرساً بشرياً. وضع البستاني صخرته تحت مسقط الماء كي لايجرف تربة الحقل. وجرى الماء بلا ضجيج، يوشوش على الصخرة ويسيح عليها نحو التربة فيشقق عدة أخاديد صغيرة. وانجرفت التربة ذرة ... ذرة، مستسلمة للماء المجاري وتجمعت على بعد شبر على شكل هضبة مشرفة على سهول. وتكونت دوامات صغيرة تدور في أفلاكها أدغال صغيرة. حركت الخرطوم وغيرت مسقط الماء بمسافة املة واحدة فتغير مجري الماء وراح يشقق اخاديد جديدة تلمس الأخاديد القديمة وسكنت الدوامات عن الحركة. ثم أرجعت الخرطوم الى مكانه وعاد الماء يجري في أخايدده الأولى تحركت الدوامات. لكنني في الحالتين عجزت عن تغيير طبيعة حركة الماء في شق أخايدده وأحداث آثاره. وبامكاني ايقافه عن الجري مؤقتاً. لايكلفني ذلك سوى غلق الحنفية. الا أنني بذلك لن اغير شيئاً من طبيعة الماء وهو يجري في آلاف الخراطيم وآلاف المجاري الأخرى ولا من طبيعته وهو يجري هنا مرة أخرى. فلن أغير شيئاً من نزوعه نحو شق مجراه تحت أي ظرف كان وفي أية تربة. أليست الشلالات والأخاديد العميقة من فعل الماء الجاري؟ والماء الجاري أقوى وأنظف.. كما الحياة. وستصير حياتنا أنظف فأنظف لانها تجري وتجري.. قد تنهار مدننا وقيمنا ومثلنا كلها وقد تنهار جميع الحدود بين الناس وتنهار الحواجز وتموت اللغات.. الا أن هذا القانون لايتغير.. قانون الحياة الجارية.

حاجة

شعرت بملل وضجر بعد منتصف الليل. لم يكن لي ما أشغل به نفسي فتناهى، لي لفظ قريب من أناس يضحكون. تسللت بينهم في هدوء.. فرحبوا بي، طلب أحدهم قائلاً: - تكلم. قلت: بماذا؟ قال: بأي حديث شيق. قلت: أنا ضجر بعض الشيء.. انطلقوا فيما كنتم تتحدثون فيه.. فأنا مستمع جيد. عادوا الى الحديث.. وتبادلوا نكات خفيفة الروح فانقشع غمام الضجر عني، وذلك لوجودي بين بشر في علاقة حميمة أصيلة كان ترحيبهم بي كافياً لبعث الثقة في نفسي.. أليست هذه حاجة يومية هامة تشبعها بدون أن ندرك.. نشبعها بلجونا الى الناس.. نكلمهم ونسمعهم أو نجلس معهم فحسب ولو صامتين؟ هذه الحاجة الى الآخرين تشعرتنا بالوجود.. أو هي بعض وجودنا الحقيقي.. فنحن نكتشف أنفسنا في الآخرين.. والعيش معهم. فكم هو تعيس ذلك السجن الوحيد في ليل شتائه والذي يحرم عليه الاختلاط بسجنائه، فيظل صامتاً صمت السمنت الأخرس وهو ينظر الى داخل الردهات من وراء الأبواب والشبابيك!! كم هو شقي الانسان الذي يعجز عن الاختلاط بالناس.. وخاصةً ذاك الذي يخشاهم لما ارتكبه بحقهم من أخطاء لاتغتفر! أكاد اجزم ان الارهابيين الدمويين لايعيشون سعادة لأنهم يفتقرون الى اشباع هذه الحاجة الطبيعية الى الآخرين. اجل! قد يوحدون احياناً بين آلاف الناس (باتأارة مخاوفهم معاً)، لكن تفصله عنهم جدران من حراب وعيون ودبابات وحذر وخوف وجبن وتوجس.. فأية درجة لحصوة مغمورة، وأي هسيس للهشيم، وأية خشخشة للحشرات قد تتحول الى ريبة وشك وخوف من الناس.. طوبى للذين أحبوا الناس فأحبهم الناس.. وأما ثمن اسعاد الآخرين فهي السعادة..

المدار الاخير العدد (٨٩٢) - الاحد ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧١

الملك الأسود

من اجله نصبوا خيالات مائة^(١) ملكاً، ملكين، ثلاثة. ماتوا واحداً واحداً. وبقي يختال مزهواً في بابا گرگر^(٢) - وأبار كثيرة لاتحصي. هو. هو. وحدة. الملك الأسود اللعاب بالنار - وهو نار.. الكاوية أجسامنا حيث يشاء. خمسين عاماً. الا يكفي؟ تقول أحجار المدن المهدمة والأشجار المحروقة وآثار القتال والانقلابات والتآمر والمذابح تقول.. وتشير اليه بالأصابع العشرة. انه هو. هو. الملك الاسود المتربع على جثث الأحداث حيث تفوح رائحة النفط الخام والمصفي.. هو الملك الاسود الأزرق العينين العائد على جواده الأعرج الى اصطبله بعد أن غابت الشمس عن امراطوريته.. وامتنص منا ما شاء. وشربنا ما شاء.

وبني لنفسه ما شاء. وخسر من دمنا على موائد -مونت كارلو- ما خسر.. ومازلنا نفتersh الحصران واللباد وسقوفنا من قش وقصب وخشب متاكل. وغذاؤنا القحيح والتآمر والخوف. الخوف. الخوف. وحين تتفجر قنابل في قلب كوردستان. تفوح منها رائحة النفط الساخن.

فتشير شظاياها اليه هو. هو الملك الاسود الحديدي العروق الفولاذي الأضلع.

(١) خيالات المائة: مفردها خيال ماه-وهو الشبح الذي ينصب في الحقول لاختافة الطيور! وتسمى ايضاً ب-الفزاعة- أو -خراعة الخصرة- بالعامية.

(٢) بابا گرگر: الشعلة المتوهجة من أبار نفط كركوك منذ القدم، ولاتزال. وبالقرب منها ضريح لأحد الرجال الصالحين يزوره الناس، خاصة النساء العاقرات يطلبن منه الشفاء وولادة أطفال ذكور. بينت دراسات تاريخية فيما بعد ان المعبد مقام قديم لرجل ولي صالح من حكماء الكورد يتبع طريقة خاصة في التصوف، سكن هنا فترة، ثم رحل وحل في بغداد حيث توفي، واكتشف قبره من قبل أحد المستشرقين البريطانيين. كتب د. عماد عبدالسلام، المؤرخ والاستاذ الجامعي مقالاً عن ذلك في كتاب له صدر في اربيل عام ٢٠٠٨ على ما اذكر.

الذي لا يعدم خيالات مآته. وان مات الملوك الاوائل. وماتزال في القرى أكواخ لم
تضئها فوانيس زيتية. وهو. هو الملك الأسود يشغل مصانعه بدمنا منذ خمسين
عاماً.. ألا يكفي؟

أدب المعدة

واحد. اثنان. ثلاثة. عشرة. وأكثر من ذلك، منهمكون انهماكاً غامراً بأعداد وجبات غدائهم. قال صاحبي -ونحن نمر بهم- - أنظر. لايهمهم سوي الأكل.. سوى المعدة. قلت: وماذا تريدكم ان يفعلوا.. قال: ان يهتموا بحاجاتهم الأخرى ايضاً. ان يفكروا ويبدعوا ويخلقوا. قلت: هل ترانا قد قدمنا شيئاً يذكر ونحن نحرق أعصابنا؟! قال: لا أدري، الا انهم حشرو.. قلت: لا، الى هنا، نتوقف وأفترق عنك. لست معك في هذا. انك تستعير لغة المستغلين وتهين هؤلاء الناس الطيبين الذين يسميهم مستغلوهم راعاً وغوغاً.. ثم ها انت تنعتهم بالحشرية. بماذا ينشغلون اذا كانوا جوعاً؟ فالأكل اولاً.. اجل! هناك حاجات أسمى والذ واجمل.. حاجات فكرية وروحية، لكن أليس نشوء هذه الحاجات يحتاج الى شروط موضوعية أساسية: الى الرفاه المادي والاستقرار والاطمئنان؟ وانت.. هل تفكر بوضوح وصحة لو كنت جائعاً.. مطارداً؟ دعم يا اخي يشبعون حاجتهم الأساسية كي يكبحوا فينتجوا. وانا معك في انهم لو فكروا وابدعوا.. لكانوا أسمى.. لكن أليست شروط حياتهم هي التي تسجنهم دون ذلك.. وافترقت عن صاحبي فعلاً.. حين أصر على موقفه. ورمقت هؤلاء الطيبين وهم يمارسون الحياة الوحيدة المعطاة لهم.. وفكرت: أليس هذا الموقف الخاطيء من واقع المحرومين هو الذي يجعل أدبنا غير مقروء لأنه بعيد عن معركة المعدة.. هذه المعركة التي ما تزال أساسية وتنسحب آثارها على حياتنا الفكرية ايضاً..؟

مبادرة

دع الشاعر ينتظر ذاك الذي يأتي ولا يأتي^(١).. فهو منتظر سلبي جديد يضيف رقماً فحسب الى جيش المنتظرين عند العتبة.. المنتظرين أن تأتي الحياة لتقبل أقدامهم ثم تهب نفسها مجاناً. دع الشاعر ينتظر.. دعه يصمت.. ثم دع القلم جانباً.. بل حطمه اذا تمرد على الحياة المترعة بالكدح والسعي وأثر معاقره الكؤوس على موائد الآلهة الجدد. لكل زمان آلهته.. متألّهون يعيدون الخرافة القديمة، فينتهون كما انتهى الاسبقون هؤلاء أيضاً يضيفون أرقاماً فحسب الى القائمة.. ستحترق القوائم المثقلة بأسماء مزورة.. وعلى ضوء الحريق يولد شاعر بصوت رخيم دافيء منشداً -النشيد الشامل-.. وسفر أيوب.. أيها الدود.. ألم تشبع..؟ أيها الصبر الجميل، تجمل بالتمرد يوماً. بادر ايها الشعب. فأبواب الجنة الموعودة لن يفتحها -سمس- ولا الجني المطلق السراح من قمقمه.. صحيح أن الحق للشعب وأن التطور يحتم انتصاره.. الا ان الايمان الأعمى بالحتمية حلم طوباوي جديد يطرد الأحلام القديمة. يقال: لكن المبادرة ما زالت في أيدي قوى التخلف والرجعية بحكم ركائزها وامكانياتها القوية وان الشعب ما زال يحارب بأسنانه في معركة غير متكافئة.. ومع النصيب الضئيل لصحة هذا القول يمكن ان تشم رائحة الوليد المتنامي في أعماق الشعب وهو ما زال طرياً.

(١) اشارة الى مسرحية لبيكيت: "يأتي أو لا يأتي... جودو (غودو)".

الحاد

الحاد عادة خاطئة ان يكفر المرء بكل شيء اذا عاكسه أمر ما.. وان يعمم الشتيمة على جميع الناس اذا ألمه أحدهم، وأن يجحد بالوطن اذا ضاق به الامر. هذا حوار دار بين شخصين قال الأول: كيف الصحة يا فلان؟ قال الثاني: مو زين. قال الأول: ليش؟ قال الثاني: هذا البلد ما ينراد. قال الأول: لا.. لا.. قال الثاني: لا اريد بلداً لا اطمئن فيه.. وكل مافيه خراب.. قال الاول: وما العمل؟ قال الثاني: سأهجره. قال الاول: اما هذا فلا، واعلم ان ما صنعناه (ومانعاه) هو من عمل ايدينا. وبعد برهة أضاف الاول بثقة: ثم انني لست معك في ان كل شيء قد خرب في هذا البلد.. هناك أشياء رائعة يمكن ان نعتز بها.. وابتعدت عنهما مفكراً، ما الذي يدعو الثاني الى هذا الالحاد بالوطن.. أجل انه الحاد.. فالوطن جميل وحبيب، يمكن لنا أن نفخر ببلد يشع بالوعي المعدنية الهائلة ولشعب ذي الماضي المجيد والحاضر المتحرك نحو أمام. اجل ويمكن ان نعتز ببلد يبني نفسه ولئن كان فيه خراب فالشعب المتقدم ابداً كفيل باصلاحه. ذلك إلحاد واضح. أما صاحبنا الأول فهو الضمير المتقائل الذي يصارع الهروب واليأس. ثم لماذا يكفر صاحبنا الثاني الى حد التفكير في هجرة الوطن^(١)؟ هل يزول الخراب بالهجرة اذا كان هناك ثمة خراب في حقل ما؟ يكشف هذا الحوار البسيط اليومي عن الصراع الاعمق الذي تعيشه جماهير الشعب في انعطافهم الحاسم نحو حياة أحسن وعدم الهروب من البناء ومتاعبه ومصاعبه. أما الالحاد بالوطن والشعب.. فلطخة رجعية.

(١) كانت بدايات هجرة الأوطان في مختلف القارات نحو أوروبا وأمريكا وكندا وأستراليا...

خيال مآته

كان في تلمذته يمسك بالكتاب مطالعاً وهو يمشي ويمشي حتى يشرف على حقل عمه العجوز الذي يهتف به: - تعالي يا بني. ساعد عمك في طرد العصافير عن الزرع.. فيقف ساعات طويلة ملوحاً بيده وكتابه ويرشق العصافير بالحجارة.. وكان عمه يتركه حول الحقول الحديثة للفجل والرشاد.. فيضيق بذلك وهو يتخيل نفسه خيال مآته. ولما كان يعارض، يبادره عمه: - تنصح يا بني. ان زرعى اجدى من كتابك. انظر ستأيتني بعد أيام طالباً باقة فجل او رشاد.. لكن قل لي: ما الذي اطعمك كتابك؟ بيتسم الصغير في سره ناعثاً عمه بالجهل لأنه لايعرف قيمة الكتاب. ثم كبير الصبي وحاول أن يصير كاتباً.. واسكرته هتافات صغيرة لنجاحاته الأولى فانزلق بسرعة.. ولم يستيقظ على سقوطه الا وهو.. خيال مآته..! اصطدم يوماً بما اعاده الى حظيرته.. الى حقله.. الى جذوره الطبقية فتذكر عمه الراحل وتذكر حكمته. كم كان مصيباً. فالكتاب لم يطعمه سوى الخيبة. لكن عمه الآن راحل الى العدم.. فممن يستمد حكمة جديدة..؟ انه الآن خيال مآته على مصالح الطبقات التي استغلته واستغلت عمه. وانبهاره بنجاح جزئي هو الذي وضعه هناك. ويحاول اليوم ان يصعد الى الأعلى من جديد. لكن كيف؟ لا يتم له الصعود الا بالانسلاخ من القشرة القذرة التي غاص فيها وهو يدافع عن مصالح مستغليه بدون ان يعلم. ويود اليوم من صميم وجدانه لو يصير خيال مآته على حقل فجل لأي من أصدقائه القدماء لا ان يصير أمير الليالي الحالية. هل يظل خيال مآته أم يعود زارعاً؟

كلمة ختامية^(١)

المشاركة في بناء العالم

المشاركة في بناء العالم عزيزتي القارئة! عزيزي القاريء! كيف ستتصور علاقتي بك وانا عنك بعيد. بعيد. بعيد؟ وكيف يمكنني -أيضاً- تصور هذه العلاقة، وأنت في ... أين؟ كلمتي وحدها تدري ذلك، وهي تزور بيوتاً لم أزرها، تقتحم أسواراً عجيبة، وتطير، تطير، لتحط على مكتب أنيق او في جيب سترة. فتصافح وجوهاً طيبة وديعة طالما أحببتها، وتضاحك عيوناً شتى، سوداء، زرقاء، كحلاء، ناعسة، مرهقة، مندهشة، طفولية، ثم تقبل بواطن أكف حنون وخواتم وأسورة ... كيف يمكنني تصور هذه الصداقة الاصلية؟ لك ان ترفض آرائي او تتقبلها، وفي الحالتين ليس عندي ما أحاورك حوله، لأن ما أكتبه هو حدود معرفتي. لو عرفت ما هو أحسن وأصح وأعمق لما ضننتُ به، لك -اذن- ان ترفض او تتقبل على شرط مهم: ان تناقش فكري. ولما لم يكن هناك ما ازيدك علماً به فيمكنك مواصلة الحوار الذاتي بوحده حتى تقتنع ام لا. ولئن قلت لي: لا! فانك أيضاً معي في نهاية المطاف. ان هذه -اللا- هي مبدأ تحرك نحو الأصح والأحسن مما أعرضه عليك. فسواء اقنعت نفسك ام لا، فان الامر لايهمني وغاية ما يقف عنده طموحي هو أن أراك تحاور ذهنك. فتتحرك، وتنشط، وتبحث.. وترفض أو تقبل، بمعنى أنك حتى لو رفضتني ستلتقي بي طالما أنك تبحث، ومن يضمن أنني على صحة دائماً؟ هذا التوجه منك نحو المشاركة في بناء نفسك، بناء العالم، هو أقصى ما اطمح اليه. واعتبرني ناجحاً ان أنطقت كلمتي لغة الحوار الذاتي في ذهنك. ألسنت معي في أننا كسالى خاملون، تنقصنا المبادرة الذاتية غالباً؟ وطالما ان رفضك -كتقبلك- يثير فيك الغيرة على روح المبادرة فانني سعيد بك كلما

(١) نشر هذا المقال في العدد (٨٤٩) -الخميس ٣٠ ايلول ١٩٧١

واجهتني بشجاعة وعرضت كلمتي على الفحص الشعاعي. لذلك أتجنب غالباً لهجة الوعظ واليد(ينبغي) رغم أنني (وأسفاه) أسقط في شباكها أحياناً بفعل عادات الكتابة والتفكير وتقاليد الاستقراء الخاطئة التي اكتسبناها.

ملحق

- أستكمالاً للفائدة ننشر فيمالي بي بعض كتابات الأساتذة الأفاضل الذين كتبوا مقالات ومتابعات في الصحافة أو المواقع الألكترونية حول الطبعة الأولى من هذا الكتاب. ونكتفي هنا بطبع ونشر كتابات هؤلاء السادة مع التقدير والمحبة:
- ١- أحمد محمد أمين - موقع الايلاف الالكتروني.
 - ٢- فهمي كاكه بي . puk media.
 - ٣- جمال كريم - جريدة المدى.
 - ٤- طارق كاريزي - مجلة الصوت الآخر، الاسبوعية في أربيل.

المدى الثقافي:

موطن النور لكاكائي .. عن اللون الذي لا لون له

جمال كريم (جريدة المدى اليومية في بغداد)

صدر في أربيل عن مطبعة "روزه لات" كتاب تحت عنوان "موطن النور" للكاتب والسياسي الكردي فلك الدين كاكهبي، ويقع الكتاب الذي ينقسم تحت عنوانين داخليين هما: "شطحات حلجية" و"المدار الأخير" في ٣٦٧ صفحة من القطع المتوسط، وتناول الكاتب من خلال مقالاته المكتوبة خلال عام ١٩٧٨ من القرن الماضي، والمنشورة على صفحات التآخي قبل ان تعطل من قبل النظام السابق، تساؤلات وقرارات تأملية حدسية وعقلية في آن واحد لمظاهر الحياة ومشاهدها اليومية المثيرة بتعدد وتنوع أنساقها وصراعاتها وألغازها، حتى ان النص اوان شئت الخطاب المقالي لدى كاكهبي، تجده استغراقاً عميقاً، وتنقيباً دؤوباً في مرجعية ومصادر مكونات الحياة والوجود، بل استغراقاً في مجالاتها ومدياتها غير المرئية.

المقال، هنا، بقوة اللغة، وعمق التأمل يسعى لاكتشاف ما لا يرى، وما لا يلمس، ولا نجد غرابة في ذلك، فهو القائل "هذه الشطحات سبقتني اليها حالات التقرب من الوجد الصوفي. الذي لم يبلغه يوماً.. وهي (أي الشطحات) محاولة لتمزيق أغلال الكلمة واللغة والتقاليد والواقع وكل شيء. للخروج من الشرنقة التي تحيط بكل منا. مثل دودة القز. وهي تمنعنا من الخروج الى الهواء الطلق والنور والضياء.

واما النور الذي يصبو اليه الإنسان فهو ما سميته بالاستنارة الداخلية التي تهدي الى (موطن النور)، فالشطحات تعبير عن رغبة داخلية عارمة في التحرر

من كل شيء والخروج عارياً أمام الكون والشمس.. ولا يكتمل ذلك سوى بملامسة العالم الحر المجنون" ص ٧-٨.

ان هذه العبارات السردية الإيحائية لـ "كاكه يي"، تحيل بوضوح الى دلالات وجودية صرفة، لذات، او لوعي ذاتي ينشد الخلاص من عالمه المادي، فهو يدعونا صراحة الى ان نتحرر من قيود العالم "العاقل"، لنمضي عراة الى عالم غيرمرئي يسميه بـ "العالم الحر المجنون".

ان كتاب "موطن النور" الذي هو ثاني الأربعة من مؤلفات كاكه يي: "حلاجات/يقظة متوهجة في حضور الحلاج"، والاحتفال بالوجود أو احتفالاً بالوجود، و"لمن تتفتح الأزهار؟"، ربما اذا لم أكن مخطئاً، يجمع بين حروف وعبارات مقالاته خلاصات موقفه من الحياة والمعاني والأشياء والموجودات، لكنها خلاصات تستند الى قلق واغتراب للذات والروح المشحونتين بطاقة البحث التأملي والوجودي، "لست ادري كيف ومتى ولماذا وجدت نفسي مجذوباً انجذاب المجانين والعشاق نحو الاستغراق في طريق الحكمة، والتأمل.. كنت أجد نفسي وحيداً غريباً شاذاً في هذا الطريق فإذا بي أرى ملايين الناس ومئات الحكماء المبدعين ساروا عبر التاريخ ويسيروني في نفس الطريق" ص ١٥.

كاكه يي في حوارى الموسع معه قال عن تدوين سيرته "ليس في حياتي ما يستحق الذكر والتسجيل فقد عشت حياة عادية، بعد أن ولدت في عام ١٩٤٣ ولا ادري متى أموت؟"، من هنا، أقول ليس ثمة غرابة، كما ليس هو بالمكتشف الجديد، ان ينفي كاكه يي بكل تلك الشجاعة والجرأة ما يستحق التدوين والذكر في سيرته، مستغرقاً بدلالة "متى" الوجودية المتصلة بتخوم العدمية، لكنه برغم هذه اللامبالاة تجاه مدونته السيرية، وهي بلا شك، سيرة ذات وأحداث ومشاهدات وأمكنة وشخصيات، فانه من خلال موطن نوره يذهب الى تخوم الحياة عميقاً، باحثاً ومنقباً عن جدواها، ومعاني موجوداتها المادية والروحية في الوقت ذاته، لكن ليس بتلك اللغة الكاشفة عن مرموزات أفكارها ومفاهيمها وأسئلتها، بما هو سهل وعابر ومشير، فنجده مثلاً يكتب في مستهل حلاجاته- شوق الى الأزل- التي تشكل القسم الأول من كتابه، "الطين مسكني. والى الطين

والعشب أنتمي.. استشعر الارتعاش اللذيذ اذ أعود-ملايين السنين-الى الحياة. طريقة ندية بدائية. عند تخوم أول بحرفي بدء الخليقة حيث كل شيء يتحرك بلا وعي. ولم تدب الأحياء المعقدة بعد..ص٣٥. يلاحظ في هذا المقتطف المقال، ثمة تركيب وإحالة، واستنتاج تأملي يقود الى حياة أخرى لم تبدأ، بمعنى أن هناك تركيباً زمانياً، بين بعيد يصل الى عمق البدء، وحاضر يستشعر من خلاله اللذة في ارتعاشة الوجود، وما بين تلك الفضاءات، ثمة أمكنة وموجودات تحيط بك وتتماس معها، لكنه في المقطع الثاني من المقال ذاته يشير الى مركزية ذاته التي تحمل فكراً مارداً ضد السكون -سكون الطبيعة - والخضوع لإرادتها، "من ردهتي.. أفكر في حياة أصيلة.. ومنها أرى نهراً ساطعاً. واضحاً شفافاً.. جميلاً.. ذا سكون يغمر أشياء كثيرة سوى فكري المارد، العائد الى الأزل بجنون" ص٣٥.

لكن كاكهبي في "حلاجاته"، لا تستغرقه هذه الأفكار والمعاني والتساؤلات فحسب، بل يجد القارئ لهذا القسم الكثير من الأعمدة المقالة- التي يقول عنها المؤلف ما كتبته ليس قصة او مقالاً او بحثاً. بل هو شيء من كل هذا- التي تخاطب الناس في حياتهم الاجتماعية والسياسية، وأحلامهم المستقبلية وبخاصة الكرد حيث مفردة "كردستان" في الكثير من اللوحات كما يطول له ان يسميها، لكنه هنا أيضاً، لم يكن بمنأى عن الاستشهاد بحكمة الفلسفة وجمال الشعر وقيم الحب والحرية والخير والفضيلة التي تنشدها الشعوب والمجتمعات البشرية، كما لم يمتد بعيداً بدلالات ومعاني الحياة والوجود التي عبر عنها أولئك الأدباء والفلاسفة والمفكرين الذين يرد ذكرهم في حلاجات كاكهبي التي دونها ذات أيام وليالٍ من عام ١٩٧١.

يوصل كاكهبي في القسم الثاني "المدار الأخير" من كتابه "موطن النور" عبر أعمدته المقالة التي نشرها على صفحات جريدة التآخي عام ١٩٧١. بالكلمة والعبارة الموحية والدالة، الكشف عن كنه الحياة في مختلف اتجاهاتها ومجالاتها من خلال وعيه الذاتي المستدل بالنور، هذا الموطن الذي يرى فيه كاكهبي المثل والملاذ والمنطلق نحو مغموضات الوجود التي ملأتها الألفاظ

والمجاهيل، لكن ليس بأدوات ومجسات ومنعزلات الصوفي الناسك الزاهد، المتعبد لذاته وصولاً الى الوجد و الحلول والاستشراق بالذات الإلهية المعبودة، المعشوقة، لا.. الكاتب هنا مختلف تماماً عن كل طرق المتوصفة ومذاهبها، لا لشيء الا لانه ظل يرغم عشقه لتك الأجواء، مشدوداً الى الواقع المعيشي والحياة بكل تلاوينها، في السياسة، والأدب، والعلم، والتراث والفولكلور، والأحداث، في بغداد، او في جبال كردستان، او بالإشارة الى أمكنة أخرى، ومن بين ذلك يقول الكاتب في مفتتح مداره الأخير، "أعترف بان تصوراتي عن الناس والحياة تتنوع بل تتناقض أحياناً. وحين ابحت عن سر ذلك أجد ان الأمر طبيعي جداً. اذ يبدو الصباح لي جميلاً تارة وكئيماً تارة أخرى.

كتابان جديدان للمفكر والكاتب الصحفي فلك الدين كاكه يى ...

كلماتي تزور بيوتاً لم أزرها!

عرض : طارق كاريزي- مجلة الصوت الاخر الاسبوعية- اربيل .

الصحفي كثيراً ما يلمع نجمه بسرعة وبذات السرعة يمكن ان يسير نجمه نحو الأفلو، فالفرصة متاحة امامه كي يكتسب الشهرة من خلال كتاباته التي تنشر بلا انقطاع في الصحف المطبوعة والألكترونية لأن الصحافة توفر فرصة الانتشار السريع المقرون بالتلاشي السريع! هذا هو ديدن عالم مهنة المتاعب، عكس دنيا كتاب النصوص ومؤلفي الكتب و مترجميها الذين ينالون قسطهم من الشهرة طويلة الأمد، تبعاً للثقل المعنوي ودرجة ابداعهم او لمدى تأثير مؤلفاتهم ورواجها لدى عامة الناس وخاصتهم لعل الأستاذ فلك الدين كاكه يى يعد انموذجاً جلياً لهذه المعادلة المتقابلة والسارية ما بين الصحفي والكاتب. يراعه المعطاء لا يكل ونتاجاته لا تعرف الحدود. حين كان رئيساً لتحرير (التأخي) بعد عام ٢٠٠٣ كان يكتب في اليوم الواحد ما بين (٢-٤) مقالات ما بين التحليل والمتابعة السياسية والفكرية والخبرية تصل كلماتها لعدة آلاف. كان يضح سبل كتاباته عن مواضيع شائكة ومعقدة ضمن مجمل العملية السياسية في عراق ما بعد ٢٠٠٣ كالنبع الدافق، رغم سنه الذي تجاوزه عقده السادس، الا أن قلمه مازال يرفد عدداً من الصحف والمجلات الكوردستانية- دون انقطاع.

كتابات كاكه يى ليست من النمط الصحفي العابر بحيث تفقد قيمتها بمرور الوقت. غالبية كتاباته صولات وجولات في عالم الفكر والتصوف والفلسفة والعلوم والأدب والتاريخ والبيئة. ويضح عبر طروحاته كل جديد ويصطحب القارئ نحو فضاءات جديدة كاشفاً له عوالم بكره يستعصي على الغير ادراكها.

من هنا تكتسب مبادرة جمع كتاباته في كتب تطبع اهمية قصوى.
ورغم ما أخذنا على الصحافة الا أنها لها الفضل في شحذ الأقلام، كون فرص النشر متاحة دون انقطاع على مصراعيها. تغري الصحفي بالمزيد من المواظبة على الكتابة دون كلل، هذه الحرفة كالتحفة التي تحول قمح الكلمات بلا توقف الى دقيق منشور على صفحاتها. والقراء هم المستهلكون الذي يتلقون نتاجات الصحفي بنهم وهم على عجلة من أمرهم. ومع كل غروب للشمس وتوالي الأيام، تذهب كتابات الصحفيين الا ما ندر، الى ادراج النسيان.
قد يكون الصحفي محظوظاً ومغبوناً بذات الدرجة. فمهما كان يراعه سيلاً بالأفكار والرؤى، ومهما جسد بكتاباته من احلام وتطلعات مشرقة يبقى بيدره عرضة لرحمة الرياح العاتية للصحافة والذاكرة المتداعية للقراء امام ضغط الضخ المعلوماتي للقنوات المختلفة لعصر العولمة.

مبادرة جمع كتابات فلك الدين كاكهبي الصحفية خطوة لجعل عسارة فكره امام القراء. وقد صدر اخيراً كتابان له أحدهما بالعربية (موطن النور- الكتاب الثاني) والآخر بالكوردية (روناهي زردشت- ضياء زرادشت).

في (كلمة ختامية) من كتابه (موطن النور) نقرأ (كلمتي... تزور بيوتاً لم ازرها، تقتحم اسواراً عجيبية، وتطير، تطير لتحط على مكتب انيق، أو في جيب سترة، فتصافح وجوهاً طيبة وديعة طالما أحببتها. وتضاحك عيوناً شتى، سوداء، زرقاء، كحلاء، ناعسة، مرهقة، مندهشة، طفولية. ثم تقبل بواطن أكف حنون وخواتم وأسورة و... كيف يمكنني تصور هذه الصداقة الأصلية؟ لك ان ترفض ارائي أو تتقبلها. وفي الحاليتين ليس عندي ما احاورك حوله، لأن ما أكتبه هو حدود معرفتي. لو عرفت ما هو احسن وأصح وأعمق، لما ضننت به.)

لا نجافي الحقيقة حين نقول ان فلك الدين كاكهبي من المع الأسماء الصحفية على مستوى العراق. يمتلك براعة لا تضاهي في كتابة العمود الصحفي والتحليل السياسي والمتابعات الخيرية. وهو كاتب موسوعي، يكتب بعربية مرنة سهلة الفهم بليغة الأيصال قوية الحجة، يستطيع القارئ ذو المستوى المتوسط ان يستوعب الفكر بكتاباته. طروحاته السياسية تتصف بالأفق الأنساني والرؤية

المتفتحة. يطرق أبواب العرفان والتصوف بلغة شعرية بلغة الرقة شديدة الوقع والتأثير. في الصفحة (٣١٩) من (موطن النور- الكتاب الثاني) نقرأ ضمن دفاعه المستमित عن البيئية: (براءة العالم تنتهك، أفتقد أشياء عزيزة كثيرة أنا أنسان بري يصعب تدجيني، فتقاوم- يزحف الحديد والبلستيك والداخان- أقاوم تحول العالم في ذهني الى سماء ملوثة بالدخان والصديد والمياه القذرة والمدن المكتظة ذات الأحياء النتنة ويظل جليد الحديد والبلستيك زاحفاً، التجئ الى البرية، للمرة الأخيرة أتمرّد يستحيل تدجيني هذه المرة. هل ارتد الى الكهف؟ ماتزال اقماطي هناك. أمأه ألتجئ (الى ظلال مهدك العتيق.)

يمكن القول بمزيد من الثقة، أن قارئ كتابات فك الدين كاكهبي تتوفر له فرصة الاطلاع على اسفار المعرفة عمودياً وأفقياً. فهو يغوص في الواقع الكوردستاني والأرث الكوردي عميقاً بدءاً من أزمنة وعصور موهلة في القدم كاشفاً لك الكثير من اسراره وجواهره عبر استقراء معرفي، مروراً بالحاضر مع تطلع ملؤه التفاؤل بالمستقبل عبر نبوءات واحلام ذات جذور واقعية. وهو يصطحب القارئ في جولات عبر القارات والأصقاع ليكشف لك أفقياً البعض من خفايا تراث الشعوب والأمم الدانية والقاصية.

في الصفحة (٣٠) من الكتاب نقرأ (وتتوالى تجارب الحكماء والفلاسفة في البحث عن النور الداخلي في الأنسان ودفعه الى اليقظة الذاتية أو الوعي الذاتي، كما يسميه الفيلسوف الهندي باغوان شيري راجنيش المعروف بـ(أوشو)، ... فغاية الكمال والمتعة لدى الأخير هي وصول الأنسان الى التنور والأستنارة. وهي تعبير آخر عما كان السهروردي يسميه الأشراق.

فالتعابير والطرق متعددة بينما المحطة النهائية واحدة.)

نترك لقراء العربية فرصة الاطلاع على بيدر كتابات المفكر والصحفي الكاتب كاكهبي من خلال قراءته المباشرة لكتاب (موطن النور- الكتاب الثاني) بلغة الضاد. ونتواصل معه من خلال استعراضنا الموجز لكتابه الثاني الصادر أخيراً بالكوردية والذي سبق الإشارة اليه. أنه يكتب بكوردية سلسلة وعميقة مفعمة بالحيوية والأشراق. كتاباته الكوردية رصينة من حيث اللغة والسبك وتجاربي ما

يكتبه بالعربية. فهو يمتلك ناصية اللغتين بجدارة.

عنوان الكتاب (ضياء زرادشت) بيررفحواه حيث الغالبية العظمى من مقالاته تتعلق بالنبي الكوردي زرادشت وتراث الزرادشتية. ولعل مسوغ نشر بعض المقالات السياسية والذاتية العامة بين دفتي هذا الكتاب يعود الى أنه سبق وأن تم نشر الكتاب باللغة الكوردية (بالأبجدية اللاتينية) في تركيا.

بغية تبصير القارئ، يفتح المؤلف باباً ويقول: (اقصد بموطن النور موطن تراث زرادشت، وقد اثبت الباحثة والمختصون أن زرادشت لغة تعني النجم اللامع، المشرق. وتعني ايضاً الضياء الذهبي، والذي هو رمز للون ضياء الشمس).

وتولي المعتقدات الزرادشتية عناية فائقة بالبيئة ونظافتها، ولعل الكثير من التقاليد والأعراف والأفكار الشعبية الكوردية، وحتى المناسبات والأعياد القومية تنم عن هذه العناية بما تحوي من بقايا التراث الزرادشتي الذي لا يتعارض مع المعتقدات الجديدة التي تقبلها الكورد عن قناعة وحسن رضى، ونظراً للأهمية القصوى للبيئة في التراث الكوردي، نرى ان أشهر التقويم الكوردي سميت وصنفت وفق فصول السنة والتغيرات البيئية والمناخية في كوردستان.

يقول الكاتب: (منذ عام ١٩٦٧ خصصت دوماً جزءاً من كتاباتي للمحافظة على البيئة. والديانة الزرادشتية مثلما يقول الباحثون والعلماء المختصون في هذا الحقل، هي اول ديانة أكدت على المحافظة على البيئة. وكان زرادشت يكرر في تعليماته ضرورة المحافظة على نظافة الماء والهواء والأديم. وكان رحيماً يطلب من اتباعه أن يكونوا رحماء مع الناس والحيوانات والطيور وكل كائن حي، وأن ينثروا العطف على الجميع. أنني مرتاح الضمير كوني فهمت فحوى رسالة زرادشت قبل أكثر من اربعين عاماً. واليوم يكرر البوذيين والمسيحيون والأنسانيون ودعاة حماية البيئة ما سبق ان قاله زرادشت. الثقافة الزرادشتية عادت وولدت من جديد واصبحت رسالة عالمية لحماية البيئة.)

يبعث الكاتب، زرادشت وكتابه، نار زرادشت التي هي نور للضمير، مثلما نار نوروز نور للضمير. ويطلق دعوة بان يتحول نوروز الى عيد عالمي. كان زرادشت

يرى في السعادة هدفاً للحياة. وكان على علاقة وثيقة بالطب والفلك وتناول شخصية (بير شاليار) ليسلط من خلالها الضوء على مصطلح (بير) ومصطلحات تراثية أخرى ذات بعد عقائدي تاريخي، وهي بما تحمل من مفاهيم اجتماعية ومدلولات عقائدية وأسطورية تعد حلقات وصل وجسور تواصل ما بين حاضر الكورد وماضيهم الموهل في القدم والمحاظ بالمجهول للأسف ما زالت البحوث نادرة في مضمار التراث الكوردي والتاريخ الكوردستاني والأثر الروحي للشعوب والأقوام التي قطنت كوردستان منذ فجر التاريخ وما قبله، ولعل الأضرار التي لحقت بالمدونات والآثار التاريخية لكوردستان أثناء حملة الإسكندر المقدوني أيضاً أثناء الفتوحات وما رافقها من حرق وتدمير، كانت من السعة والتأثير بحيث شكلت قطيعة مع ماضي البلد وسكانه، ولأطلاع القراء فأن اثنتين من أصل أربعة أهم مكتبات العالم القديم كانت موجودتين في كوردستان وقد أصبحتا بعد حملات الغزو أثراً بعد حين.

يدعو فلك الدين كاكهبي في مقالة له الأمم المتحدة لتولي مهمة المحافظة على التراث الروحي الكوردي والديانات الكوردية القديمة باعتبارها أثراً إنسانياً مهماً. وبالمناسبة فإن روسيا اعترفت أخيراً بالديانة الأيزيدية (وهي ديانة كوردية أقدم من الزرادشتية) كأحدى الديانات الرسمية في روسيا الفدرالية، والقرار الروسي لم يأت اعتباطياً، بل جاء بعد بحث وتقصى علميين أثبت الأسس التاريخية القديمة لهذا الدين.

أحد المواضيع المثيرة في الكتاب هو (مسيحية صلاح الدين الأيوبي)، يقول الكاتب (لم يكن صلاح الدين مسلماً بسيطاً، بل كان عالماً كبيراً أيضاً. كان على دراية وأطلاع واسع في الفقه والشريعة وتقاليد المجتمع الإسلامي، وكان قاضياً، أن سنحت له الفرصة والوقت كان يمارس القضاء ويحل مشكلات الناس).

ويسرد الكاتب (في أحد الأيام كان صلاح الدين جالساً على كرسي القضاء، فجاء رجل يشكو من صلاح الدين، فنزل فوراً من كورسي القضاء وأرسل قاضياً ليجلس مكانه، ووقف كمتهم أعتيادي امام القاضي خاضعاً لحكمه حتى

قرر ما رآه حقاً وعدلاً)، وعندها يسأل (مسلم على هذه الشاكلة، كيف يصح ان يقال بحقه أنه مسيحي؟) ومن أجل تتبع آثار هذا الأديعاء، يتجول الكاتب المفكر فلك الدين كاكه يى بين كم كبير من الآراء التي اوردتها المصادر الأوربية والشرقية بحق أبرز شخصية أنجبتها الألفية الثانية للميلاد.

يتعذر على قراء العربية الأطلاع على ما ورد في كتاب (ضياء زرادشت) ما لم يتم ترجمته من الكوردية الى العربية. وهذا الأمر يستدعينا كمتقفين عراقيين الى تبني مشروع تأسيس دار خاصة بالترجمة ما بين اللغتين العربية والكوردية كي يطلع ابناء الشعبين الجارين على تراث وابداعات احدهما الآخر.

أعراسُ أعراسنا الأفلة

أحمد محمد أمين

قراءة في كتاب "موطنُ النور"، للأستاذ فلك الدين كاكابي، مطبعة روزمه لات، أبريل ٢٠٠٩.

أحمد محمد أمين : في منتصف السبعينيات من القرن الماضي أعراني صديق عزيزُ كتاباً لزعيم الدروز أيامئذٍ الفقيه الراحل كمال جنبلاط. نسيتُ بكلِّ أسف عنوانه. لا علاقة له بالسياسة، بل انطوى على نصوص صوفية ذات لغة مكثفة مركزة صافية تعبرُ عن مهارة الفنان المقتصد، كما لو كانت شذرات حكمة متماسكة موحية بدلالات فلسفية شفيفة تلامسُ روع القاريء وتمنحه كماً معرفياً مجرداً من ترهلات فضفاضة وتقعرات مغلقة، تعتمدُ الفاظاً قليلة أشبه بالبرقيات الخاطفة. يرميها الفكرُ والعقلُ الى فضاء الحواس، وكأني بجنبلاط يسبحُ بنا في متاهات السهروردي والحلاج وابن عربي. ابانئذٍ سجلتُ عن ذلك الكتاب انطباعات رصينة أرسلتها الى احدي الصحف. الا أن الرقيب أحجم عن نشرها لغرض في نفسه. كنتُ أظنُّ أن المنغمس في السياسة ينأى به موقفه السياسي عن الإبداع بأجنحته المختلفة، ولاسيما في مجال التصوف والفلسفة والموسيقى والأدب بهذه الوتيرة من التألق البارع المتميز. كان أسلوبُ جنبلاط خليطاً من الشعرية الهامسة يُعبرُ عن هاجس وجودي عميق، ونبض فلسفي مشحون بشرارة كونية ذات دلالات لا تتصل بالدين ولا بالمثاليات المتوارية وراء الماورائيات. بل كان ايقاعه ذاتياً وواقعياً في آن. ذكرني كتابُ الأستاذ كاكابي المدهش بكتاب جنبلاط العجائبي، كون "موطنُ النور" يعترفُ من المنهل ذاته، لكن وفق خصوصية أفكاره وموقفه الديالكتيكي المستقل، كاكابي ينحو منحى صوفياً ويقتربُ في بعض لوحاته من الشعر، وينغمس في تأريخ المقدسات السماوية

والوضعية من دون أن يخرج من طليسان الواقع، يكرّس حكم الماضي لإضاءة الحاضر، ففي لوحاته المتناثرة من مبتدأ صفحات الكتاب حتى ختامه يجتrec مادته من نسغ الفلسفات لإضاءة حاضرنا الملتف بصمغ الظلام. يضم كتابه في طياته مقالات قصيرة، شديدة التكتيف كأنني به يقتصد في هدر واهراق كلمات ترهق كاهل النص. وتشتت مغزاه. انه يتماهى على قارئه، بل يتحايل عليه، كونه يستهلك ما يقرأ في الصحف بسطحية وعشوائية، فيوقعه في شراكه، خلل ومضاته الشعرية، كما يستغفل الرقيب ويمرر لوحاته المفعزة عليه معتمداً الإشارة والإيماء والمجازات والتوريات. ومكرساً خبرته الأدبية والصحفية في التعبير. جائلاً في مدارات شعرية ونثرية غامضة. يقول عنها: "غامضة نوعاً ما في أسلوبها وفي توجهاتها، لأنني غالباً ما لجأت الى استعمال الرموز والإشارات والإيماءات". المقدمة ص ١٠. وكاتبنا في مجمل لوحاته يتوخى ولوج عالم نوراني في القاع والعمق، كأن الضياء الذي يغمر الكون لا يتسع له، ولا يُنير جنباته جسداً وذاتاً. الا اذا توغل فيهما ليكشف لنا مكونات الأغوار ومكوناتها. وما من وسيلة الى ذلك سوى هذه الشطحات الإشارية الواضحة التي تُقيم بنى لوحاته.. يستقدم كاكايي النصوص المقدسة لا على سبيل الإستعارة والنقل، بل يلامس روحها ومضامينها الإنسانية والفلسفية، فقد اطلع على القرآن الكريم والكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وكتاب المندائيين "كنزاً ربياً" ومؤلفات طاغور ونصوص بوذا وكونفوشيوس. وكتابات ابن عربي، والبسطامي، والحلاج والطار وجلال الدين الرومي، والسهروودي وآخرين. اذاً هو لا يغتفر من الكلام اليومي العادي المستهلك، بل يُثري لوحاته من متون التماهيات "فأنا أبحث هنا عن اللون الذي لا لون له" ص ٣٠. تبدأ اللوحة الأولى بهذه المقولة: "الطين مسكني، والى الطين والعشب أنتمي". فهل فيهما مكن نور الذي يبحث عنه؟ وتنطوي لوحاته خلل مديات الكتاب على خزين من الأمثال والحكايات استقدمها لتعزيز مآربه في سياقات ذكية يستلها من متون السرديات الكردية والفارسية والهندية والبوذية والعربية ولا سيما من "كليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة"، ومن مصادر ومظان أوربية. فيقول: تقول الحكمة الكردية: "كل قليلاً، نم قليلاً،

تكلّم قليلاً" وقد وردت ذات الحكمة في أدبيات الشعوب الأخرى لكن بصيغ مختلفة. وينهي هذه اللوحة بهذه العبارة: "لا سعادة في مجتمع يدها من عذاب، وقلبه من جوع" ص ٢١٤. في لوحة أخرى بعنوان "الأسرّة والمشاعر" يقول: "في الأسر تتساوى الأشواق والرغبات، لأنّ كلّ الأسر يستبدُّ بها الحزن إلى حياة طليقة وإلى الحب". إنّ جمالية لوحات الكتاب لا تكمن في الشطحات الأسلوبية الماكرة التي ترمي إلى هدف ما ورائي لا تراه كلّ العيون وحسب، بل لكونها ذات ايقاع خارج الأفق المحلي، فلا تردّ الحكايات والأمثلة والرؤى والإشارات والمشاهد من بؤرة واحدة، بل تتخطى إلى العالمية والكونية ومن الذاتية الفردانية إلى الوجودية والإنسانية. أنّها تجتأب مسطح الكرة الأرضية من الأمريكيتين إلى أفريقيا ثم إلى سهوب آسيا الوسطى وجنوب شرق آسيا، وتغترف مادتها من كلّ العصور. كاكايي راصد ألمعي ومصوّر حاذق التقطت بصيرته وبصره رؤى ومشاهد من كلّ صقع ومن كلّ فج. وأجمل ما في مقدمته أشارته الشجاعة إلى وجود هنات هنا وهناك، مثل التكرار الذي يعرو بعض لوحاته ١٠-١١. وليس هذا بعيب، ذلك أنّها كتابات صحفية تتوخى ملامسة أكبر عدد من القراء. موطن النور، إذًا، ليس كتاباً صوفياً فلسفياً بمعناه الأكاديمي الدقيق، لكنّه يسعى إلى أن يكون في ثيماته المختلفة زاد القاريء يغذي واعيته بمخزون معرفي متباين الألوان. وبأسلوب بسيط بعيداً عن التنظير والتقعر والغموض لا يكلفه عناءً فكرياً. قلت في مستهل كلامي: إنّهُ يتحايل في طروحاته على الرقيب والقراء في أن. لذلك لجأ إلى التماهي واللبس واللغز والهمز، ليرسخ رميته في الهدف. حسب كاكايي أنه رصد دينامية الحياة في منعطف تاريخي خطير وهام من القرن الماضي، وخلدها بوعي وتبصر، ذهب الناس والممالك والحكام وجاء آخرون وسيمضون بدورهم، لكن لوحات فلك الدين ستجري مع الأيام تجاه المستقبل كأثر ابداعي، رقراقة ألاقة لا تُستهلك مضامينها ولا تبور مع جريان الزمن..

موطن النور

تقديم: فهمي كاكهبي

٢٠٠٩ / ٠٩ / ٠٩

صدر عن مطبعة (روزهلات) في هولير الكتاب الثاني^(١) المعنون بـ(موطن النور) من تأليف فلك الدين كاكهبي، حيث يقع الكتاب في ٣٦٧ صفحة من القطع الصغير ويضم بين دفتيه مجموعة من مقالات الكاتب المعنونة بالحلاجيات والمدار الأخير والمنشور في جريدة التآخي بدءاً من العدد ٧٢٢ الصادر في يوم ١ أيار ١٩٧١ وإنهاءً بالعدد ٨٩٩ الصادر في يوم ٣٠ تشرين الثاني من العام نفسه^(٢). فلك الدين كاكهبي وإن كان غنياً عن التعريف، إلا أنه يستحق أن يوصف بالإنسان الفاضل والشيخ الزاهد والصوفي المسالم، ولعل صفاته هذه إكتسبها من عائلته الفقيرة والمتدينة التي تربى في كنفها. فالوالد السيد صابر كان رجل دين وصوفي ورع عرف بطيبته وزهده، كان فلاحاً ذو نسب، لكنه كان بسيطاً يعمل بجد ويكافح من أجل حياة حرة سعيدة له ولأفراد أسرته الكبيرة، وهو علاوة على ذلك كان من بين القلائل من فلاحي قريته من الذين تعلموا القراءة والكتابة^(٣). كان معروفاً بروحيته المرحية والمتواضعة، يحب الفكاهة ورواية

(١) الكتاب الأول بعنوان: حلاجيات/ يقظة متوهجة في حضور الحلاج.

(٢) الأستاذ فلك الدين كاكهبي هو وزير الثقافة في حكومة إقليم كردستان العراق، إلا أن كتابه هذا طبع بشكل بسيط (وعلى الأغلب بسعر زهيد) وعلى نفقة أصدقائه.

(٣) روى لي جدي عن السيد صابر والد الكاتب (عندما كان الإثنان مايزالان على قيد الحياة) بأن السيد صابر كان إنساناً كادحاً مكافحاً ليس كبقية الفلاحين، فبينما كا يحرق أرضه كان الكتاب في يده، فهو يقرأ ويتحين الفرص ليقضم قطعة من الخبز في نفس الوقت عندما يجوع.

الطرائف والتي كنا نستمتع اليها بشغف. إذن فلا عجب أن يتصف الأستاذ فلك الدين بالزهذ والتصوف مادام سليل هذه العائلة الطيبة، ولا عجب أن يختار الحلاج ليكتب زوايته اليومية بإسمة في جريدة التآخي.

يقول السيد فلك الدين في مقدمة كتابه الثاني هذا: صفحات هذا الكتاب تعكس بعض حالات الإقتراب من الاستنارة الداخلية. فهي ليست إستنارة كاملة، إذ من الصعب أن يسمو المرء الى كمال السعادة، فالكمال الروحي تعبير، ربما يصح إطلاقه إزاء إستنارة داخلية (تسمى بالباطنية أحياناً). وهي أشبه ماتكون بيقظة متوهجة مفاجئة للوعي الذي ما يبقى مخدرا في سبات عميق. هذه اليقظة الداخلية أشبه ببزوغ الشمس أو سطوع نور متوهج مفاجئ وسط الظلام المعتم. لم أشع حالات الإستنارة الداخلية فهي عسية، قد تأتي بعد التزكية والتحرر من القيود والعلاقات والعادات والأفكار... الخ!

يسمي الكاتب مقالاته باللوحات والتي تضم في ثناياها كتابات فد تكون أقرب الى تقارير صحفية أو قطع نثرية أو سكيشات رسوم أولية أو مشاريع للكتابة، لكن السمة البارزة في كتاباته هي الشطحات، هذه الشطحات التي سبقته الى حالات التقرب من الوجد الصوفي، الذي لم يبلغه يوماً... إن هذه الشطحات كانت (حسب الكاتب) محاولة لتمزيق أغلال الكلمة واللغة والتقاليد والواقع وهي تعبير عن رغبة داخلية عارمة في التحرر من كل شئ والخروج عارياً أمام الكون والشمس... وذلك بملامسة العالم الحر المجنون، وهي شذرات من التهاب الجنون وشروده. لعل الكاتب لم يسمو بشطحاته إلى الثورة ضد الواقع المعاش بعكس الحلاج وشطحاته التي كلفته حياته، فشطحات الكاتب إذن تبقى مسألة وبهذا فهي لا تهز عرش الحاكم ليخاف منها، لكنها مع ذلك تترك فضاء كبيراً لدى القارئ للتأمل والتروي.

من الصعب جداً الكتابة عن مجموعة من المقالات المتنوعة بيضعة سطور، وفي نفس الوقت فإنه من الصعب إختيار مقالة كنموذج لمجموعة كاملة، ولكي ننجي بنفسنا من هذه المعمة نعود إلى الوراء لنرى ماذا كتب السيد فلك الدين في مثل هذا اليوم وقبل ثمانية وثلاثون عاماً:

(المدار الأخير، العدد ٨٣١، الخميس ٩ أيلول ١٩٧١)

"من حرية الفكر أن تخرج بألوانك الى الشمس، هناك عالمان يعيشان لصيقين معاً. فالمسجد الصغير عالم وحقله الأصغر عالم ثان. وفي المسجد ناس يسجدون في صلاة خاشعة، ويغمضون أعينا ليتأملوا الله في ضمائرهم وفي حقل شارد... أنا بحواسي وشعوري لا أغمض عينا، ولا أغيب عن اليقظة، بل أوسع صدفة لأروي ظمأ البصر إلى خضرة نضرة تحكي طراوة الطبيعة كما كانت منذ ملايين السنين. ومن بين ألوان نباتات زاحفة بعضها مزهرة وبعضها ثمرة وأخرى صولية سامقة تستوقفني زهرة عباد الشمس في تيجانها الليمونية وأوراقها العريضة المنبسطة في حال الإبتهاال إلى السماء تشبه أكف راقصات الفراشة. أعشق هذه الزهرة لأنها تخرج بألوانها إلى الشمس في عزم وحرية وعناد. ومن طبيعة اللون، أي لون، أن لا يسطع في الظلال وأن يختفي في الظلام، بينما يشع بهاء في ضوء الشمس. فأناذي نفسي مشفقاً:

- قاتل دون الوصول الى الشمس بألوانك. إستشهد من أجل ذلك، على أن تستشهد تحت الشمس في ضيائها، وليس في الظلام. إذ حتى الدم كي يتدفق قرمزياً زاهياً ينبغي أن يراق في ضوء الشمس. فأخرج بألوانك إلى الضياء، اخرج بأفكارك ومطالبك وهو اجسك الخفية الكامنة التي تخالها أسرار لن تنتهك. لا تظن أن في الطبيعة سراً، ما تظنه سراً هو واحد من إثنين: اما مجهول لم تدركه بعد، أو تافه وضيع تشعر بدنايته -حسب تصورك- ربما تستحي الإعلان عنه وعرضه للنور. ان لم تكن جاهلاً وإن لم تكن ألوانك تافهة باهتة هيا -إذن- وأخرج بها إلى الشمس.

ليست الألوان سبعة في طيف ولا مائة أو ألفاً، بل آلاف، بل ملايين، لكل إنسان لون، لكل فعل إنساني لون، لكل فكرة لون، لكل رغبة لون. ما أجمل أن تسخو الحياة بملايين ألوانها الإنسانية تحت الشمس". (٤)

إذن لكل إنسان لون، وكل إنسان كائن فريد بحد ذاته، وكذلك فلك الدين كاكهبي.

(٤) موطن النور، الصفحة ٢٨٩-٢٩٠

